

جامع السلطان حسن : راجع مقال الاستاذ جاستون فييت مدير دار الآثار العربية في وصف  
هذا الجامع من النواحي التاريخية والمعمارية والروحية صفحة ٥٢٥ من هذا العدد



# المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والتسعين

١ ديسمبر سنة ١٩٣٨

٩ شوال سنة ١٣٥٧

## حصاد الصيف

في حقول العلم

### ١- أتوار النبات

لحياة النبات صلة وثيقة بحياة الحيوان . بل ان حياة الحيوان بوجه عام تعتمد في آخر الامر على عالم النبات . فتمو النبات موضوع عني به الانسان عناية متغلغلة في الماضي . وقد كانت مباحثه تنصرف في الغالب الى دراسة العوامل الخارجية التي تؤثر في النمو كالضوء والحرارة والسما . فوجد الباحثون لكل نبات درسه حالة معينة هي مزيج من هذه العوامل تتيح لذلك النبات أقصى النمو . ولكن اذا أحطنا نباتاً بالعوامل الخارجية المتباينة التي تتيح له أقصى النمو ، وجدنا مع ذلك عوامل داخلية تؤثر في ذلك النمو ، فلا نستطيع ان نسيطر على نمو النبات إلا اذا عرفنا هذه العوامل وكيف تؤثر فيه .

وقد تقدم هذا البحث تقدماً يذكر في السنوات العشر الاخيرة . فكشف العلماء ان في تركيب النبات مواد كيميائية تضبط نموه على نحو ما تؤثر مفرزات الغدد الصم كالنخمية والدرقية والنكفية وغيرها في ضبط نمو الانسان . والى القارىء جانباً من الاسلوب العلمي التجريبي الذي جرى عليه العلماء في دراسة هذه الناحية من نمو النبات . وجل هذه التجارب قام به جماعة من علماء الفسيولوجيا النباتية في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا



ولعلَّ خير ما نبدأ به البحث في هذا الموضوع هو التدقيق في تمييز كلمة هرمون hormone (تَوْر) عن كلمة فيتامين vitamin

فنحو ستين سنة قام عالم يدعى ساكس Julius Sacks وهو المعروف بلقب (أبي فسيولوجيا النبات) فذهب الى ان تأثير جزء من نبات ما في أجزاء أخرى من ذلك النبات وتنسيق أعمال الأجزاء المختلفة يجب ان يسند الى مواد كيميائية معينة في النبات نفسه . وكان الاساس الذي استند اليه في مذهبه هذا أساساً نظرياً . ومما قاله ان مقادير هذه المواد في النبات صغيرة جداً ولكنها مركزة . ويميز بين هذه المواد والمواد الاخرى التي تعتبر غذاءً ومقاديرها في أجسام النباتات كبيرة

وبعد ما انقضى نحو ربع قرن على قول ساكس هذا ثبت لبعض علماء الفسيولوجيا ان هناك مواد كيميائية معينة تقوم بمهمة الرسل بين اعضاء الجسم فتنسق اعمالها وأطلق عليها العالم ستار لنغ سنة ١٩٠٤ لفظ هرمون وقد وضع له الدكتور محمد شرف لفظ (تور) ومعناه الرسول بين القوم وانما يسهل تخصيصه للمعنى العلمي لندرة استعماله بمعنى الرسول في الكلام العربي او الكتابة فالتور اذاً مادة تولد في ناحية من الجسم وتنتقل الى نواح أخرى من الجسم في مقادير يسيرة جداً فتحدث تأثيراً فسيولوجياً معيناً

اما الفيتامينات، فهي مواد كيميائية معينة يحتاج اليها جسم الحيوان ولكنه يعجز عن تركيبها<sup>(١)</sup> الا أن الحيوانات تستطيع الحصول عليها من النباتات لان في وسعها ان تصنعها نتيجة لفعل التركيب الضوئي Photosynthesis . والفيتامين كالتور يحتاج اليه الجسم لانه يحدث فيه افعالاً فسيولوجية معينة . أما التور فتولده اعضاء الجسم . وأما الفيتامين فيجئ من الخارج عن طريق الطعام الذي يحتوي عليه

والتمييز بين التور والفيتامين ليس حاسماً . فمادة معينة قد تكون توراً لجسم ما وفيتاميناً لآخر . فالحامض الاسوريك (فيتامين C) لا يتولد في اجسام الحيوانات العليا ولا بد لها في سبيل الحصول عليه من تناوله من الخارج . الا أن الجرذ يستطيع ان يركب هذا الحامض في كبده فهو اذاً من اتوار جسم الجرذ حالة انه فيتامين بالقياس الى الحيوانات العليا

ولا يخفى ان من مظاهر النمو في النبات ، كاتش البزرة واستطالة الفرخ وتفتح الزهرة ما سببه كبر حجم الخلايا النباتية . وكبر حجم الخلايا يتأثر بعوامل داخلية متعددة في مقدمتها مادة كيميائية معينة ، هي في الحقيقة تور يدعى اوكسين Auxin . فلننظر الآن في بعض التجارب

(١) راجع مقال الدكتور جيمز بونر Bonner في المجلة الشهرية العلمية عدد نوفمبر ١٩٣٨ صفحة ٤٣٩ في آخرها وعليه الاعتماد في هذا التلخيص



التي اجريت لاثبات فعل هذه المادة وانه شبيه بفعل « التور » في جسم الانسان عندما ينمو فرخ الزمير ( او الشوفان Oats ) يحيط بكل ورقة من اوراقه غمد مفرغ يدعى Coleoptile . هذا الغمد يستطيل من ملعتر واحد او ملعترين الى اربعة ملعترات ولا يحدث انشطار الخلايا خلال مدة الاستطالة الا قليلاً . فجّل نمو الغمد هو استطالة في خلاياه

\*\*\*

فدراسة العوامل التي تؤثر في نمو الغمد واستطالة خلاياه تصلح ان تكون مجالاً لتجريب التجارب بغية الوقوف على تأثير الاوكسين فيهما . وغمد ورق الزمير لا ينمو من طرفه ولا من قاعدته بل من الوسط اذ تستطيل المنطقة المتوسطة بين الطرف والقاعدة . فاذا ازيل طرف الغمد اي اذا قطع رأسه نقص معدل النمو في المنطقة المتوسطة نقصاً كبيراً . ولكن اذا اعيد الطرف المقطوع بعيد قطعه ووضع على الغمد الذي قطع رأسه ظهر ان النقص في معدل النمو لا يكون بيناً . واذا فرّس الغمد يؤثر في معدل نمو المنطقة المتوسطة ، وهذا التأثير يمكن نقله ولو قطع الرأس وأعيد وضعه على المقطع . بل اذا وضع غشاء رقيق من الهلام ( الجلاتين ) بين الرأس المقطوع ومقطع الغمد استطاع الرأس ان يحدث التأثير نفسه . واذا اخذ الرأس المقطوع ووضع على جانب الغمد احدث تأثيره المعروف ولكن التأثير يقتصر على الناحية التي وضع عليها ، فيزداد نمو هذه الناحية ويفوق نمو الناحية الاخرى ، وكذلك ينحني الغمد ولكن كيف نعلم ان تأثير الرأس في نمو المنطقة المتوسطة يرجع الى مادة كيميائية هي من قبيل الانوار التي تفرزها الغدد الصم في الجسم . هذه الناحية من البحث تعهدا الاستاذ Went بتجربة اصبحت مثلاً يحتذى في مثل هذه البحوث

\*\*\*

ازال الاستاذ ونت رأس الغمد اي قطعه ثم وضعه على طبقة من الاجار agar وهي المادة التي تستعمل في المعامل البكتريولوجية لاستنبات الجراثيم . ثم رفع الرأس المقطوع عن الاجار ونبذه ثم وضع طبقة الاجار على مقطع الغمد فأحدثت أعراض النمو في منتصف الغمد . أي ان العامل الباعث على النمو في رأس الغمد انتقل الى الاجار ومنه الى منتصف جسم الخلية النباتية . واذا يصح القول بأن أعراض النمو هذه سببها مادة كيميائية أما الطريقة الكمية quantitative لتعيين « عامل النمو » فنقوم على أخذ مكعب من الاجار الذي تطرقت اليه المادة الكيميائية وإلصاقه بجانب الغمد عند منتصفه فينمو من هذه الناحية أكثر مما ينمو من الناحية المقابلة فينحني فيقاس انحناءه ويتخذ انحناءه مقياساً لمقدار ما في



المكعب من عامل النمو . فاذا طبق هذا الاسلوب تطبيقاً دقيقاً كان في الوسع قياس تركيز مادة النمو هذه في الاجار قياساً لا يحتمل من الخطأ أكثر من ٥ في المائة

والعلماء الباحثون يعلمون الآن ان مقدار هذه المادة في رأس الغمد صغيرة جداً . فاذا قضي عشرون رجلاً ١٢٥ سنة ولا هم لهم الا قطع رؤوس الاغمد من ورق أفراخ الزمير لكي يستخلص منها « عامل النمو » هذا لما كفى ما يقطعون الا لاستخلاص ما وزنه غرام واحد الا ان الباعث على الاستغراب ان بول البشر يحتوي على مقادير غير يسيرة من هذه المادة وقد بدأ باحثان من علماء الكيمياء العضوية بهولندية اسمهما فرتز كوجل Kogl وهاجن سمت Haagen-Smitt يبدلان ما في طاقتهما من الحيلة العلمية لاستفرادها من البول . وكانا يطبقان طريقة المكعب « الاجاري » في امتحان المادة التي يستخلصانها في كل مرحلة من مراحل البحث وبعد ان ركزا المادة البولية التي شرعا في بحثها مائة الف مرة تمكنا من الحصول على مادة مبلورة اذا وضع منها مقدار يسير جداً (  $2 \times 10^{-11}$  من الغرام ) في مكعب اجاري ووضع هذا المكعب ملائماً لمنتصف الغمد ( في فرخ الزمير ) انحنى الغمد مقدار عشر درجات . وقد استخلص هذا الباحثان مقداراً لا يكاد يبلغ وزنه غراماً ولكنه مع ذلك كان كافياً للبحث الكيميائي فيه بغية معرفة تركيبه الكيميائي . وقد أطلق كوجل عليه اسم أوكسين Auxin او بالحري أوكسين — (١) لان هناك مادة أخرى تشبهه وانما يختلف تركيبها الكيميائي عنه بعناصر جزئية من الماء وقد دعي أوكسين — (ب)

\*\*\*

وبعد استفرااد الاوكسين استفردت مادة اخرى تؤثر في نمو الخلية النباتية ضعفي تأثيره وهي تعرف باسم « الحامض إندول — اسيتيك » . الا ان هذه المادة لا تتولد في النباتات العليا ولكنها تتولد بفعل البكتيريا والعفن نتيجة ثانوية لفعل التمثيل فيها . غير ان تركيبه بالتأليف الكيميائي في المختبر الكيميائي مستطاع ولذلك مهد كشفه الى تجربة التجارب بعامل آخر من عوامل النمو الداخلية في النبات

ولست ناحية الاستطالة في خلايا النمو هي الناحية الوحيدة التي يسيطر عليها الاوكسين بل هو يسيطر كذلك على ناحية نموها من حيث اتجاهها الى الشمس او الجاذبية أو انحرافها عنها Phototropism فالمعروف انه اذا وقع ضوء الشمس على النبات كان نموه حيث هو متجه الى الشمس اقل منه حيث هو منحرف عنها . وقد ثبت الآن انه يمكن تفسير ذلك بتوزيع الاوكسين في النبات نفسه ولذلك تجربة خاصة أشبه بالتجارب السابقة انضرب الآن صفحاً عنها



## ٢- الطائرات الطخرورية<sup>(١)</sup>

رنا الانسان الى الطيور ساجحة في الفضاء فطمح الى مجاراتها . فلم يستتب له ذلك الا في القرن العشرين . فلما استقام له الطيران بأجهزة أثقل من الهواء في مسهل هذا القرن اتخذ أولاً وسيلة للريضة ثم طريقاً من طرق المواصلات . ولو لم تكن الطائرات أسرع من القطارات والسفن لما تعرض الانسان للعنارة في ركوب منها . فالسرعة من أهم البواعث على العناية بالطيران . وقصب السرعة الآن يبلغ نحو ٤٤١ ميلاً في الساعة . او نحو ٦٤٦ قدماً في الثانية وهي سرعة تبلغ نصف سرعة الرصاصة المنطلقة من فوهة مسدس . واذا القينا بجسم من قذبة بناية « الامير ستيت » بنيويورك البالغ علوها ١١٠٠ قدم تقريباً كان متوسط سرعته بين القمة ووصيف الشارع نصف سرعة أسرع الطائرات ، حتى اذا صرفنا النظر عن مقاومة الهواء له في هبوطه . ولا يمكن ان تبلغ سرعة جسم هابط من على سرعة أسرع الطائرات الا اذا ألتقي من قمة ارتفاعها ٦٤٠٠ قدم

إلا ان السرعة العملية للطائرات المستعملة الآن تبلغ نحو ١٦٠ ميلاً في الساعة للطائرات التي تحط على الارض و٢٠٠ ميل في الساعة للطائرات المائية او « السفن الطائرة » . وهي سرعة لا بأس بها بالقياس الى سرعة القطارات والسفن . فهي تفوق أسرع القطارات ضعفين وأسرع السفن نحو سبعة اضعاف . ومن المرجح — في رأي سيكورسكي المشهور بهندسة الطائرات وصنعها وعنه تلخص من مقال نشر له في مجلة جنرال اليكترنيك — ان الاعتبار العملية ستجعل سرعة الطائرات التجارية في العقد المقبل تتفاوت بين ٢٠٠ ميل و٣٠٠ ميل في الساعة

\*\*\*

لا يخفى ان سرعة الطائرات زادت تسعة اضعاف في الثلاثين السنة الاخيرة وعلى هذا القياس زعم بعضهم ان سرعتها ستبلغ خلال ربع القرن المقبل ألف ميل في الساعة . إلا أن البحوث الحديثة قد أثبتت ان انسياب الهواء حول أجنحة الطائرات يتغير عندما تبلغ سرعة الطائرة سرعة الصوت أي ٧٦٢ ميلاً في الساعة عند مستوى سطح البحر . والتأثير الضار لهذا التغير في انسياب الهواء يبدأ في الظهور عند ما تبلغ سرعة الطائرة ٥٠٠ ميل في الساعة .

(١) الطبقة الطخرورية تقابل stratosphere . والطخارير في لسان العرب من السحاب قطع مستدة رقائق واحدها طخرورة . وهذا الوصف يقابل المراد من لفظ Cirrus في وصف الغيوم . وهو ضرب من الغيم يكثر في المنطقة العالية من الهواء الموصوفة بلفظة « ستراوسفير » الاعجمية فدعيناها به



فاذا جمعنا الى ذلك أنه اذا زادت سرعة الطائرة على ٤٠٠ ميل في الساعة زادت نسبة ما تحتاج اليه من الوقود وأنه اذا تعدت السرعة ٥٠٠ ميل في الساعة نقصت كفاءة المحرك ، أصبح من المحتم علينا ان نقرر ان سرعة الطائرة العملية قد لا تتعدى ٥٠٠ ميل في الساعة زمناً طويلاً

واذا التفطنا من اقصى سرعة الطائرات الى اعلى ما حلق اليه الطيارون ظهر لنا ان قصب السبق في هذا الميدان للبلون لا للطائرة . ذلك ان ضابطين من ضباط الجيش الاميركي حلقا ببلون الى ارتفاع ٧٢٣٩٥ وذلك في سنة ١٩٣٥ فعند ما بلغا ذلك المرتفع كان ٩٥ في المائة من كتلة الغلاف الغازي الذي يحيط بالارض تحتهما . والخمسة في المائة الباقية فوقهما وهي هواء لطيف اللطف كله . اما قصب السبق في التحليق بطائرة اقل من الهواء فللضابط البريطاني آدم وهو ٥٣٣٩٧ قدماً . ولذلك اتجه نظر المهتمين بشؤون الطيران الى امكان الارتفاع بالطائرات الى ٣٠ او ٣٥ الف قدم فتطير حينئذ في جو اللطف من الجو الذي على ارتفاع عشرة آلاف قدم فتزيد سرعتها زيادة كبيرة من غير ان يقابل ذلك زيادة مماثلة في الوقود التي تحرقه

وقد كانت الصعوبة من بضع سنوات في صنع طائرات تستطيع الطيران في هذا الجو اللطيف ولكن المهندسين والمخترعين تمكنوا من التغلب على هذه المصاعب الفنية . وغدا الحد الذي تستطيع الطائرات التجارية الارتفاع اليه للسفر التجاري مقيداً بقدرة الركاب الصحية لا ببناء الطائرات الفني . فمعظم الطائرات الحديثة تستطيع الطيران على ارتفاع عشرين او خمسة وعشرين الف قدم ومع ذلك فلما تراها تتجاوز في تحليقها ارتفاع ١٢ الف قدم الى ١٥ الف قدم . وسبب ذلك ان ضغط الهواء على القدم المربعة عند سطح البحر يبلغ ٢١١٦ رطلاً . والرجل السليم يستطيع ان يتحمل انخفاض الضغط بغير تعب يذكر اذا بلغ الضغط ثلثي الضغط السوي اي أنه يستطيع الارتفاع بطائرة الى علو ١٠٥٠٠ قدم حيث يكون الضغط ثلثي الضغط على سطح البحر . ثم اذا ازداد الارتفاع وقلَّ الضغط من ثلثي الضغط السوي الى نصفه ازدادت المصاعب التي يعرض لها وفقاً لحالته الصحية . وقلَّ من الناس من يستطيع العيش حيث يكون الضغط اقل من نصف الضغط السوي على سطح البحر . والضغط على سطح البحر ينقص الى النصف عند ما ترتفع الطائرة الى علو ١٨٠٠٠ قدم . فكل طيران يتم فوق مستوى ١٨٠٠٠ قدم يقتضي بناء خاصاً في الطائرة يجعل الضغط داخلها اكثر مما هو في الخارج

وعلى الرغم من المصاعب الهندسية التي تعترض صنع طائرات من هذا القليل يعتقد سيكورسكي ان صنعها أصبح ممكناً ولكن ذلك يفضي الى زيادة وزن الطائرة ونفقات الطيران . ففي الامكان على ما يقول ان تصنع طائرة ذات حجرة محكمة الاقفال يضغط فيها الهواء باجهزة آلية بحيث



يكون الضغط داخلها مقابلاً للضغط على ارتفاع ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ قدم. وهذا يعني ان الضغط خارج الحجره يكون ٧٨٥ رطلاً على القدم المربعة اذا كان ارتفاع الطائرة ٢٥ الف قدم حالة ان الضغط داخلها لايزيد على ١٥٧٢ رطلاً على القدم المكعبة

ولذلك يجب ان تكون هذه الحجره متينة البناء يصح الاعتماد على متانتها لانه اذا اختلف فيها ما افضى الى نقص الضغط داخلها كان ذلك سبباً في ازهاق ارواح بريئة لانه اذا ندر بين الناس من يستطيع الصبر على الضغط الخفيف على ارتفاع ٢٥ الف قدم فلن يقوى على تحمله أحد اذا كان الارتفاع ٣٥ الف قدم او فوق ذلك

أما الفوائد التي تنشأ عن الطيران في الطبقة الطخورية من الهواء فأهمها فائدتان زيادة السرعة بغير زيادة ما ينفق من الوقود، والطيران فوق منطقة الاضطرابات الجوية لان حالة الهواء على هذا الارتفاع مستقرة فيفضي ذلك الى راحة المسافرين والدقة في تنفيذ برامج السفر. وهاتان الفائدتان يجعلان السفر الجوي في الطبقة الطخورية مستحباً والغالب ان يصبح تحقيقه ممكناً في المستقبل القريب

ويعتقد المخترع سيكورسكي ان حجم طائرات المستقبل لا حد له من الوجهة الهندسية. ولكن العوامل الاقتصادية وضرورات السفر تقتضي ان لا تكون الطائرات بالغة مبلغاً عظيماً من الضخامة. فالسفر الجوي مطلوب لانه سريع. والسرعة تقتضي ان يكثر قيام الطائرات في مواعيد معينة. فالخطاب الذي يرسل بالباخرة من نيويورك الى لندن قد يستغرق خمسة أيام أو سنة. فاذا كانت الطائرات ضخمة ولا تقوم من نيويورك الى لندن الا مرة كل ثلاثة أيام — حتى يتم لها وسق كافٍ — استغرقت رحلة الخطاب بين الانتظار ومدة السفر نحو أربعة أيام فتتقص بذلك قيمة البريد الجوي ولكن اذا كانت الطائرات معتدلة الحجم وتقوم كل يوم كان في الوسع ان ينقل الخطاب من نيويورك الى لندن في يوم واحد او أقل

ثم هناك كفاءتها من الناحية الاقتصادية كمنافاة للركاب، فاذا كانت السفينة تنقل ٢٥٠٠ مسافر من نيويورك الى لندن في أسبوع، فقد يخطر لنا انه لا بد من ٢٥ طائرة تنقل كل منها ١٠٠ مسافر لتحل محلها وتؤدي الخدمة نفسها. والواقع ان خمس طائرات تكفي لانه اذا كانت السفينة تقوم بسفرة واحدة بين المدينتين في أسبوع فالطائرة تستطيع ان تقوم بخمس سفرات في المدة عينها. وانما المهم ان تكون أجرة السفر بحيث يكون وسعها من بريد وركاب كاملاً في كل سفرة تقوم بها والا تعرضت الشركة التي تديرها للخسارة

وهذا يبين ان العوامل الاقتصادية ستكون ذات شأن كبير في تعيين حجم الطائرة وسعها بل ان تنفيذ حيلة المهندسين في تكبيرها



ثم هو يعتقد انه في الوسع صنع طائرات او سفن طائرة يكون حملها ٥٠٠ طن أو حتى ألف طن وتوسع لآلاف أو أكثر من المسافرين . ولكنه يعتقد في الوقت نفسه ان صنع مائة طائرة يكون محمول كل منها ٢٥٠ طنًا وتكثر مواعيد قيامها وسفرها يسدي الى السفر الجوي خدمة أعظم من الخدمة التي تسديها بضع طائرات ضخمة وان هذه الطائرات ( التي محمولها ٢٥٠ طنًا ) ستبقى عماد السفر الجوي خلال الخمس والعشرين السنة المقبلة . والراجح عنده ان الطائرات البريدية لا تتعدى خلال هذه المدة ٥٠ طنًا الى مائة طن

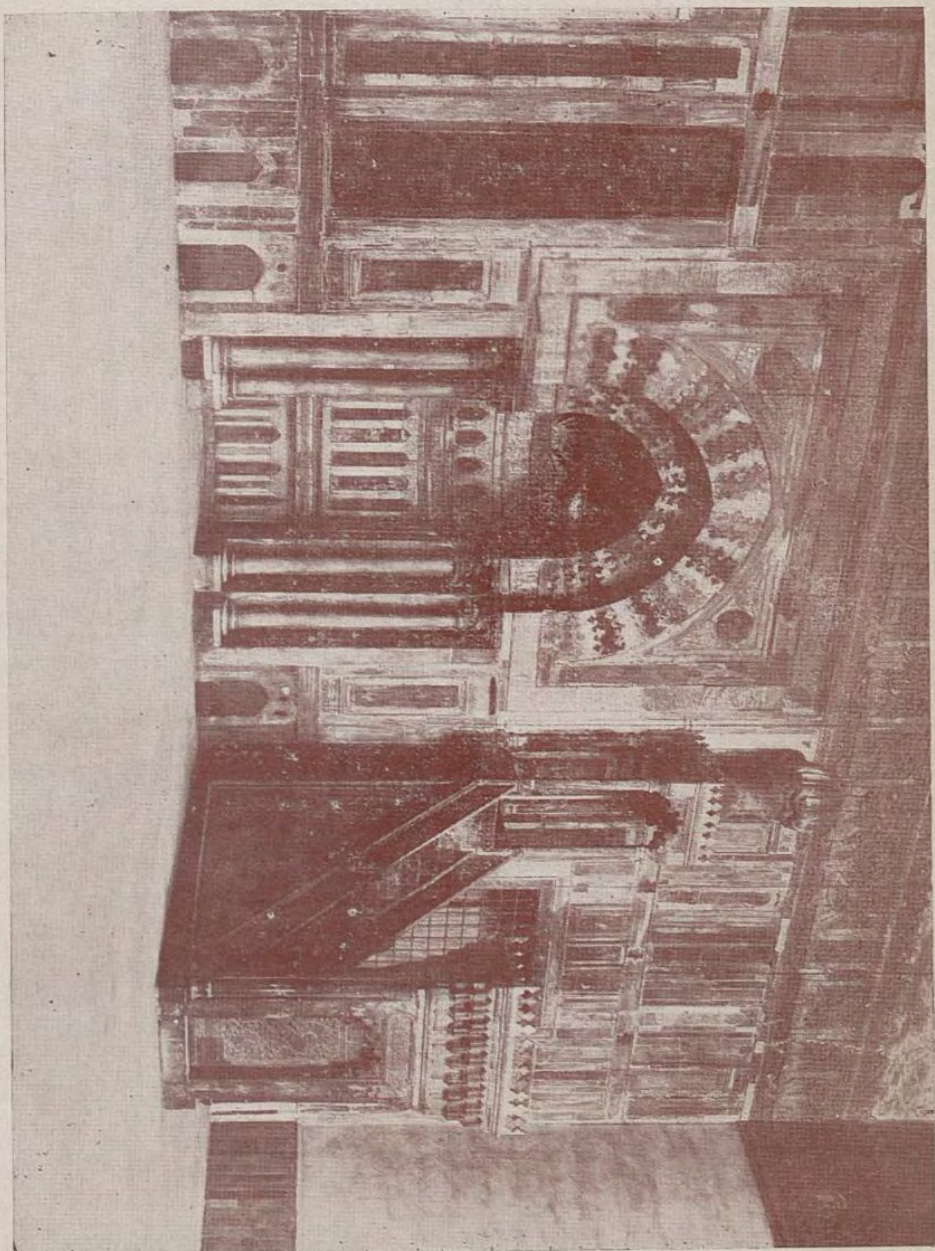
أما السفينة الجوية التي محمولها مائة طن فتحققها منتظر — في رأيه — في المستقبل القريب . فهو يزعم انه لا تقضي سنوات حتى يصبح في الوسع اجتياز المحيط الاطلسي في عشرين ساعة في طائرات تحتوي كل منها على خمسين حجرة كحجر السفن الفخمة وهو لتناول الطعام يمكن ان يتحول مرقصاً في الليل وحجر خاصة بالتدخين ومكتبة اي ان السفينة الجوية المرتقبة في المستقبل القريب لا تختلف كثيراً عن نخت فاخر

وتصميم سفينة جوية من هذا الطراز يقتضي ادخال عناصر هندسية مستحدثة . فقوة الطيار العضلية لا تكفي لتحريك الاجهزة المسيطرة على حركة الطائرة ولذلك يجب ان تدار هذه الاجهزة بأساليب ميكانيكية . وبدلاً من ان تكون الاجهزة المولدة للقوة المحركة في مقدمة الطائرة لا بد في ابوابها في الاجنحة في غرف خاصة بها حيث يشرف على مراقبتها ميكانيكيون مختصون . ولا بد كذلك من اجهزة لتغذية المحرك عند الطيران في الطبقة الطخورية وأخرى لضبط الحرارة في حجر المسافرين ولا سيما لتدفئتها عند ما تمضي الطائرة بسرعة ٢٥٠ ميلاً في الساعة في جو قد تبلغ درجة برده خمسين درجة مئوية تحت الصفر

الآن ان هذه المسائل الهندسية أصبحت خبز مهندسي الطيران وماءهم وسيكورسكي لا يستبعد مطلقاً ان ينتظم السفر الجوي في الطبقة الطخورية في سنة ١٩٥٠ فيغدو في مكنيتك ايها القارئ الكريم ان تطير من اميركا الى اوربا في ١٥ الى ١٨ ساعة وفي اليوم التالي الى شرق آسيا او استراليا او ان تشترك مع غيرك في رحلة من نيويورك الى القطب الشمالي ، او منها الى مجاهل الامازون ، ذهاباً واياباً فتستغرق من ثلاثة ايام الى أربعة

وقد يكشف شيء جديد في خلال ذلك يحتم على مهندسي الطيران ان يغيروا كثيراً ما يتوقعونه . فاذا كشفت طريقة اقتصادية مأمونة الجانب مثلاً لاستعمال الايدروجين السائل وقوداً أفضى ذلك الى تغيير كبير في الطيران التجاري البعيد المدى اذ يصبح في الوسع حينئذ ان تطير الطائرة المدفوعة بهذا الوقود حول الارض عند خط الاستواء بغير ان تحط على الارض لتلاً أحواضها بالبنزين !!





المئبر والحراب في جامع السلطان حسن



# جامع السلطان حسن

جلاله الفني ووضعه الهندسي

د. رستم هاستور فييت

مدير دار الآثار العربية

يعتقد غالب الناس ان عالم الآثار ليس الاً معجماً خاصاً تستمد منه التواريخ والمقاييس وأسماء الاعلام في دقة عجيبة . ولكن ثمة بعض المبالغة من غير شك في اعتبار هذه المعلومات أهم ما في جعبة عالم الآثار ، وانما هي أدوات ضرورية لا غنى عنها ومثلها كمثل ستائر المسرح وما إليها . وقد كتب أحد رجال الجمع العلمي الفرنسي المعروفين بنقدهم اللاذع « ان السياح كالبيوم لا يلازمون غير الخرائب والبلاد الميتة » . فلنشكره على انه لم يقصد علماء الآثار بهذا الكلام . فالواقع ان المستندات الاثرية والحجرات العلمية ليست غرضاً في ذاتها وانما هي تضاعف لنا أسباب الولع بالجمال وتبعثنا على تحييه الى قلوب الناس

ان الطريق التي سلكها عالم الآثار وان كانت موازية للطريق التي سار عليها المؤرخ الاً اننا نلاحظ أحياناً ان كتب التاريخ لا توقفنا من حياة الامة الاً على معلومات مشوهة جداً بينما المظاهر الفنية تسمح لنا بتكوين فكرة عنها أشد انطباقاً على الواقع وأكثر صدقاً وكما ان قراءة كتاب نفيس في وصف اقليم ما تبعث في قلوبنا رغبة شديدة وتفرينا بزيارة ذلك الاقليم لاجتلاء محاسنه ، فكذلك الاعجاب بعمل فني يهيئ لنا أسباب تكوين فكرة صحيحة عن البيئة التاريخية التي ولد فيها ذلك العمل الفني وعن مصدر وحي المبدع الذي صورته وأخرجه الى حيز الوجود

وهل ثمة أجل وأبهى من مسجد السلطان حسن كعمل فني بديع يمكن اجتلاؤه وتأمله ! انه لا بدع آثار القاهرة وأكثرها تجانساً وتماسكاً وكلاً ووحدة ، وأجدرها بأن يقوم بجانب تلك الآثار المدهشة التي خلقتها مدينة الفراغة . أما الظروف التاريخية الحزنة التي شيد فيها فهي كفيلة بأن تزيد عاطفتنا وتبعث أشواقنا وذلك على الرغم مما فيها من مفارقات تحير الالباب . والحق انه ليس من الهين ان نصدر حكماً على عصر سلاطين المالك اذ لا نستطيع ان نكتب



تاريخهم دون ان يكون للعاطفة دخل في الموضوع . ومرد العيب في ذلك الى المصادر العربية فالمقريزي في العصر الوسيط والجبرتي في العصر الحديث كتبهما مليئة بالمطاعن والمثالب التي لها في بعض الاحيان نصيب من الصحة . والتاريخ لا يمكن ان يكتب مجرداً عن الوقائع كالمسائل الحسابية وانما يجب ان يدرس في علاقته بجماعة او عدة جماعات انسانية . ومن درس المسائل السياسية الداخلية وحدها في مصر في ذلك العصر لا بد واجد فيها من المآخذ والمثالب ما لا بد من وقوعه . فالماليك كما يقول المقريزي كانوا يخلون بالامن ويهاجمون السكان ويذبحونهم وينهبون أموالهم ويسبون نساءهم وأولادهم دون ان يستطيع كئن من كان ان يفقههم عند حدهم وقد كتب غيره يشرح ما كان في نفوس كبار الضباط من أطباع أساسها المصالح الشخصية وحدها ويدلل على جهلهم وصلفهم وفساد خلقهم وان أولئك الرقيق لم يؤتوا من الطيبة ولا من الرحمة مثقال ذرة

غير ان هذا النقد وان كان صواباً فاننا ننسأ حينما نتأمل الاعمال الفنية التي ابتدعها أولئك الحكام الذين أخضعوا مصر لحكم فردي لا يعرف هواة ولا رحمة . وانك لو اجدت في القاهرة حقاً أحجار البناء ناطقة تشدو بعظمة الماضي . وانما لا نفتأ نبحت بأنفسنا في الازفة الضيقة عن مسجد بسيط فتأمل به بأعيننا وكان جماله قد استحال الى نغمات رقيقة في آذاننا . وعلى طول الطريق بين الجامع الازهر وسور القاهرة الشمالي سلسلة من الجوامع وكأنها نغمات منسجمة متآلفة حتى اذا ما وصلت الى آخرها وجدت أثراً عظيماً . ولكن ما أخف وما أعظم ذلك النشيد المنبعث من ابراج جامع السلطان حسن التي تتحدى النظر وتحول دون امتداده !

واذا قلبنا الصفحات الجيدة التي سطرها سلاطين مصر في سجل السياسة استوقفنا السلطان حسن وتجلي لنا رمزاً جديراً بالذكر يعبر أصدق تعبير عن نظام الماليك فالسلطان حسن هو الصورة الحية الملموسة لذلك النظام الامبراطوري الاسلامي في العصور الوسطى . وهي صورة تمثل بقوة عناصرها الارادة الحديدية والشهامة الخالدة التي امتاز بها أكثر سلاطين الماليك

ولقد طعن المؤرخون العرب ذلك النظام من حيث لا يشعرون واللوم في ذلك واقع على طريقة التأليف العزيزة عليهم فهم مغرمون بشطر القرون سنين وتجزية الكليات تجزئاً عماده سرد تاريخ الافراد بدون رابطة تربط الجزئيات ولا وحدة تنظمها

وعلى كل حال فان فترة حكم السلطان حسن ، أو على الاصح فترتي حكمه ، اذ انه عزل مرة ، لمن أشد فترات التاريخ هياجاً واضطراباً . ففي المدة من شهر يونيو ١٣٤١ الى شهر ديسمبر ١٣٤٧ الذي هو تاريخ تولية السلطان حسن العرش ، تولى أريكه الملك ستة سلاطين



وجد أحدهم ميتاً في فراشه وعزل الثاني لحسن حظه وقتل الأربعة الآخرون . ثم حكم السلطان حسن مرتين من ديسمبر ١٣٤٧ الى أغسطس ١٣٥١ ثم من أكتوبر ١٣٥٤ الى مارس ١٣٦١ ثم قتل ولم يكن قد بلغ السابعة والعشرين وكان زمناً مليئاً بالمؤامرات والثورات التي لا تختلف عما حدث قبل توليته

فأما مدّة الحكم الاولى فقد انتشر فيها ذلك الطاعون الاسود المريع من سنة ١٣٤٨ الى ١٣٤٩ وامتد الى اوروبا الجنوبية ، وفي غضون الفترة الثانية كان الضباط الماليك لا ينفكون عن اثاره الشعب والاخلال بالنظام . وانا نذكر من الامراء شيخون وصرغتمش المشهورين اذ خلفا من الآثار ما زاه اليوم على مقربة من جامع السلطان حسن . وقد أقرّ المؤرخون بما كان للسلطان من مزايا خلقية كالشجاعة والعزيمة والورع وفسروا الورع باقباله على كتاب في الدين ينسخه وهو في السجن

وعلق ايبرس Ebers على تلك الحوادث قال :

« انا لا نفهم في سهولة ، اذا نظرنا الى تلك الايام العصيبة ، كيف تمكن السلطان حسن من توفير الوسيلة والقوة اللازمة لاقامة جامع يعد بحق أخم وأكمل بناء في العجالة العربية ، فقد كانت الحقول مجدبة والبيوت من الخدم خالية والظلم لا يجد ماء ودولاب الصناعة واقفاً وأسعار السلع هابطة »

أمر السلطان حسن في الفترة الثانية من حكمه سنة ١٣٥٦ بالبدء في بناء جامع الذي لم يكمل الا سنة ١٣٦٣ أعني بعد وفاته بسنتين . وقد تحمس كتّاب المصور الوسطى من العرب في وصف ذلك الاثر الجليل واعجبوا ايما اعجاب بمساحته الهائلة وحدوده المترامية ومخطيطه العجيب ومظهره الأخاذ وعلو ايواناته وقطر قبة وخفامة بابه ، وقالوا ان السلطان كاد يعدل عن العمل لضخامة التفقات ثم قرروا في الحثام ان ليس في بلاد العالم ما يضارعه . نشط العمال سبع سنين متوالية وكاد اليأس يستولى على السلطان لولا ان خشي ان يقال ان سلطان مصر غير قادر على اكمال بناء شمرع في اقامته ، ولم تكن المصاعب مالية فحسب بل اعتور العمل بعض المصاعب الفنية إذ كان التصميم ان يكون للبناء أربع مآذن فلما كملت المآذنة الثالثة سقطت فاكتمت بالمآذنتين . وقد دهش الكتّاب العرب من عظمة البناء فسجوا حوله رواية عجيبة إذ قالوا : استدعى السلطان المعماريين من انحاء الدنيا وأمرهم بأن يقيموا بناء منقطع النظير وان يستوحوا فيه أعظم بناء في العالم كله ألا وهو إيوان كسرى بالمدائن فشرعوا في البناء على مثاله ورفعوا الجامع الى علو شاهق دونه ذلك الايوان فدهش السلطان وبهره العمل العظيم الرائع فأمر بقطع يدي ذلك المعماري الذي



أقامه لئلا يختط بناء آخر على مثاله . ولا نقف عند هذه الخرافة طويلاً فهي لاصقة بمباني أخرى كجامع قجماس

قال هرزان مساحة جامع السلطان حسن عظيمة فأطول الاضلاع ١٥٠ متراً وعرضها ٦٨ متراً والمساحة الكلية لا تقل عن ٧٩٠٦ أمتار مربعة وارتفاعه عند بابيه ٣٧ و٧٠ المتر. وحيطانه الضخمة المكسوة من الخارج بالاحجار المنحوتة قائمة على أرض صخرية تهبط هبوطاً هيناً من القلعة نحو المدينة ولذا فقد اضطروا الى إقامة أسس متينة شيد عليها الجامع ...

وكان هذا الجامع مدرسة دينية وقد نشأ هذا النظام في بلاد ايران على يد الدولة السلجوقية التي عنيت بنوع من التعليم مقصود به محاربة الانقسامات والمذاهب العقلية التي تجاوزت الحدود، فالمدرسة وهي المعهد الرسمي لدين الدولة صارت نظاماً سياسياً وحصناً للدين كما أسماها كاتب عربي ووضعت البرامج الجديدة على ضوء المبادئ التي أتى بها الامام الغزالي الشهير فتوطدت بها دعائم السنة الصحيحة . ثم انتشرت المدرسة غرباً من بلاد ايران الى سوريا فصر وفيها تكونت العقول التي عملت على مقاومة الصليبيين والمغول ومن أثرها السياسي انقاذ الاسلام وتكوين وحدة مدهشة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر

\*\*\*

والى القارىء قصة عجيبة قصها مؤرخ عربي قال : زار السلطان سليم الاول عقب غزوه مصر سنة ١٥١٧ بهض آثار القاهرة فأعجب إعجاباً بجامع المؤيد الجدير بالملك على حد عبارته ثم دخل جامع الغوري فانتقد البناء وقال في دعاية انه يكاد يكون متجراً ولكن لما رأى جامع السلطان حسن أدهشه البناء العظيم، وهو العارف بأساليب العمارة فقال انه لخصن متين حقاً . وحسب مشيد الجامع مكافأة وحسن جزاء هذه العبارة التي تنطق بالحق

والارض التي اختيرت لاقامة البناء واقعة تجاه القصر الحصين الذي يشرف على مدينة القاهرة وقد عرف المعماري كيف يستوحي من هذا الموقع تصميمه البناء وكأن الفكر كان متجهاً الى تأسيس بناء يتحدى القلعة بأسوارها الدائرية في قوة فأقام المعماري بناءً مشمخراً . وترى القلعة تستطيل وكأنها تتحفز للهجوم . وأما الجامع فيعلو ويشمخ في هدوء وكبرياء وكأنه يريد بالقلعة بطشاً . وهو في مكانه بارز بروزاً بفضل ما بينه وبين القلعة منافسته من ساحة فسيحة والبناء بما فيه من مدرسة دينية لها تعاليم سياسية متصلة بمذهب الحكومة السني ، يبدو بناءً حربياً ويدل دلالة واضحة على اعلانه للحرب دون هوادة ولا رحمة على الزندقة والخلافات المذهبية . وأراد المعماري العبقرى الذي صممه ان يكون بناءً ضخماً قائماً أمام قلعة القاهرة ومدرسة حكومية فجمع بين الغرضين جمعاً عجيباً فدل بعمله على العظمة الحربية وما كان الاسلام من قوة



ثقافية وأضاف النبوغ المعماري الى قوة التعاليم السنية قوة أخرى عبر عنها بأسلوب البناء أدق تعبير . وقد يتساءل المرء اذا ما قرأ تفاصيل التاريخ المعاصر ألم تكن نية الفنان متجهة الى القاء درس خالد في النظام والسلطة . ألسنا نرى فيه نقداً عالياً لسوء النظام والفوضى الاليمة التي كانت منتشرة في شوارع القاهرة وللتقلبات السياسية الشديدة التي تبدو لنا خلال السطور كأنها دوامة شديدة الخطر ؟ يعلو الجامع علواً وكأنه الرقيب الحيار اليقظ وكأنه مثال الرزانة والهدوء ! وليس ثمة اي أثر اسلامي آخر أدل على هذا الغرض وأبلغ في الدلالة . والفنان في الحقيقة كان صريحاً كل الصراحة بل كان صريحاً الى حد الصرامة فقد أتى بأسلوب البطولة العظيمة درساً قاسياً في الدأب والمثابرة على ذلك السلطان الذي لم يكن في مكنه ان يثبت على العرش وكان الموت الزؤام مصيره المحتوم بل لا يزال ذلك البناء حتى اليوم يتجلى حكمه على فساد الخلق . وسنرى كيف ظل ثابتاً يقاوم شرور الرجال وآثامهم

وقد اكتسب جامع السلطان حسن خلال الازمات السياسية قيمة لا شك فيها تدعونا الى التفكير في شأنه . وهو ليس كبقية الآثار الاسلامية التي تمتاز بالرشاقة وتغشاها مسحة من الحزن الهادئ وإنما هو العمل الفني المثالي للتعبير عن علاقة المسلم بخالقه وكأن الانسان لم يرد ان يلتمس به الرعاية الالهية فلم يشيد بناءً متواضعاً بل شيد هذا العمل الحيار للاعلان عن وحدانية الله وجبروته

وتعلو مأذنته علواً شاهقاً فضلاً عن ضخامتها وكأنها بهذه الضخامة تؤكد متانها وان ليس في الامكان ان يناها الاذى . على ان امكان قيام هذا البناء الضخم البديع في ذلك العصر الحافل بالحروب والقتال يذكرنا بالصور الهولندية في القرن السابع عشر وازدهارها على الرغم من الحروب الالهية . وقد اشار الى ذلك الكاتب فروممتان فقال « اذا تخيل المرء ما كانت عليه البلاد في ذلك الوقت العصيب لاندھش ايما دهشة إذ لا يجد في تلك الصور ما يعبر عن عصرها أدنى تعبير ولم تكن للحرب في البر والبحر ولا للحرب الالهية اي صدى او تأثير في صور الفنانين الذين ينتمون الى تلك المدرسة الكبيرة الهادئة ولم تكن اصوات القنابل المدوية التي لم ينقطع أزيزها ، وقد بلغت حتماً آذان هؤلاء ، بمحدثه اي تأثير فيما صوروه وابتدعوه »

\*\*\*

كان تصميم المدرسة الدينية في مصر يرمي الى تهيئة المكان ليكون صالحاً من جهة لتعليم المذاهب السنية الاربعة فضلاً عن اقامة شعائر الدين في الجزء الاوسط من البناء كان يقوم الجامع للفرائض الدينية وفي الزوايا الاربعة كانت تشاد مساكن الاساتذة والطلاب على قدر المال المخصص لها . فترتب على هذا التصميم وجود فراغ حول الصحن الاوسط على هيئة صليب فأمكن



تخصص الايوانات الاربعة لأبهاء الدرس وبهذا التصميم العظيم أراد المعاري ان يحتفظ بشكل المدرسة الصليبي غير انه أدخل تجديدات بينائه في الزوايا الاربع مدرسة مصغرة . ولهذا الابتكار شأن مزدوج فقد رفع من قيمة العمل المعاري بتكوين اصحن صغيرة تحوطها حيطان شاحخة يرتد البصر عنها كليلاً

ان تصميم البناء على وجه العموم فيه نظام واتساق فقد رأينا كيف ان المعاري رأى ضرورة ابعاد التعليم الديني الحكومي عن الضوضاء باقامة اسوار متينة . كانت ابعاد الارض غير مستقيمة في احدى جهاتها فاقام المعاري الباب في هذه الجهة وليست هذه الحالة فريدة في نوعها وان كان الفنان الاسلامي يتخلص من هذا الانحراف بطرق عمادها التجربة وحدها فتتكون انحرافات في البناء مكشوفة ولكن المعاري في هذا الجامع صمم بناءين مرتبطين بدليل من منحن فحدث بذلك محورين المحور الاول متجه نحو مكة ويشمل ايوانات تدريس المذاهب الاربعة وايوان القبلة والقبر . وراعى المعاري في المدخل تشييد عدة مبان مصممة على هيئة صليب مصغر جزؤه الاوسط عبارة عن ردهة مفتوحة من احد جانبيها بدلاً من تصميم مدخل تجاه الباب العمومي مباشرة

وكان كثير من المباني الدينية في القرن الرابع عشر مساجد واضرحة في الوقت عينه فكان المسجد يشتمل على قبر مؤسس البناء . على ان اختيار الركن الذي يضم القبر في مسجد السلطان حسن كان اختياراً تجلّت فيه عبقرية المعاري ، وقد ساعدته الظروف اذ ان توجيه المسجد نحو مكة جعل حائط ايوان القبلة قائماً تجاه القلعة بالضبط وعلى ذلك كان القبر قائماً هناك وكان القصد ان يرمى السلطان مقر ملكه وهو راقد في قبره رقدته الابدية ، وكان فكرة المعاري ان يكون السلطان في مماته اقوى منه في حياته اذ اكسب تلك الوجهة بروزاً جباراً دونها ابراج القلعة وأضفى على تصميم قواعد المآذنين اللتين تحيطان بالقبر لوناً كمل به المظهر الحربي ولكل برج جوانب بين سطوحه وكانها زوايا بارزة ذات حدة عريض وكان الغرض منها صيانة الابراج من فعل المقدوفات الحجرية

وفي سبيل هذا التصميم البديع استعان المعاري باساليب معمارية كثيرة لابرار اهم اجزاء البناء من مدخل وصحن وايوان قبلة ومدرسة وتربة

فاول ما يأخذ العين منه حدوده المترامية وحيطانه العالية الضخمة فهو يختلف بذلك عن ابنية مصر الرشيق في القرن الخامس عشر . ولما لم يكن الغرض الاصلي انشاء حصن فقد دخلت الرقة والجمال في تقدير البناء فهناك اذن عاملان أوحيا الى المعاري بالاسلوب وهما العظمة والوقار ووجه المعاري همه الى ابراز هاتين الميزتين فاكسب البناء هدوءاً واعتدالاً تراها في الاشكال



الزخرفية التي لا اسراف فيها كما تراها ايضاً في بعض السطوح الخالية من الزخارف . وقد روعي في الواجهة ان تبرز هنا وهناك بروزاً يضاف عليها العظمة

اما الكورنيش الذي يتوج الحيطان فيكون من عدة طبقات تتخللها النحل عظيمة المظهر ومن ميزاتها ايضاً ان تحدد البصر فتحسب الحيطان أعلى مما هي على حقيقتها . ولم يكن المعماري يقصد بالواجهة التي تقابل قلعة القاهرة ان تسيطر على الشعور بل كان همه توطيد البناء في الارض وتدعيم اساسه واكتفى بما بينه وبين القلعة من ميدان فسيح ولكن في الجهات الاخرى حيث لا ساحة ولا ميدان يستطيع المرء ان يشمل البناء بنظرة واحدة ، كان همّ المعماري ان يحس الناظر احساساً من نوع آخر فابتكر اسلوباً جديداً للوصول الى غرضه اذ أحدث في الحيطان تجاويف عمودية طويلة ضيقة ركب فيها النوافذ للانارة اللازمة فبهرو وأدهش . ثم ان الكورنيش الضخم الذي بطل على الناظر وكأنه يريد ان ينقض وتلك التجاويف على ما بينها من تباين وتفاوت كل ذلك أحدث الأثر المطلوب في نفس الناظر اذ بدت له الحيطان أعلى مما هي عليه في الواقع مرتين اما المدخل الرئيسي فعليه سياء النيل والفخامة وفتحته التي تتوجها الزخارف المعمارية التي تشبه خلايا النحل تتجلى فيها العظمة وكأن هذا الباب الجبار يقوم بدور الساهر على هذه المدينة التي تبلغ من العمر ألف عام ويحدث أثراً هو أثر العزة والكبرياء في هدوء واطمئنان

وتسير حين تدخل المسجد في دهليز يكسفه الغموض وهو بناء كامل في حدود التصميم العام وله قبة ومحلى بزخارف تتخللها النحل غير ظاهرة في الظلام الذي ينتشر فيها . ويزداد الغموض اذ تسير في دهليز آخر ضيق طوله ثلاثون متراً ينحني مرتين وهو مقبوف فيه فتحات ترى السماء خلالها على بعد بين حائطين مقتربين عالين ثم تسير في طريقك فلا ترى غير السماء بين حيطان ضخمة شاهقة أسفلها مكون من كتل حجرية عظيمة حتى تصل الى باب صغير فتنفذ منه الى الصحن الاوسط فيرتفع الستار فجأة عن منظر ما كان يدور في خلدك فيغمرك النور ويهرك فلا مكان ينتشر فيه الظلام رغم عظم اتساع ابواب القبلة وانك وانت بين حيطان اربعة عالية بيضاء ناصعة لترى السماء الزرقاء وقد اشتدت زرقها هادئة هدوءاً فكان السماء خيال . نعم يهرك النور العظيم ويدهشك علو عقود الصحن فيستولى عليك احساس قوي يعطل فيك لحظة قدرة تحليل العناصر التي يتكون منها ما ترى ، وسرعان ما تأخذ عينك رأس منارة ضخمة

في هذا البلد حيث كانت المباني العظيمة في الزمن الماضي البعيد بمنزلة صدى حاجة نفسية لا سبيل الى مقاومتها ، في هذا البلد حيث الاهرامات وآثار الكرنك المنتثرة بيدو جامع السلطان حسن وكأنه امر غير مرتقب . نعم وفي ذلك الصحن يحس المرء بالضعف والرهبة امام تلك القوة . فليس الجامع بناء شيدته يد الانسان ورفعتة عالياً ليكون بيتاً لله تنبعث منه الصلاة



والدعاء الى العزة الالهية وانما هو كتلة عملت فيه الايدي واقتطعت احجاره وأفرغته لأخراج تلك الايوانات الاربعة المحيطة بالصحن الاوسط

واذا ما سرت نحو ايوان القبلة ثم اجتزته وصلت الى المحراب والمنبر ووجدت على اليمين واليسار باين يوصلان الى تربة السلطان ويشمك الظلام في ذلك المكان وكأن الظلام مهيأ لبعث جو ديني هادى كان مقررأ ان يكتشف الى الابد جثمان السلطان حسن فتأمل وتذكر تلك الحياة المضطربة التي عاشها ذلك السلطان البأس . وتغشانا موجة من الحزن اذ نذكر ان القبر خلو من جثمانه فقد اقتدوه بعد ان قتل فلم يجدوه

حقاً ان جامع السلطان حسن أثر اسلامي من القرن الرابع عشر ومن الطراز المعاري الذي انتشر في مصر وسورية ، ولم تكن المدرسة الدينية نظاماً مبتكراً في الحياة الاسلامية في ذلك العصر وهذا الجامع لا يخرج في تصميمه عن الاسلوب العادي خروجاً ظاهراً فاذا حللنا بعض التفاصيل المعمارية تحليلاً دقيقاً وجدنا عناصر اجنبية . ونستطيع في سهولة تتبع الاشكال الزخرفية وقابليتها للتطور . والحق ان المرء ليحس بالضعف اذا ما حاول الوقوف على اصول هذا العمل العظيم فهو مطبوع بالعمقيرة التي استطاعت ان تمثل عدة اساليب معمارية معروفة في ذلك الوقت فصاغتها وصبتها في قالب جديد . نعم وهذا الجامع سيظل قائماً بذاته خارجاً عن دائرة المؤلف . ولا يمكن ان نعقد بينه وبين الآثار المعاصرة له مقارنة صحيحة لان الابتكار الذي دمغه لقوي جداً فهو نسيج وحده وكان المعماريين الذين اتوا بعده كانوا يخشون ان يستلموا فنونه . وكان الفن الاسلامي في ذلك العصر قد انحول عن الفن القديم وتشرّب بقواعد جديدة فوجد انما معشر الغربيين مضطرين الى بذل الجهد لفهم الفن الشرقي وتذوقه

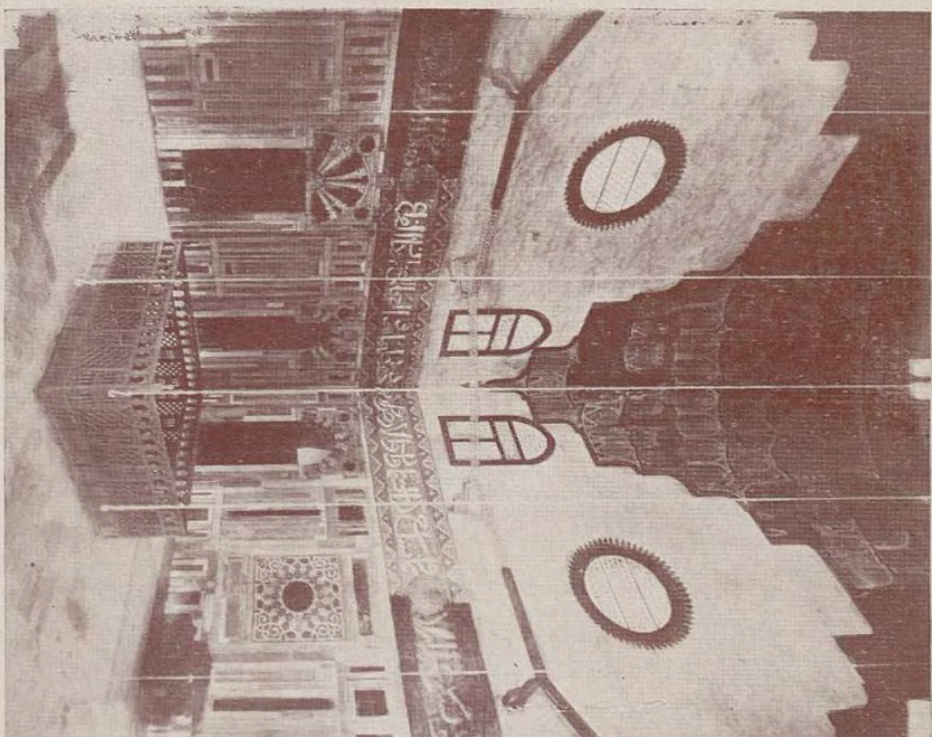
\*\*\*

ان جامع السلطان حسن ليضارع الاعمال العظيمة التي ابتدعتها المدينتان المختلفة وليعد من الاعمال الخارقة للعادة وهو وان كان اقل شهرة من غيره الا انه قد يكون اهم واعظم من قصر الحمراء بغرناطة

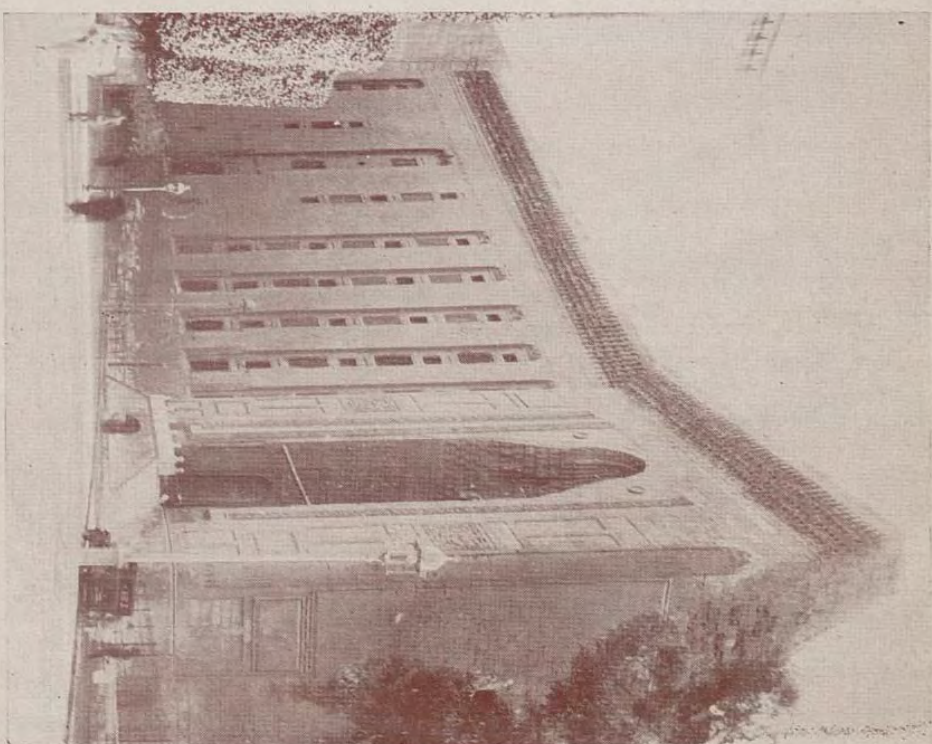
والفن الاسلامي وان بدا عليه التأثر بالنزعات النفسية تشكله حسبما اتفق غير ان جامع السلطان حسن هو رمز القوة الهادئة المفكرة . وشتان بينه وبين تلك التحف العجيبة حقاً القليلة القيمة فعلاً التي تمثل نخامة الفن الاسباني المراكشي

وفي مصر نفسها عندما اخذ اسلوب فن سلاطين المماليك في الميل ميلاً طبيعياً نحو كل ما هو راق جذّاب شاهدنا تفتح زهرة فن جديد ورأينا تحملاً بديعة رشيقة وقطعاً جصية منحوتة بلغت أعلى مراتب الدقة الفنية ومطبوعة بطابع الفنان المخلص في عمله المقبل على صناعته





الضريح في جامع السلطان حسن



جامع السلطان حسن من جانب المدخل العام



ونحن وان كنا نعجب بالزخارف العربية ذات الاشكال الرقيقة غير اننا نلاحظ عليها اسلوب الصنعة العادية المتكررة التي تنتج عدداً عظيماً من النحف تحوز رضاء الشعب وتغمر بها الاسواق ولكننا اذ نشاهد جامع السلطان حسن وما به من الزخارف ندرك ان الفكر قد سيطر على هذا العمل العظيم فأكسبه اعتدالاً ورونةً عظيمين

ولا شك ان العمل العبقري لا يتأتى فجأة وانما هو مرتبط بالماضي مثله كمثل الاعمال العادية وقد يتأثر بالاساليب القائمة بل ان هذا التأثير يحدث في اغلب الاحوال . ويمتاز العمل العبقري بالبساطة الى حد كبير فيحسبها اوساط الناس خالية من كل ابتكار ، وهذا خطأ ويؤيد جامع السلطان حسن صدق قولنا فقد ألف المماري بين القواعد القديمة ومزجها مزجاً نجلت فيه شخصيته وهذا هو عين العبقرية . نعم وبعث المماري في الاشكال روحاً جديدة وفكرة مبتكرة فبرهن على انه قابض على الناصية مسيطر على اسرار المهنة مستخدم أدق الاصول الفنية

ان التوافق لعمل جديد في هذا الجامع العظيم وهو الميزة التي أضفت عليه جماله وعظمته . وقد تم اللحن الموسيقي وخلص للفنان الذي لم يعتمد على نغمات محدودة فحسب وانما اعتمد على ما للناثيف الموسيقي من سحر فارتفع باللحن فوق المستوى العادي وانك لن تجد فيه اي لون صارخ تشتمد منه النفس . بل الالوان كلها متدرجة متألفة في رفق والعناصر الزخرفية هادئة والجزء خاضع للكل وكأن جمال الزخرفة نشيد لحنه الفنان في عناية ودقة وشعور مستلهم جميع النغمات . وقد وفق آرثر رونييه اذ قال « ان العبقرية هي التي أتاحت لصاحبها السيطرة على الاشكال التقليدية او الهندسية فبث فيها روحاً من عنده فشكل زخرفة في جامع السلطان حسن طابع خاص يمتاز به عن سواها من زخارف الابنية الاخرى »

بلغ المماري القوة الفنية وأدرك معنى الكل ادراكاً كاملاً فاهتم به وبرز معناه وكان اهتمامه بالجزئيات دون ذلك بكثير . فمن الخطأ القول ان الذوق المماري لم يتكون عند الفنانين المسلمين . وليس يكفي جهلهم بأساليب الفنون القديمة لانكار نبوغهم

والفنان في هذا الجامع لم يوجه همه الى الزخرفة كعامل جوهرى في العمارة بل اقتصد فيها وسيطر عليها وأخضعها للكل فأدت اغراضها . وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذي يجمع بين قوة البناء وعظمته ورقة الزخرفة وجمالها . وأثره قوي في نفوسنا اذ له خصائصه التي لا يشترك معها فيها غيره . ان جامع السلطان حسن هو العمل العظيم في الاسلام الذي روعي في تشييده متانة البناء فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن وينطبق عليه ما تخيله شاعر عربي من ان الزمن هو الذي يقاوم قوة هذه المباني الضخمة . ولا ريب في ان هذا البناء العالمي الشهرة والعظيم القيمة رمز لمجد الاسلام وقوته . وعظمته مقرررة معترف بها فاذا قلنا « السلطان



حسن « فهذا كاف للدلالة على البناء كما نقول « بورج » و « شارتر » للدلالة على الكتدرائيتين الخالدتين. وقد اختفى السلطان حسن وكأنه لم يكن وظل مسجده قائماً. وإذا تذكرنا ان حسن تفهم العماير الاسلامية يتطلب ان يكون المرء ملماً ببعض القواعد عرفنا فضل جامع السلطان حسن فانه لا يتطلب منا تأملاً عميقاً والزوار الذين يتأثرون بالفن ليسوا بحاجة الى ترجمان ولا الى لغة اخرى غير لغة الممالك او لغة الاسلام. نعم وليسوا بحاجة الى كلمات يستعينون بها على تفهمه والاحساس بقوته. بل ان السامع الذي تضاعل احساسه بالفن يحس امام مسجد السلطان حسن بقوة العمارة احساساً قوياً. فهو يتأثر دون شك بعلمه الشاهق تأثراً فجائياً ثم تأخذ العين ما بين الابعاد من تناسب عجيب فتنتقل من القوة الى الرقة

وقد استطاع المعاري المشبع بالفكار النبيلة القوية ان يتفد تصميم البناء تنفيذاً دقيقاً في بساطة وروعة، فالجامع يطفى بقوته على حواسنا ثم يكشف لنا عن عظمة الاسلام وما ينطوي عليه من بأس وقوة. وجمال هذا البناء ينبعث من كون جميع أجزائه خاضعة خضوعاً مناسباً متسقاً لفكرة عامة. هذا البناء القوي الذي تتمثل فيه الجرأة والقوة يسوده هدوء عظيم كما يمثل شرف الفكرة الاسلامية الشاحنة

\*\*\*

ونود ان نفهم الاسباب الدفينة التي حملتنا على التأثر الى هذا الحد:  
البناء يتجلى لنا ذا حيوية عميقة هي في غنى عن الناس ولا شأن لها بهم. وكلما أدركنا علو شأنه ورفيع مقامه ازدادنا به إعجاباً. ولا غرو فالانسجام من خصائصه وأثره في النفس أجل ما يكون. على ان خير ما يعين على تفهم قوة هذا المسجد هو التردد عليه والافتناس به والنظر اليه. حينئذ يكشف لنا عن جمال مدهش وعظمة غالبة ونشيد مبهج. وهو مثال نفهم بهر البصر يدل على روح النظام في وقت كانت الفوضى منتشرة والمعارك دموية. ومن سخرية القدر القاسية ان مجهل اسم خالق هذا العمل العظيم وسنظل له جاهلين بينما الاثر علم على سلطان صغير عزل مرة ثم انتهت حياته نهاية محزنة وظل اسمه المقترن بهذا الاثر خالداً على الازمان لم يكن يصل الى مرتبة السلطان الا من كان في الاصل من الارقاء الذين كانوا يبايعون بأجنس الايمان فاذا ما نالوا حريتهم على يد أسيادهم الذين كانوا ارقاء من قبلهم تكونت شخصيتهم واتخذوا اسما جديدة وبذلوا الجهد في العمل على تكوين عظمة المدينة الاسلامية خلفوا آثاراً نفحة ملوؤها الفخار نعرفها تمام المعرفة ولا نعرف اصحابها ولا البواعث الدافعة لهم. وكذلك جامع السلطان حسن فهو عمل عظيم خالد ولكن شخصية الفنان العبقري الذي ابتدعه يكتنفها الظلام ومهما يكن من شيء فما اجدرنا بالاعتراف عن خالق العمل العبقري شيئاً. قد رأينا في عصرنا هذا ميل الكتاب الى تحليل حياة الفنان الشخصية والوقوف على ما فيها من ألوان البؤس والخروج من ذلك بنظرية لا تتفق في شيء والعبقرية التي تتجلى في أعمالهم. وهل يحس بالسرور



حقاً على ما في ذلك من سوء الحلق وخبث الطوية اذا عرفنا ان المعاري الذي بنى جامع السلطان حسن كان مضطراً للحصول على الرزق الى القيام بأعمال عادية ليس فيها أثر للشخصية ، ثم ترتب على هذه المقدمات نتائج قد تكون قاسية كل القسوة . انه ليجمع بعظمة الاسلام ان تظل شخصية الفنان العبقري الذي شيد هذا الجامع محوطة بالغموض كالشعر الخالد القديم في الالباذة والالوديسية

وقد يكون في وصف الجامع وصفاً مسهباً ما يدعو الى السآمة والملل بالرغم من ان الجزئيات نشتك في ابراز الكليات . ولكن هذا الاثر بحاجة الى قلم بليغ وأسلوب شاعري حتى يمكن ابراز دقائقه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه القارى قاصراً على هذه الجزئيات فحسب وان كانت بعض هذه الجزئيات غاية في الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء قال ايبرس « ان كل ما تراه في الجامع مركب في مكانه تركيباً هادئاً منسجماً فاذا ألغمت النظر في زخارف ايوان القبلة وقاعة القبر جزءاً جزءاً أحسست احساس الرضى ، فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بارعة تتكرر في انتظام وانك لتحاول ان تفهم مدلول الكلمات والآيات القرآنية المدججة في الزخارف العربية وهي في حد ذاتها زخرفة ممتازة فتبهز نظرك بجمال زخرفتها وتعلمك وتصحك بحمائل عباراتها . »

ولنا نتخيل ذلك المكان الذي كانت تشغله المصاييح ذات الالوان المتباينة وكان لها المرتش يزيد نورا وحيوية ، فتأمله اليوم في خشوع ونذكر والتأثر يملأ جوانحنا عظمة المكان الذي انطفأ نوره . تلك المصاييح المموهة بالميناء رآها بعض السياح في مكانها قبل ان تنقل الى دار الآثار العربية ولذا ترك الكلمة لهؤلاء الذين شاهدوا الجامع وعلى الخصوص لهؤلاء الذين لم تصطبغ حماسهم بصبغة تجارية . فقد كتب جومار في كتاب وصف مصر ما يأتي : انه من أجل مباني القاهرة والاسلام ويستحق ان يكون في المرتبة الاولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبه العالية ، وارتفاع مآذنته وعظم اتساعه وخفامة رخامه وكثرة زخارفه التي تكسو الارضية والحيطان في اوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة كما ان حشوات الخشب والبروز التي تكسو الابواب الخشبية والحديدية محفورة حفرًا فنيًا

أما فلوير فقد اختزل الكتابة عنه اختزالاً يقرب من الاشارات البرقية ولا يعطينا فكرة صحيحة عنه فقد كتب : « مدخل مستدير . مقرنصات . جبال مدلاة . انا نلبس مرا كيب من سعف النخيل »

وكتب فروميتين في يومياته محدداً موضوعه بأسلوب جاف أيضاً : « أثر عجيب نسبي وحده في القاهرة يستحق ان يعد من أجل مباني العصور الذهبية »



أما المصور لينوار فقد كتب عن مصر كتاباً تختلف أجزاؤه في قوتها وأسلوبها والصفحة التي خصصها للسلطان حسن تستحق ان تذكر : « ان جامع السلطان حسن المملوكي يشرف على القاهرة كلها وأسلوب بنائه من أرق الاساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ولذا يعد أجمل جامع في الشرق كله بلا نزاع . وموقعه تجاه القلعة والدخول اليه من باب عال بارتفاع الاثر كله مفتوح على شارع جانبي يوصل الى الميدان . هناك رخام من جميع الالوان مرتبط ببعضه ببعض بحليات على شكل وردات وزخارف من بروز فيبدو هذا الباب الرئيسي رشيقاً . وينتهي اعلاه في شكل تجويف فيه مئات من المقرنصات تأخذ في القلة حتى تختفي عند منتصف ارتفاعه . وهنا تمتد الواح من الخشب امتداداً أفقيّاً وتحمل مصابيح من الزجاج المموه بلينا وعدداً من بيض النعام المحلى بالزخارف . يصعد المرء بضع درجات ثم ينزل درجات اخرى فيجد نفسه في دهليز عظيم مزين بمقاعد حجرية على الجانبين . ان هذا الدهليز الغامض يجعل المنظر العجيب الذي يتكشف امام الناظر فجأة اشد وقعاً في النفس : صحن عظيم على شكل صليب يوناني في وسطه بناء عربي أجمل ما يكون يقوم على أعمدة من الرخام وتغطي قبة محلاة بزخارف باهرة . وهذا البناء المثلث الاضلاع هو الميضاة . وأمام باب الدخول ايوان عظيم هو ايوان القبلة وترى ثلاثة ايوانات أخرى على جوانب الصحن . وايوان القبلة يعلو درجة واحدة فوق مستوى ارضية الصحن وفي نهايته سلاسل مدلاة معلقة بها آلاف من المصابيح كأنها نازلة من السماء وتبدو من بعيد كأنها قطرات من المطر او كأنها شبكة معلقة في الفضاء . وفي نهاية ايوان القبلة المحراب المزخرف زخرفة فنية المطعم بأنواع المواد الثمينة والالوان والزخارف العربية . أما المنبر فهو من ابداع التحف الخشبية ذات الزخارف المحفورة »

وبرى جابريل شارم ان أجمل بناء في القاهرة هو جامع السلطان حسن المبني على سفح جبل القلعة فقد كتب « ان قبته العظيمة ومنازنه القوية وحيطانه العارية العالية المنتهية بكورنيش نفخ وأشكال كخلايا النحل تبهر النظر بشكلها العظيم . ان باب الجامع تحفة فنية من أكمل التحف العربية ، علوه شاهق يتناسب مع اتساعه ويعلوه نصف قبة مقسمة على هيئة مقرنصات في تجويف عميق ينتهي بباب الدخول المصفح بالبروز ذي الزخارف العجيبة بينما الجوانب وحائط ايوان القبلة عليها زخارف ذات خطوط تخيلية او مزخرفة بتجاويف ذات أعمدة صغيرة رشيقة . وداخل المسجد أعظم فالصحن وما فيه من الميضاة محاط بعقود توصل الى ايوان القبلة . كتابات كوفية محفورة في الحائط مكونة من حروف حجمها غير شائع ملنق عليها فروع نباتية . ثم يدخل المرء حجرة القبر وقبته تبدو اكثر ارتفاعاً من قبة البانتيون بباريس وأوسع منها عشر مرات . وكتابتها منقوشة على ألواح خشبية . ان الاثر الذي يحدثه جامع السلطان حسن في النفس هو



من نوع الاثر الذي نحسُّه ونحن في أجمل كاندراثياتنا . ولم تتجلَّ الفكرة الدينية بمثل هذه القوة وهذه العظمة في أي اثر آخر انساني سواه

وانا نورد قول الدوق داركور وهو اقل المعاصرين معرفة بمصر بل اتنا لشعر بأنه لم يكن دائماً منصفاً كل الانصاف . نورد ما كتبه عن السلطان حسن لان شعوره هو شعور الأسف الذي ما كان يود ان يرى عملاً فنياً جميلاً وكأنه بوصفه يقصد الى تشويه الصورة الجميلة لا الى التحمس في ابراز محاسنها . قال :

« ان جامع السلطان حسن يدهشنا قبل كل شيء بأبعاده العظيمة الجميلة وهو يكاد يكون خالياً من الزخارف والقليل الذي فيه لا يبدو منقولاً عن الزخارف اليونانية واللاتينية والفرعونية . ان الفن فيه قائم بذاته يلبي حاجات خاصة ويبحث عن الجمال في نواح لم تطرقها آثار قبله . ونجد فيه في نفس الوقت أشكالاً كثيرة معقدة وزخارف غريبة والتناسب فيه منعدم فمن أبواب قد تبدو ضخمة عظيمة ولكنها ليست كذلك الى أخرى صغيرة واطمة وهذا يدل على ما يظهر على شعب هو الى العلم أقرب منه الى السذاجة . والفن فيه على كل حال فن مبتكر أصيل ولا يخلو من المزايا » وقد كتب جوينو ان المنافسات الدموية بين الممالك كانت عاملاً على كثرة انتاجهم فجامع السلطان حسن على عظمته قد بني في فترة كانت السلطة العليا مفقودة ، بناء طامع في الحكم مدَّعٍ له يناضل منافسة المسيطر على القلعة وهو مع ذلك لم يجد صعوبة في اقامة عمل عظيم وان بني جامعاً يكاد يكون قلعة حصينة »

ويستمر جوينو مسوقاً على أجنحة الخيال . ولكن اذا صرفنا النظر عن الحقيقة التاريخية فان ملاحظاته ذات دقة وعمق . وقد دون مؤرخ في مذكراته عن أحد كبار وزراء الدولة الفاطمية في عصرها الاخير انه قال في وصيته السياسية ان من بين الغلطات الثلاث التي ارتكبها انه بنى جامعاً خارج باب زويلة يمكن ان يكون نقطة ارتكاز لمن يغير على القاهرة او يدافع عنها » والمقصود هو جامع الصالح طلائع المشيد بالقرب من باب المتولي وقد كان يمكن ان يكون هدفاً حريصاً كما خشى الوزير لو لم تتسع القاهرة وتصور الاسوار الفاطمية عديمة القيمة . وقد ارتكب السلطان حسن نفس هذه الغلطة . ان الحكومات الاسلامية كانت حكومات أوتوقراطية وقد قبلت الشعوب فكرة السلطة هذه . وعلى ذلك فلم نجد في التاريخ الاسلامي ما يمكن ان يقارن على وجه الخصوص بالنزاع بين البرلمان وبين الملكية في فرنسا

ولو كانت الفكرة النيابية او الشعبية موجودة في القاهرة في ذلك الوقت لكان جامع السلطان حسن القائم تجاه مقر الحكومة بمثابة تهديد للحكومة . وعلى كل حال كان وجود مثل هذا البناء بأبراجه البارزة مصدر خطر دائم



وقد كان الرحالة ليون الافريقي أول من نبه الى وجود بناء من الابنية مشهور جداً ، هو جامع السلطان حسن الذي رفعه بانيه الى علو شاهق فصار حصناً يحتمي فيه الممالك لصد هجمات بعضهم على بعض

وقد ذكر هذه الحقيقة كذلك شارل تومسون الانجليزي ، قال : ان الجامع الذي يبدو متفوقاً على الابنية الاخرى بمأذنته ومظهره الفخم المدهش ، هو جامع السلطان حسن الواقع على سفح الجبل الذي يقوم عليه حصن القلعة . يرتفع الجامع ارتفاعاً شاهقاً ويعلوه كورنيش جميل بارز بروزاً شديداً ومحلى بنقوش غريبة . ومساحته مستطيلة ومدخله محلى بالرخام الثمين المختلف الالوان وكذلك على الباب . والدرج الذي كان موصلاً للباب قد تهدم والباب نفسه مسدود اذ كان ملجأً للساخطين اثناء الثورات »

ان الفصل مايبه الذي نقل عنه « فورمون » حرفاً بحرف دون ذمة رأى ذلك ايضاً اذ انه اورد في كتاباته : « بالقاهرة جامع قديم فسيح ومرتفع جداً ولا يفصله عن سفح الجبل القائم عليه القصر الا ميدان مفروش بالرمال اتساعه مائة وخمسون قدماً وطوله الف قدم تقريباً وكان هذا الجامع ضاراً في زمن الثورات لان الساخطين كان في امكانهم بضربات السهام ان يحولوا في سهولة دون اتصال جناحي القصر احدهما بالآخر وكان يمكن لرجال القصر من ناحيتهم ان يمتطروا الثائرين وابلاً من الحجارة من قمة الجبل التي تشرف على الميدان كله . كانت اقامة بناء ضخيم تجاه القوات الحربية السلطانية غلطة سياسية . وقد كتب مؤرخ عربي ان هذا الجامع يقوم تجاه القلعة وما كانت تقوم ثورة الا احتتمى الثوار في أعلى البناء وأمطروا حماة القلعة وابلاً من المقذوفات وفي غضون سنة ١٣٩٠ لاقى السلطان برقوق صعباً شديدة في التغلب على الثوار الذين التجأوا الى هذا الجامع ، وكان هذا السلطان قد خصصه قبل تلك الثورة بعشر سنين مخزناً للأسلحة ، فلما رأى ما عاناه في اخماد الثورة امر بهدم الدرج الذي يوصل الى المنارتين وقفل الغرف التي كانت مخصصة لسكن الاساتذة وهدم سلم الباب العمومي كما سد الباب الخلفي وبذا صار الوصول الى الجامع عن طريق نافذة صغيرة تجاه القلعة كان من السهل سدها عند الثورات . وصارت تلك النافذة باباً جديداً للجامع يدعو المؤذن منها المؤمنين الى الصلاة

وقد نهب الجامع سنة ١٣٩٩ اثناء ثورة أخرى وبني درج المأذنتين من جديد كما يؤخذ من النصوص . وفي سنة ١٤٠٤ بنيت على سطح الجامع أنابيب لقذف المواد الملتهبة على القلعة . وقامت الحكومة نفسها سنة ١٤١٠ بتحسين الجامع مخافة الاضطرابات ولكن الثوار تمكنوا من الاستيلاء عليه بالقوة بعد معركة شديدة واستعملوه في التو مركزاً للمقاومة ، ثم جدد الدرج كله سنة ١٤٢٢



وفي سنة ١٤٣٨ استولى بعض المالك على الجامع وحرقوا بابه وتحصنوا على السطح فلما عاد الهدوء كان هم السلطان تهديم درج المآذن ثانية

وكتب مؤرخ عربي انه في سنة ١٤٥٤ أمر السلطان المهندسين بفحص المنارة جنوبي الجامع اذ كانت تنذر بالسقوط على ما كانوا يؤكدون . ولكن هذه الاشاعة تلاشت عند التحقيق ومع ذلك فقد لاحظ المهندسون ان قمة المنارة قد تهدمت وان الهلال الذي كان يعلوها قد أصابه العطب ، وذلك من جراء المقذوفات على الجامع أثناء الاضطرابات . فاكتمت بازالة الهلال . وكان هذا العمل في الحقيقة أسهل بكثير من هدم المنارة وختم هذا المؤرخ حديثه بأن هذا الجامع احدى اعاجيب العالم وبانه اجمل بناء في الاسلام

وكان السلطان جانبلاط في نهاية عام ١٥٠٠ مهدداً في سلطته ففكر في الاحتماء بالقلعة وامر بهدم الجامع تجنباً للخطر فشرع العمال ينفذون أمره وظلوا ثلاثة ايام احدثوا فيها بالجامع اضراراً بسيطة وكان الرأي العام قد هاج فاضطر السلطان الى العدول . وهكذا كانت الاوساط البعيدة عن السياسة تهتم دائماً بآثارهم الثينة . ثم كان ادخال المدفعية ضاراً بالبناء كل الضرر اذ كتب تيفينو سنة ١٦٥٧ يقول « احتتمى طومان باي وهو آخر سلاطين المالك في هذا الجامع تاركاً القلعة للسلطان سليم الذي امر باطلاق القنابل على الجامع ولا تزال الثقوب تشاهد حتى اليوم خصوصاً في القبة »

ولنلاحظ حالة القبة السيئة دون الوقوف عند الحقيقة التاريخية فقد سقطت بعد تلك الحوادث بثلاث سنين وحملت محلها قبة اخرى هي التي نراها اليوم ، والدطامات التي تستند اليها من الطراز العثماني . وكانت المنارة الشمالية تهدمت قبل ذلك بسنة واحدة فبنيت محلها منارة اخرى ذات حجج أصغر

وحدث في القرن الثاني عشر من الحوادث ما اضر بهذا الجامع كذلك . وقد روى بول لوكاس الذي كان يقوم برحلته الثالثة سنة ١٧١٦ ما يأتي : « هزم امير جرجا عرب الصعيد ثلاث مرات اذ وقفوا في طريقه وهاجموه ثم عاد الى القاهرة . وكان يمكن هزم العرب هزيمة نهائية باطلاق النار اطلاقاً مستمراً من القلعة لولا النجدة المؤلفة من اربعمائة رجل التي ارسلها الدفتردار فتقوى ساعدهم واستولوا على جامع السلطان حسن القريب من حيهم واحتموا فيه فكانت هذه الحيلة سبباً في استيلائهم على السلطة ثم انهم نصبوا مدفعاً في جامع السلطان حسن وصوبوه نحو امير جرجا واستمر اطلاق النار اطلاقاً شديداً اياماً عدة فلولا جامع السلطان حسن لما عرف العرب ابن يحتمون . وكان احمد في قلعه واقفاً تحت ضغط النيران المنصبه من الجامع



ثم في سنة ١٧٣٦ حرق باب الجامع واستولى الثوار على البناء فاخرجوا منه بالقوة وهدم الباب الكبير

وكتب سافاري في سنة ١٧٧٨ يقول : من جوامع القاهرة الكثيرة ما يقوم بينها كقلاع . ففيها جامع السلطان حسن الذي كان الثوار يحمون فيه في وقت الاضطرابات ويضربون القلعة بالمدافع من قته . وهذا البناء الكبير بكورنيشه المنقوش نقشاً غربياً والبارز بروزاً عظيماً ، تعلوه قبة عظيمة ، وواجهته محلاة بالرخام الثين . والابواب اليوم مسدودة وثمة حرس من الانكشارية يحولون دون الاقتراب منه

وانتهت هذه الحال سنة ١٧٨٦ كما قال الجبرتي :

« استدعى العمال لفتح باب هذا الجامع الذي كان مغلقاً وهدمت الدكاكين التي اقيمت تحت هذا الباب وكذلك الحائط الذي اقيم سدّاً ثم بني باب من حديد ودرج للوصول اليه ومقاعد من الحجر »

وقد نعى آرثر روني الذي كان محباً للجامع حباً كثيراً موقعه المعرض للخطر ومن ثم للتلف ولكنتنا نقرأ ما كتب عنه فنراه يميل كل الميل الى وصف تلك الفترة من الزمن وصفاً جميلاً بعيداً كل البعد عن الحقائق التاريخية إذ يقول كانت السطوح والشرفات ملجأ الساخطين والثوار الذين قاوموا حامية قلعة الجبل منذ خمسة قرون سواء أكان الحاكم سلطاناً من سلاطين المماليك ام والياً من قبل الباب العالي او القائد بونابرت ، ثم يردف هذا بقوله « كان الفرع الاكبر عندما كان نابليون في اشد حالات الغضب وذلك في ثورة ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ ، ولا تزال الحيطان تحمل آثار طلقات الفرنسيين »

وكان لهذا القول أثره في كل طبعة من طبعات « دليل جوان Joanne » مع خطأ في التاريخ وكان التراجم يذكرونه على الدوام بل ان بعض الكتاب لم يجد أية غضاضة في نشره من حين لآخر . ومنهم الكاتب كامي موكلير وهو آخر من كتب ذلك . غير ان الاستاذ جان ماري كاريه صحح هذا الخطأ ومن السهل ان نقرأ حوادث ذلك اليوم الحزن الذي قامت فيه الثورة ، وان نرجع على الخصوص الى ما كتبه الجبرتي الذي كان ينتهز الفرص للتعبير عما يكنه في قلبه من البغضاء للفرنسيين وهو شعور طبيعي جداً ، والى القاريء ما كتب : « وجه الفرنسيون مدافعهم الى الجامع الازهر والى بيوت الاحياء المجاورة » وهذا مما يؤسف له بالطبع ولكنتنا نريد ان نثبت به ان بونابرت لم يتح له ان يضرب جامع السلطان حسن بالمدافع

وقد اطلق الكاتب هـ دي فوجاني لحياله العنان فوقع في عدة اخطاء وأحس بالحاجة الى ان يضيف على هذا الجامع لوناً روائياً فكتب : « كان السلطان يجتمع بشعبه في هذا الصحن



الفسيح الذي بغمره النور ثم يبلغه أوامره . وكان الشعب يضع هامته على الرخام عند نزول السلطان من على المنبر متجهاً نحو الردهات حيث كان الحرس قائماً بالحراسة ، وكان لاصوات سنكات الحرس الثقيلة رنين على الرخام . واحتفى الفرنسيون فيه اثناء ثورة القاهرة في ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ »

فالفصل الاول من هذه الرواية كالروايات اليومية التي نقرأها ومثله كمثل ما جاء في دليل بيديكير الذي رأى محرره رخام الصحن ملوثاً ببقع يقال انها دم المالك المذبحين اما ما كتبه جابريل هانوتو فيعتبر بمنزلة خاتمة للموضوع : «ها هو الجامع الذي يفوق كل ما عداه من الجوامع الاخرى ولا مفر من التسليم . بتفوقه . نحن في فترة من فترات الفوضى التاريخية ، ولكن ما اعجب التباين بين الفوضى وبين الفن الذي بلغ السماكين نخامة ونظاماً ! فما الذي يحمله من معنى وما الذي يعبر عنه من شعور أشكوى لله من نظام قديم قد انطلقاً نوره ام نشيد الانتصار لنظام جديد قد انبثق فجره ومهما يكن من امر فان الوحي والفن قد بلغا الذروة . واني لا اعتقد ان الاسلام قد بلغ في مجال انتصاراته القيمة ما هو ابداع من السلطان حسن » اما القاعة المربعة التي تعلوها القبة فهي من العجائب . اتنا لا ندري ما العظمة التي تستولي على هذه القاعة الجامعة بين امرين عظيمين متضادين : الثروة الزخرفية والهدوء الذي يشمل المكان . إن مطالب الحياة الحديثة قد حكمت على السلطان حسن بالنفي : فهو غير معروف للزائرين الذين يجذبهم الاحياء الاكثر ازدحاماً وضجة . وقد استرعى انتباهنا ذلك الهدوء الذي يبدو كأنه مقصود من البداية . وفي مصر التي لا تعد فيها الآثار ولا تحصى كثرة تجد جامع السلطان حسن وحيداً منزوياً وهو رغم هذا كله لا يزال من اجمل المباني الاسلامية طراً

\*\*\*

وليس من العيب ان يتوجه المرء خصيصاً لزيارته والاعجاب به فزيارته مقرونة دائماً بالخشوع والادراك وهو ليس بحاجة الى ترجمان يشرحه ويعبر عن جماله وحسنه الفائق وحسبه ان يشاهد فيدرك معاني الجمال . هذا الحصن المكعب الشكل الذي تغشاه الرزانة والصرامة ليذكرنا من غير شك بفترات من التاريخ فيها من الماسي ما يدمي الفؤاد ولا سيما تلك الايام المضطربة التي كان يرفع فيها هامته نحو السماء قائلثورات والانقلابات السياسية في ذلك الوقت كانت تحدث والشعب هادىء يتحمل في صبر عامل في سلام وصمت . وليس من العيب ان تتأمل هذا الجامع ونعجب بذلك الزمن الحالي الذي بلغ اقصى درجات الخصب والغنى . ولنحب اولئك الفنانين البسطاء الذين لم يكسبوا المعارك وانما عملوا على بث روح الجمال في الاشياء



# مصادر العلم

الحديث

للدكتور إبراهيم ناجي

لي سؤال أوجهه إليك أيها القارئ العزيز : أتعرف معنى هذه الانسانية الصاخبة المدوية . كيف نشأت ؟ وكيف تطورت ؟ لا أقصد ان تعيد اليّ فصول التاريخ والجغرافية . أو ان تعيد اليّ فصولاً في علم الاحياء أو الاجتماع . انما أقصد ان تخبرني على وجه التحقيق ما تراه في تطور العقل البشري ! أظن ان العقل البشري ، ذلك العقل العجيب الذي فهم بالمنطق التجريدي أعظم حقائق الكون ، وأدرك قوانين الضرورة التي تسيطر عليه ، أظن هذا العقل يمشي الآن بالانسانية في طريق الخير ؟ واذا كنت لا تعتقد ذلك فهل تعرف لماذا يكون النافع ضاراً والذي تتوسم فيه الخير قد يكون مؤدياً للشر ؟ ثم سؤال آخر ..

انت تدرك أيها القارئ الكريم مما تعلمته في التاريخ أن العلوم قد وثبت وثبتها الكبرى بعد عصر النهضة . وان البشرية كانت تغط في نوم عميق قبل ذلك احياناً ؟ ما الذي يجعل البشر ينامون ذلك النوم العجيب ؟ وعلى أي نداء يستيقظون ؟ اذا كنت تريد ان تلمّ بدقائق هذا الموضوع الماماً نأماً فعليك بكتابين من اعظم كتب العالم . الاول كتاب «العقل في دور التكوين» تأليف روبنسون « Mind in The Making » وكتاب « العلم والعصر الحديث » تأليف هوبنهايم « Science and the Modern World » واحب ان اوجز لك في هذا البحث علاقة الفلسفة بالعلم وهل نحن الآن في عصر يصلح للفلسفة أو هي قد دالت دولتها ؟

عما لا ينتهي اليه الشك ان الاغريق هم منابع الفلسفة والعلم . وكل ما جاء بعدهم انما جاء اخذاً عنهم أو نسجاً على غرارهم أو تكملة لما بدأوا به . حقيقة مضت حقب من الاجيال نسي فيها أثرهم . واهملت البشرية أمرهم . وكان الرأي لغيرهم على هذا الترتيب في التاريخ : الرومان القسطنطينية ( الفن البيزنطي ) وبغداد . العصور الوسطى أي عصور البابوية . الى القرنين السادس والسابع عشر حين استيقظ العقل البشري من غفوته الطويلة . فأخذ المفكرون والعابرة يرجعون الى مخلفات أثينا . ويراجعون آراء فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو



من أول الامر كان الاعتقاد ثابتاً بوجود نظام طبيعي ثابت يحكم الاشياء كلها ويتغلغل في صميمها . كان الاعتقاد ثابتاً بوجود قوانين أزلية تسيطر على الوجود ويظهر ان الانسان لا اعتقاده الفطري بذلك كان مقلداً لذلك النظام الطبيعي . فما كاد أثر أينشتاين يزول حتى أخذ الرومان بشرعون قانونهم المشهور وهذا القانون مثل أعلى في شيئين : الاول في استقائه من فلسفة أينشتاين والثاني في جعل الترتيب الطبيعي الذي يشعر الانسان بوجوده في القوى الخفية المسيطرة ، مسيطراً كذلك على أحوال البشر ، ومعايشهم وان كان الفرق ظاهراً بين قوى أزلية وقوى مرتبة بأيدي البشر . وزاد هذا الترتيب الطبيعي غلواً على مدى الاجيال فصار ترتيباً قاسياً لا يلين ولا يناقش ( وذلك في العصور الوسطى ) ومهما يقل في أثر تلك العصور المظلمة فإنه من الثابت انها كانت تدريباً للبشرية على النظام والطاعة . ولكن هذا النظام الصارم الذي قوامه رد جميع المظاهر الى قوى مسيطرة حديدية المنطق كان يقابله تفاعل كبير . ففي أواخر القرن السابع عشر أخذ العقل البشري يستيقظ متسائلاً : من العجيب ان كل حقيقة من حقائق الحياة زردها الى تلك القوانين المسيطرة . وجميع الخوارق زردها الى قوى مجهولة لا ندرك كنهها . أليس من الصواب ان نعود فنناقش تلك الحقائق الثابتة المقررة لعل في مناقشة الامر العادي من جديد فهم لغير العادي ورددها الى مصدر واحد

أخذ العقل البشري يناقش من جديد الحقائق التي مرت على الاجيال صارمة قاسية المنطق لا تلين . .

هذا هو المنطق العلمي الجديد . أوله إيمان بوجود نظام طبيعي للوجود والثاني مناقشة الحقائق التي تبدو لاغلب الناس عادية مألوقة

ومعنى هذا إيمان بقوة العقل البشري وقدرته بمجرد الفكر التجريدي الوصول الى مفتاح تلك القوانين . كانت هذه النقطة في زمنين متقاربين وفي أمرين متقاربين . جاليليو ونيوتن في العلم . وديكارت في الفلسفة . العلم أخذ يناقش الحقائق المقررة من جديد . والفلسفة على يد ديكارت أخذت تقول « اني أفكر فاذن أنا موجود » . فكما كان نيوتن ينظر الى التفاحة ويفهم منها الجاذبية كان ديكارت يراجع الفلسفة من أولها ويردها الى العقل التجريدي وحده . كان يشك في الماضي بوجه عام ليضع على أساس الحاضر فلسفة جديدة . ومن العجيب أثر الرياضيات في ذلك التفكير . فأغلب هؤلاء العباقرة رياضيون لا يستثنى منهم غير هبوم . وقد يجهل كثير من الناس أثر الرياضيات في تفكير البشرية ولكن الواقع ان معنى الرياضيات الفلسفي هو الاعتماد على التفكير التجريدي البحت . فان قوانين الرياضة ومعادلاتها قوانين عامة . وما هو علم الجبر مثلاً ؟ ما معنى س ، ص ؟ ما معنى تلك الجاهيل ؟ معنى ذلك ان تكون القوانين العامة لا علاقة لها



بشخص معينة. هذا هو معنى التجريد . وكل قانون من هاته القوانين مفتاح لقانون آخر. حتى يمكن ان يقال ان هاته القوانين سلسلة متناسقة من حاقة كبيرة كقصر كبير متعدد الحجرج والسراديب . كل مفتاح يفتح باباً جديداً ويؤدي الى حجرة جديدة . وخلاصة هذه النماذج وتلك المفاتيح التي اهتدى اليها المنطق بغير حاجة الى الشخصوص والمعوسات، ذلك النظام المناسق الرياضي الذي نسميه « الوجود » . ولكن مع الاسف قد سيطرت على الاجيال حتى بعد عصر النهضة فكرة كثيية . هذا النظام ما هو ؟ أنظام مادي غير مسؤول ؟ هذه الفكرة المادية التي تجاهلت الفكرة التي وراءها ، وهي فكرة « القوة الحيوية » التي ذكرها أفلاطون وعاد اليها برجسون اليوم — أعطت ( اي الفكرة المادية ) للعالم معنى الوجود الذي يقود عنانه قوة ميكانيكية غاشمة الى ان وجد الفكر البشري اليوم في مأزق يضطره اضطراراً الى طرح هذه الفكرة المادية . واليك البيان : انتهى المنطق التجريدي البحث الى حقيقة هائلة . بل الى حقيقتين الاولى حقيقة التكرار والثانية حقيقة الاهتزازات . وما الثانية الا صدى الاولى . فكل شيء في الحياة يتكرر . هذا التكرار اساس الوجود والحياة ولا يمكن لانسان ان يتذكر شيئاً اذا لم يتكرر . فالفصول تتكرر والقلب يكرر نبضاته والموجة لا ترسم الا بتكرار خطوطها . ما هو النور ؟ ما هو الصوت ؟ ما هو اللحن الموسيقي ؟ ما هذه كلها الا اهتزازات متكررة . وليس لموجة من موجاتها قيمة في وقت بعينه . وانما قيمتها في التكرار ونحن عندما نحلل عناصر الحياة ننتهي الى الالكترونات والى البروتونات ثم الى ما يسمى الكوانتم اي دقيقة « الطاقة » او الكهرباء التي باهتزازها وانطلاقها تكون البروتونات فالذرات . ولكن هذه الذرات عندما نشاهد مساربها الغيمية نجدها تنتقل ولكنها لا تعبر الفراغ الذي تراه أعيننا : فهل هناك إذن فراغ آخر ؟ ها هي ذي الفلسفة تمد يدها لتخرجنا من مأزقنا . وتقول لم لا . هناك فراغ آخر وراء الطبيعة تعبره تلك الذرات . وهذا الفراغ لا تراه أعيننا ولا تستطيع ان تراه . ولكن العلم يجيء محتججاً . ويقول . ولماذا ترجعون الى تلك الخوارق . اني أفسر لكم . ألم تهتدوا الى التكرار والاهتزازات ؟ ألم تقولوا ان كل موجة لا معنى لها ولا وجود الا بذلك التكرار . ولم لا تكون الحياة أمواجاً من الطاقة . وكل موجة في لحظة معينة لا معنى لها . فاذا تكررت فرسم زمانها بأجمعه هو صورة الموجة وهو مظهرها وكيانها ولذلك ترونها في مكان . ثم تختفي في آخر ثم تعود للظهور في غيره عندما تستكمل اهتزازاتها وزمانها

ما معنى هذا ؟ معنى رائع . ان هذه القوى المتكررة التجريدية البحتة هي التي تكون لبس الاشياء الجامدة المعوسة المادية . أو طبقاً لرأي السر جيمز جينز « الوجود فكرة في عقل الله . » ما معنى هذا أيضاً ؟ ان العقل هو كل شيء . وانه بمجرد « التجريد » يمكن ان نخلق



من العوالم الجامدة وغير الجامدة ما نشاء . وهناك معنى كبير غير ذلك . استطاع الفكر ان يستيفظ لبشك ويراجع واعتماداً على قوته أمكن ان يناقش فيصل الى أروع الحقائق . فكثرت المخترعات وازدانت الدنيا بآثار المفكرين وتناج أدفغتهم . والآن ما حال النفس الانسانية ؟ هل صار الانسان أصفى غرائز وأطهر قلباً وأصفى نفساً !! قد لا يكون هذا فالعقل البشري يشب وثباً . والنفس الانسانية متخلفة في غياهب البهيمية الاولى . وهذا هو للاسف مصدر الشقاء . فأين العبقري الذي يدعو الى مراجعة الاخلاق والمعتقدات ؟ انني قد أتخيله ولكن لا ألتسه . فهو بعيد بل هو لم يوجد بعد . وعند ما يوجد فقد يشعر العالم بشيء من الايمان الاكبر الذي يتوقف على السعادة التي فكر فيها أفلاطون والتي ينتهي اليها تفكير أصحاب المادة والروح على السواء

## فكرة ضائعة

للشاعر الفرنسي سوللى پروروم

فيم أفكر ؟ في هذه الساعة  
وفي أي حلم جميل قد توارى...

هل أملك دموعاً للبكاء عليه ؟  
وقد تركني دهشاً محيراً .

هذه السعادة التي لم يكن عمرها الا لحظة ،  
لا تقدر جهودي على استرجاعها .

لم أتذوق فرح الوجود الا في الحلم  
وهذا الحلم — واأسفاه — قد ولى ...

[ نقلها خليل هنداوي ]



# ثورة العرب

مساعيهم لتأسيس ملك عربي

لـنـيـسـ المـقـرـسـي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

حدث في اثناء الحرب الكبرى حادثان كبيران كان لهما اثر عميق في نفسية العرب وبالتالي في شعرهم ، هما اعدام الشهداء ، والثورة الحجازية . ولسنا في مقام البحث عن الاسباب التي أدت الى كليهما وانما نحن نؤرخ الواقع وأثره في ادبنا العربي الحديث ومن المعلوم ان الدولة العثمانية لم تكن قبل الحرب عمياء عن الحركات القومية العربية فأخذت تبث عيونها في كل ناحية لتلم بكل شيء من امرها . ولم تكن في اول الامر تظهر القسوة والشدّة كما يستدل من مفاوضاتها لزعماء الحركة الاصلاحية الذين اجتمعوا في باريس برئاسة عبد الحميد الزهراوي<sup>(١)</sup> . على انها كظمت ما في نفسها خوفاً من تدخل الاجانب وجعلت تتحين الفرص السانحة فلما اشتعلت نيران الحرب العامة والغيت الامتيازات الاجنبية اسرعت الدولة الى تفتيش القنصليات المعادية فوقع في يديها بعض الوثائق السرية وبها تمكنت ان تكشف كثيراً من اسرار الجمعيات العربية<sup>(٢)</sup> وحينئذٍ شمرت عن ساعد الجدة فقبضت على جماعة من الزعماء ، وتمكن بعضهم من الفرار الى اوربا ومصر

وأحيلت الاوراق الى الديوان الحربي فحكم على نخبة من اعيان الوطنيين بالموشنقا . وقد نفذ الحكم في ٦ ايار (مايو) سنة ١٩١٥ في دمشق وبيروت . وحكم بالاعدام غيائياً على نحو ستين من الوجهاء ، فضلاً عن عوقبوا بالنفي او بالسجن<sup>(٣)</sup>

(١) راجع صورة الاتفاق بين الطرفين في المنار ١٦ — ٦٣٩ (٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب الثورة العربية لامين سعيد ١ — ٦٦ (٣) راجع اسماء الشهداء والحكوم عليهم غيائياً في كتاب ابصاحات الذي اصدره جمال باشا وكتاب الثورة العربية الجزء الاول



ومن الصعب الآن ان يصف كاتب ما خالج قلوب السكان يومئذ من الملح والنقمة . وها نحن نعيد ذكرى تلك الايام المؤلمة فيعود الى نفوسنا ما كنا نشعر به من الضغط والرغبة — شعور تخيف كان يخيم على البلاد حتى لم يكن احد يجسر على التكلم او البحث في الشؤون السياسية . او اظهار الاسف على شهداء العربية

على ان ذلك الضغط التركي الرهيب لم يخل من فائدة اجتماعية فقد كان من اسباب التقارب بين الطوائف . وذلك لارتباطهم بشعور عام انهم عنصر مظلوم وأثر ذلك بين في الشعر العربي لذلك العهد والى ذلك الضغط وذلك الشعور الاليم بالظلم يرجع السبب في توسيع شقة الخلاف بين العنصرين التركي والعربي ، وبالتالي الى تسهيل مهمة الحلفاء في سوريا والعراق ، ثم الترحيب بهم يوم تمكنوا من الفوز على تركيا وفصل الاقطار العربية عنها . وما يعكس لنا هذه الحال قصيدة لرضا الشيباني نظمها على أثر طرد الاتراك من العراق وهي تحمل لنا أسفه بل أسف العثمانيين في العراق لسوء السياسة التركية التي أدت الى التفرقة بين عنصري الدولة الكبيرين . وفيها يقول : (١)

يا من يعزُّ علينا اب نؤثبهم في حيث لا ينفع التأنيب والعدلُ  
جفوننا وقلم نحن ساستكم منى مطيتها الاخفاق والفشلُ  
تأني الحوادث الا ان غللكم ولا ودين التآخي ما بنا مللُ  
أما صفحنا عن الماضي لا عينكم أما أدبلكم لكم أيامنا الاولُ

ومنها مشيراً الى حكومة الاتحاديين وسوء إدارتهم : —

قيضتم لحفاظ الملك طائفة لغيرها الملك والاجناد والدول  
قوم من العرب وخز النحل أريهم وحظ قوم سوانا الاربي والعسل  
عند المغانم تنسوننا ويفدحنا من المغارم ثقل ليس يحتمل  
أين الرهين بأموال لنا ذهب ومن يقيد باخوان لنا قتلوا  
إما شهيد معلّى فوق شاهقة او موثق بحبال الأسر معتقل

فالشاعر هنا يعيد ذكريات الحرب وما قبلها ويعزو الى الاتحاديين ما أصاب البلاد من شقاء .

وما نجم من خلاف أدى الى إيهان قواها ووقوعها في يد الاعداء

\*\*\*

ومن البديهي ان الشعر العربي في الاقطار العثمانية لم يستطع اثناء الحرب ان يبكي الشهداء كما كان يود . فلما وضعت الحرب اوزارها وخرجت سوريا والعراق والحجاز من المنطقة العثمانية عاد الشعراء الى ذكريات شهدائهم وصاروا يعددون مآثرهم . وقد رفعهم الشعر الى مصاف

(١) راجع كتاب « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » للحسيني ص ٥٥



الابطال فافتن في تمجيدهم وتقديس أهدافهم ، كما فعل الزهاوي في قصيدته « الناحية » وهي تقارب المائة والستين بيتاً . ولا نخطيء اذا سميناها « معلقة الشهداء » . ففيها يصف المشانق وقبور القتلى وأهلهم ، ويذكر أسماء الشهداء واحداً واحداً باكية شبابهم طالباً الثأر لهم . ثم يذكر ما أصاب الناس من نفي وتشيت . ويعقب بذكر الثورة ودخول العرب دمشق ويختتمها بدم جمال باشا ، والتفاؤل بعهد زاهر ينسي العرب ماضي آلامهم : واليك بعض أبياتها : —<sup>(١)</sup>

على كلِّ عود صاحبٌ وخليلٌ      وفي كل بيت رنة وعويلٌ  
علاها وما غير الحمية سلمٌ      « شبابٌ تسامى للعلى وكهولٌ »  
لقد ركبوا كور المطايا يحثهم      الى الموت من وادي الحياة رحيلٌ  
رجالٌ عليهم من سنا الفضل رونقٌ      والمجد فيهم غرة وحجولٌ  
مشوا في سبيل المجد يحذوهم الردى      وللحق بين الصالحين سبيلٌ

\*\*\*

قبورٌ بيروت وأخرى بخلقٍ      تُجرّ عليها للرياح ذيولٌ  
سرت روحهم تطوي السماء لربها      وما غير ضوء الفرقدن دليلٌ  
وبعد ان يذكر الشهداء ويعدد أسماءهم وصفاتهم يقول : —

بني يعرب لا تأمنوا الترك بعدها      بني يعرب ان الذئاب تصولٌ  
ولن تسكن الايام عن عصبية جنوا      ولكن بما كالوا لهم سنكيلٌ  
وقد سلبوا حرية الناس مذعنوا      وتلك مرادٌ للحياة وسؤلٌ  
وصبوا دماء من شعوب بريئة      فاخضلّ وهداث بها وتلولٌ  
ومنها مخاطباً جمال باشا : —

جمالٌ لأنّ القبح سموك ضده      وثوبك اذ أرقلت فيه ذليلٌ  
نريد لمجد العرب فيما أتيتهُ      زوالاً ومجد العرب ليس يزولٌ  
رويدك لا تغترّ بالدهر ان صفا      ولا تأمن الايام فهي تدولٌ  
وراءك لا تقرب رواسي يعربٍ      فقرب رواسيها عليك وييلٌ

\*\*\*

ولخير الدين الزركلي قصيدة نظمت ( كما جاء في ديوانه ) « على اثر اعدام الترك فريقاً من



شبان العرب بسورية وقيام الثورة بالحجاز « ومنها في الشهداء — (١)

نعى نادب العرب شبانها فجدد بالنعي احزانها  
بكى كل ذي عزّة تربه فهاج تزاراً وعدنانها  
فمن للدماع ان لا تفيض وترسل كالسيل هتانها  
فجائع هن حديث القلوب وهيات تستطيع سلوانها  
ومنها : فابكى على غرر المسلمين أباة المذلّة قرآنها  
وابكى على آل عيسى المسيح شمّ العرائن صلبانها  
نعت لغة العرب من احكموا لسان قريش وتبينانها  
وناحت على من بنوا عزّها واعلوا بما اتلوا شانها  
وهناك قصائد لغير هذين الشاعرين فلتراجع في مظانها

\*\*\*

وكما نسمع بكاء الابطال في الوطن نسمعه في المهاجر . فان المهاجرين لم يكونوا يوماً اقلّ  
حماسة من اخوانهم المقيمين . والذي يقرأ دواوين ابي الفضل الوليد ، والشاعر القروي ،  
وفرحات ، والجرّ ، وصوايا وسواهم يرى من اتقاد العروبة ما قد لا يراه في البلاد العربية نفسها .  
واليك انموذجاً من شعر المهجر في الشهداء وهو من قصيدة موضوعها « ليحيى العرب » (٢)

بلاد الشام غادرك الكرامُ فعيش الحرّ فيك اذن حرامُ  
لقد كثرت من العرب الضحايا ولم يهتزّ في التمدد الحسامُ  
ومنها مشيراً الى السفاكين حاضاً العرب على الثورة —

وحتمّ الخافه من علوج لهم ذمّ وليس لهم ذمامُ  
يرون محبة الاوطان جرماً به تهوي من الاحرار هامُ  
لقد قتلوا العواطف والمزايا ففي احشائنا منها سهامُ  
أبقى ساكتين بلا حراكٍ ولثورات حولنا اضطرامُ

ثم يخاطب الشهداء ويصف شجاعته لدى الموت

أيا صحي الكرام ألا فداكم لثامُ بعد ما قلّ الكرامُ  
مشيتم باسليين الى المنايا وكان لكم على النطع ابتسامُ

(١) ديوانه (١٩٢٥) ٦٥ (٢) ديوان الاقاس الملتبة (للوليد) ٧٢



ليحي العرب قد صحتهم وتم فصيحتم لخطكم دوام  
فنحن لدى بسالتكم حيارى وأنتم فوق ذلتنا عظام  
على أعواد مرقية رفعت منارات بها يهدى الانام  
وكنتم قدوة للشعب مثلى فهل يرجى له يوماً قيام  
ويتقدم من هنا الى مخاطبة ارواحهم ثم يختم قوله بالحكمة التالية —

ورب ضحية أحييت شعوباً فكان لها انعناق واقترام  
على البلوى اذن صبر جميل لنا آمالنا ولك السلام

وللوليد على هذا النسق عدة قصائد عربية الروح كهدى الاجيال ، والصرخة الكبرى والدولة العربية وسواها . ومثل ذلك للشاعر القروي . ومن اقواله في الشهداء قصيدة مطلعها <sup>(١)</sup>

خير المطامع تسليم على الشهداء ازكى الصلاة على ارواحهم ابدا  
فلننحن الهام اجلالاً وتكرمة لكل حر عن الاوطان مات فدى  
يا انجم الوطن الزهر التي سطعت في جوبلنان للشعب الضليل هدى  
قد علقتم يد الجاني ملطخة ففقدت بكم الاعواد والمستدا  
بل علقوكم بصدر الافق اوسمة منها الثريا تلظى صدرها حسدا  
أكرم بحبل غدا للعرب رابطة وعقدة وحدث للعرب معتقدا

والقصيدة كلها — كما كثر شعر القروي — غيرة وطنية متقدمة ، واذكاء لنار الحمية القومية في صدور الشبيبة العربية . وقد اتخذ الوطنيون في سوريا ولبنان يوم ٦ ايار (مايو) عيداً تذكاريّاً عامّاً . ففي بيروت كما في دمشق يقيمون كل عام مهرجاناً حافلاً يلقون فيه الخطب والقصائد ذاكرين اولئك الوطنيين الذين ضحى بهم على مذبح السياسة والقومية ولو جمع كل ما قيل فيهم منذ انتهاء الحرب الكبرى الى الآن لملاّ مجلداً ضخماً . فنقف هنا عند حد الاشارة اليها

\*\*\*

اما **الثورة الحجازية ( او العربية )** فقد اعلنت في مكة سنة ١٩١٦ . والذي يطالع ما نشر من الكتب والرسائل عنها (عربي وغير عربي) يصل الى النتائج التالية —  
١ — ان الشعور العربي القومي الذي شهدناه يتأجج عقب اعلان الدستور حتى توصل الى المطالبة بالامر كزية خيا في اول الحرب . ولكنه لم يلبث ان يحول الى كراهية الترك ورغبة في التخلص منهم لضغط الاتحاديين في اثناء الحرب



٢ — ان العلاقة بين الاستانة ومكة كانت على شيء من التوتر وقد زادها توتراً اتصال شريف مكة بالجمعيات العربية

٣ — ان الحلفاء وأخصهم بريطانيا تمكفوا من اجتذاب الشريف حسين بن علي اليهم بوعود خلافة منها انهم يساعدونه على استقلال العرب وتأسيس مملكة عربية

٤ — وبناء على هذه الوعود اعلن الحسين الثورة على الاتحاديين فاشترك العرب فعلاً في الحرب الكبرى

وقد كان لهذه الثورة في البلدان العربية ( ما عدا مصر ) نتائج معنوية خطيرة اهمها انها اذكت في نفوس الناس العصبية الجنسية ، ووضعت في ايديهم سلاحاً فعالاً للمطالبة باعادة مجدهم التليد فأصبح الملك حسين في الادب العربي ( في سوريا والعراق ) بطل العرب والمطالب الاكبر بحقوقهم . وانا نلقت النظر هنا الى منشور الثورة <sup>(١)</sup> الذي اذاعه باسطاً فيه الاسباب التي حفزته الى مقاتلة الاتحاديين ومنها اضطهادهم للغة العربية ، وقتلهم لكثيرين من نوابغ النهضة القومية وما قاموا به في البلاد العربية من نفي أسس وافراد ومصادرة اموال ومتاجر ، وغير ذلك من الاعمال المنكرة

وقد اشترك في هذه الثورة عدد غير قليل من السوريين والعراقيين ، وبينهم نخبة من ضباط الجيش التركي سابقاً . ولا بدع فقد اعلن الشريف « انها عربية تشمل كل عربي كائناً من كان على شرط أن يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقومه » <sup>(٢)</sup>

ولاشك أن الأتراك بذلوا جهدهم لاجراء الثورة . وقد استطاعوا في اثناء الحرب ان يكسبوا افواه الناس في سوريا والعراق عن نشر اخبارها . بل ان يحملوهم على التشجيع بها . على انها كانت في الحجاز قوة فعالة . وكان للادب نصيب كبير فيها . ومن حاملي لوائه شاعر الثورة فؤاد الخطيب فقد اوحى اليه بكثير من الشعر الحماسي . كقوله من قصيدة حبي بها استقلال العرب ونهضة الحسين ومطلعها <sup>(٣)</sup> —

حيّ الشريف وحيّ البيت والحرم  
يا صاحب الهمة السماء انت لها  
وانهض فمثلك يرعى العهد والذما  
ان كان غيرك يرضى الأين والسأما

ومنها مخاطباً الاتحاديين —

يا آل جنكيز ان تفعل مظلالمكم  
على الشعوب فقد كانت لهم نعمة

(١) راجع المنشور في الثورة العربية ( امين سعيد ) ١ — ١٤٩ وفي كتاب الوثائق والمعاهدات لجريدة الايام الدمشقية ص ٢٦  
(٢) كتاب ثورة العرب ( المقطم ١٩١٦ ) ٢٣١ (٣) كتاب ثورة العرب ( المقطم ١٩١٦ ) ٢٤٤



فالظلم ابقظ منهم كل ذي سِنَّةٍ ما كان يهض لولا انه ظَلَمَها  
ومنها مشيراً الى اشتعال الثورة في الحجاز —

فمن يكن عن أباة الضيم في صممٍ فليسمع اليوم صوتاً يحسم الصمما  
فقد تكلم صوتُ النار مرتفعاً من الحجاز فشققَّ اليد والأُكماما  
يا ابن النبي وانت اليوم ناصرهم قد عاد متصلاً ما كان منقوصاً  
والنفَّ حولك أبطال غطارفة شَمُّ الأنوف يرون الموت مُسْتَعْمِلاً  
فاصدم بهم حدثان الدهر معترضاً صدّاً من الترك ان تعرض له أنهدما  
ثم يلتفت الى العرب مستفزاً حميتهم ومذكراً آياهم بالمجد الغابر

إيه بني العرب الاحرار ان لكم فجراً أطلَّ على الاكوان مبتسماً  
من ذلك البيت ، من تلك البطاح ، على تلك الطريق مشيت أجدادكم قدماً  
من كل أروع وثاب اذا انتسبت بيض الصوارم كان الصارم الحذماً  
لستم بينهم ولستم من سلالتهم ان لم يكن سعيكم من سعيهم اما  
الى الشام ، الى أرض العراق ، الى أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلم

ومثل الخطيب خير الدين الزركلي . ومن نقناته في هذا الباب قوله سنة ١٩١٨ من قصيدة  
عنوانها العرب والترك بصف فيها فظائع الاتراك (١) —

عنا أحقاد جنكيز فساقوا سلاسل يعرب سوق العبيد  
فكم قتلوا من الاخيار صيداً وكم ساموا المهانة من عميد  
وكم حملوا على الاعواد ظملاً وكم سَقَوْا المنيّة من شهيد  
ثم يشير الى الثورة فيقول : —

الى أمّ القرى عدت المذاكري وفي أمّ القرى خفق البنود  
بروق في الحجاز ومضن وهذا فكانت بجلسق قصف الرعود  
ويقول من قصيدته « الشهداء » وقد مرّ ذكرها : —

أبي السيف الا انتقاماً لها وخاف على الضيم خسرانها  
أثار بني هاشم في الحجاز وأنطق في الترب حسنها  
كتائب هبت تلي الدعاء وتطوي القفار وكشائها  
برمح برنّ وعضب يئن يُنبّه في الترك وسنائها  
هو النار أدركه الثارون اشجى فروقاً وسلطانها



وقصائد هذين الشاعرين نموذج لما نظم في الثورة والقائمين بها  
وما نراه في الوطن نراه في المهجر فقد حركت الثورة هناك الشعر العربي فتبارى زعماءه  
في وصفها وتعدد حسناتها ، وتمجيد من أوقدوها . كقول رشيد أيوب (۱) —

من أقاصي الروم نهديك السلام مع نسيم السحر  
يا شريفاً كلنا نأح الحمام فوق غصن الشجر

صاحب السيف الصقيل المسهب في دياجي المحن  
انت من قوم لهم تغنو الرقاب من قديم الزمن

خضتها حرباً على الباغي تدور بكاء أسد  
وتركت الترك اصحاب الفجور عبرة لابد

فأدر ايها الساقى الكؤوس جاء وقت الطرب  
واسقنا من خمر تجلو النفوس من ظلام الكرب

واضع للبلبل ان لاح الصباح صاح فوق القضب  
فلتتش للعز في تلك البطاح دولة للعرب

وهذا الشاعر من مهاجري السوريين في الولايات المتحدة وهم عموماً أقل تأزراً بالحركة  
العربية من مهاجري أميركا الجنوبية كما يشهد بذلك شعرهم المنشور في الدواوين والصحف وقد  
ألمنا وسنلم أيضاً بشيء من أقوال هؤلاء « الجنوبيين » الذين كان لهم يد تذكر في إضرام  
الروح العربية وحفظ الشعلة القومية بين أبناء العرب في تلك الاصقاع

ولما انسحبت الحيوش التركية من الاصقاع العربية ودخل العرب الشام بقيادة فيصل  
٣ تشرين الاول (١ أكتوبر) ١٩١٨ أخذت الشعر نشوة الظفر حتى كنت تراه في دمشق وبيروت  
والقدس وسائر الحواضر تتدفق الحماسة منه تدفق السيل كقول العاملي من قصيدة — (٢)

أجل بزغت في الشرق شمس الحقائق برغم العدى والمزعجات الطوارق  
غداة انتضى العضب المهند فيصل بكل كمي رابط الجأش صادق  
لعمرك ما العرب الكرام يهولها صليل المواضي او دوي البنادق  
ولا راعها ما جرعت من مرار وقد نصبت قدماً حبال المشانق



وقول الزهاوي من قصيدته النائية (وقد مر ذكرها) —

وجاءت خيول العرب تعدو وراءها بمقربة للانكليز خيول  
هنالك اهل الشام صاحوا وكبروا وكبر اعلام بها وسهول  
وكان لاخذ النار قد ثار ضيغم له في مغار الغابيين شبول  
اغر كريم الاصل من فرع هاشم فطاب له فرع وطاب اصول

وقول امين ناصر الدين في «الالهام» من قصيدة موضوعها يوم الصلح : —

فيالك يوماً فيه وثق للورى عرى الصلح رهط صادق العزم حازم  
فنبلت حقوق واستقلت ممالك وأنصف مظلوم وجوزي ظالم  
نهضت بهم من وهدة اليأس جملة فعيشهم غصّ الجوانب ناعم  
طلعت عليهم والوجوه عوابس ولم تمض الا والثغور بواسم

وقول اسعد خليل داغر من قصيدته «نار يخ الحرب الكبرى» في فتح سوريا : —

بشراك سورية العزيرة فافرحي وتهللي بخلاص شعبك واطربي  
فالله سؤلك قد اجاب فبالغي ما شئت في حمد الاله واطربي  
وعلى الا الى نجوك آيات الثنا صوغني وعن قدر الصنعة أعربي  
اني لمنقذك العظيم لشاكر وبنصره هذا لاكبر معجب

وفي ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ احتفل العرب احتفالاً باهر أبرفع العلم العربي في المكان الذي شق فيه شهادتهم ، فكان لرفعه هزة ادبية عظيمة وهي تتجلى في عشرات القصائد والخطب التي جاشت بها خواطر الادباء من جميع المذاهب . واليك منها هذه القطعة الحماسية وهي من نخمس للشيخ مصطفى الغلاييني (١)

راية العرب راية المدينة راية المجيد راية الحرية  
انت مهوى آمالنا الوطنية ومنازل يهدى السبيل السوية

دمت فينا مدى الزمان عليه

بك نحمي الحمى المفدى وننجي ثمرات تحي القلوب وتغني  
ونرجي الحياة في روض امن وارفر ظله خصب اغن

في حمى دولة العلى العربية

(١) راجع قصيدته «نشيد الحرية» في ديوانه



ومن هذه الحماسيات قول شاعر مسيحي من موشح<sup>(١)</sup>  
 ايها الابطال حيوا العلماء واحملوه  
 وانصبوه فوق اسوار الحمى واحرسوه  
 كن لقومي رمز مجد وعلاء في الامم  
 وتموج فلك الشعب فداء يا علم

ويعكس شعور المهاجرين قول ابي الفضل الوليد من قصيدة موضوعها نشيد العلم<sup>(٢)</sup>  
 العرب حولك جند ايها العلم منهم تألفت الاوطار والهمم  
 من خضرة وياض نعمة وهدى وحررة وسواد نقمة ودم  
 ألوانك استمكنت امجاد مملكة فيها تلاقى النهى والبأس والكرم  
 اليك رنو وفي اجفائنا عبر وفي القلوب شعور بات يستخدم  
 من الحجاز الى ارض الشام الى ارض العراق لك الافاق تبسم  
 اذا طلعت تطلعننا الى شرف وعزة فاطلت حولنا الامم  
 وقس على هذه الامثلة القليلة ما لو أثبتناه لما وسعته عشرات الصفحات

\*\*\*

كان الحزب العربي يأمل تأليف سلطنة عربية تضم الشام والعراق والحجاز وسائر الجزيرة  
 العربية تحت العلم الهاشمي. فتكون هذه الاقطار امارات مستقلة في ادارتها الداخلية  
 ولكنها مرتبطة بعرش واحد يجلس عليه الحسين وأولاده من بعده. وكان هذا الحزب يوالي  
 دولة بريطانيا العظمى ويعتبرها سنداً للدولة العربية وحليفة لها على طوارئ الزمن  
 فلما انقضى العام الاول على تأسيس حكومتهم في دمشق ظهر لهم ان ثقتهم بوعود الحلفاء لم  
 تكن قائمة على أسس ركين، وان ألاعب السياسة الاستعمارية لا يؤمن شرها، فأخذ التشاؤم  
 يتسرب الى نفوسهم. وبعد أن كانوا بالأأس يطفرون طرباً لذكر الثورة والعلم العربي  
 والسيادة القومية، وقفوا يتهايمسون بما سيؤول اليه أمرهم. وطبعي في مثل تلك الحال أن يمس  
 زهرة شعرهم القومي شيء من الذبول — مسحة من الشعور بالظلم. وعلى ذلك قول الزركلي  
 سنة ١٩١٩ من قصيدة له مطلعها: —<sup>(٣)</sup>

فيمَ الوني وديار الشام تُقَدِّسمُ ابنَ العهود التي لم تُرْعَ والذمم



وهي أكثر من أربعين بيتاً، وقد يصل فيها شعوره الى درجة الثورة على الظلم فيقول متوعداً —  
 اليّةً بساء ظلمت وطني وأنبئت عشبه بالغيث ينسجم  
 لأن تولوا رعيناً حسن ودّهم وصين منا ومنهم في العروق دم  
 وأشد من ذلك قول الغلاييني في دمشق سنة ١٩٢٠ — (١)

هبتوا فأمتكم أمست على خطرٍ جارت عليها الاعادي جور مُستقم —  
 حتى تسيل ربوع الشام مُفعمة دماً يسيل الردى في سيله العرم —  
 وذمة العرب والايام شاهدة لنضرم الوغى في السهل والظلم —  
 حتى يخلدوا بلاد العرب أجمعها من ساحل الروم حتى ساحل العجم —  
 ولم يكن شعراء المهجر أقل من شعراء الوطن شعوراً بمكائد الاستعمار وخوفاً من ضياع  
 الآمال. ففي الحفلة الكبرى التي احيها الحزب الوطني السوري في بونس ايرس سنة ١٩٢٠  
 احتفالاً بتسليم فيصل عرش سوريا التي الدكتور جورج صوايا قصيدة حماسية قال فيها مخاطباً  
 الامة العربية (٢) —

يا امتي جاهري بالحق لا تجمي ونازعي الخلق بقيامجدك الهرم  
 ومنها مشيراً الى فيصل والعلم العربي —

قد قام فينا صلاح الدين ويحهم فليقحم الشام من قد قال لم يقم  
 ففصل العرب مسئلةً بساحتها في حده الحد بين الذل والشعم  
 يا ايها الشعب دافع عن كيانك لا تجبن وذد بالقنا عن مجد ذا العلم  
 وقد حملت الحماسة شاعراً كبيراً من شعراء المهجر ان يطلب من وطنه لبنان الانضمام الى  
 الدولة العربية في سوريا واليك بعض قوله في ذلك (٣)

فان لم ترض بالعرب اتصلاً فلا تجعل جزاء الخير شرّاً  
 ولا تطلب لاوروبا انتصاراً على الشعب الذي ولاك نصراً  
 ويقول مخاطباً فيصل —

أقْبِصْصَلْ والمطامع محدقات بنا وجوادث الايام تترى  
 فلا تترك لذي طمع علينا يداً نخفي وراء الحلو مرّاً  
 ثم يتطرق الى ذكر الاحزاب واختلافها والى آمال الوطنيين الاحرار فيقول متوعداً —  
 وان نفشل ويقشى الشام ضيم جعلنا الشام للافرنج قبرا

(١) ديوانه ٦٦ (٢) ديوانه خمس الشاعر من ١٠٥ (٣) الياس فرحات — راجع مجلة الاصلاح  
 (بونس ايرس) مج ٤ عدد ٨



ولهذا الشاعر الوطني كثير مثل ذلك

ومن يراجع الشعر العربي السياسي في السنتين التاليتين للحرب (١٩١٩ و ١٩٢٠) يجد واحداً في جميع الاوساط السورية والعراقية — نقمة على سياسة اوربا في الشرق ودعوة الى الجهاد في سبيل الاستقلال والمحافظة على كرامة العلم العربي . ولعل اهم ما اثار النفوس في ذلك الوقت واقعة ميسلون وما كان من بسط الانتداب على البلاد السورية — ثم الثورة العراقية والهابها العصبية القومية على ضفاف الرافدين (وستذكر في باب خاص)

اما مصر فكانت مشغولة باحوالها الخاصة — كان شعرها السياسي منصرفاً الى محاربة الاحتلال ، وتوجيه نظر الامة الى الاستقلال . وبرغم ما كنا نراه يومئذ لبعض ادباء المصريين من العطف على القطرين الشقيقين (سوريا والعراق) لا يسعنا الا ان نقول ان الرأي الادبي العام في وادي النيل لم يكن عربيّ النزعة — بل نذهب الى ابعد من هذا فنقول انه كان ناقماً ثورة الحسين على الخلافة العثمانية ، تلك الثورة التي انتهت بانتصار الحلفاء وتميز الاحتلال (عهدئذ) في مصر . ولذا وقف الشعر المصري ازاء القضية العربية وقفة المعرض نافضاً يده من كل ماله علاقة سياسية أو قومية بسائر البلدان العربية

ويؤيد قولنا هذا ما صرح به مصريّ صميم <sup>(١)</sup> اذ قال في حفلة تكريم الوفد العراقي سنة ١٩٣٦ مشيراً الى هذا الموقف والى تحول الشعور المصري <sup>(٢)</sup> —

«منذ عشرين سنة أو نحوها كان اكثر المصريين اذا ذكر البلدان العربية ذكرها في شيء من الموجدة بشبه الاحاد» . وبعد أن يذكر أن نظرهم الى الاقطار العربية لم يكن يختلف عن نظرهم الى أي قطر شرقي — كاليابان او الصين مثلاً — يقول — « تلك المرحلة الاولى كانت مرحلة الوسوس والشكوك . فلما توالى الخطوب دراكاً على الاخوات المتقاطعات استيقظت روح الايمان من سباتها العميق فاخذت الالسنه والاقلام العربية كلها ذكرت العروبة وآلام الشقيقات ذكرتها مصحوبة بشعور من الاخاء لم يكن قبل موفوراً »

\*\*\*

وقد كان الشعراء في سوريا والعراق حتى في « مرحلة الشكوك والوسوس » التي يشير اليها الاستاذ دياب اعطف على القضية المصرية . على ان تحول الشعور المصري الاخير نحو الشقيقات العربية قد زادهم حماسة واهتماماً وسرى بعد كيف يظهر ولاءهم للوطنية المصرية وقدرهم لجهادها

(١) محمد توفيق دياب منثى جريدة الجهاد (٢) راجع خطابه في صوت الاحرار عدد ٧٦٢



# الفيلسوف المهمل

أهم نواحي عبقرية

ترجمة جديدة لاسحق نيوتن

ليس في تاريخ العلم الحديث عبقرية علمية أصفى معدناً وأوسع نطاقاً من عبقرية « أمير الفلاسفة » اسحق نيوتن . ولكن هذا « الفيلسوف الطبيعي » الذي وضع كتاب المبادئ Principia وكشف تركيب الضوء واستنبط حساب التمام والتفاضل Calculus وضع المرقب العاكس كان يعني كذلك بالفقه والتاريخ والكيمياء القديمة التي غرضها تحويل العناصر الخسيسة الى أخرى رزينة وثمينة، فكان يهمل الناحية العلمية الاصلية من عبقرية لأنه كان يظن ان قيمة المباحث التي من النوع الثاني أهم وأجدى . فنحن في حياة نيوتن أمام « عبقرية من الطبقة الاولى في موضوع لم يكن في حسبانها شأن من المقام الاول »

هذا هو السلك الذي ينتظم حبات العقد في سيرة نيوتن كما وضعها صليفاً الكاتب الانكليزي ونشرت من أشهر بعيد وفاته<sup>(١)</sup>

لقد كتبت سيرة نيوتن غير مرّة ونشرت رسائله أو معظمها فليس في كتاب صليفاً شيء جديد كبير الشأن لم يكن معروفاً . وإنما العناية بكتاب صليفاً تستمد من انه أعاد كتابة السيرة النيوتونية من ناحية جديدة . أي أنه رسم صورة لفيلسوف الجاذبية بنفس الالوان والخطوط التي رسمت بها صورته السابقة . ولكنه قدم وأخّر وأخفى وأبرز في ألوانه وخطوطه على وجه يلقي على شخصية الفيلسوف ضوءاً جديداً . ومدار هذه الصورة الجديدة هو أن نيوتن لم يكن يعلق شأناً كبيراً بسر عبقرية في الرياض والطبيعة والفلك

خذ مذهب الجاذبية . فليس هناك ريب في أن نيوتن بدأ يهتم بظاهرة الجاذبية وهو بين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين من عمره . قال في إحدى رسائله انه بدأ في ذلك السن « يفكر في وصول الجاذبية الى مدار القمر . . . وبذلك قابلت بين القوة اللازمة لحفظ القمر في مداره بقوة الجاذبية على سطح الارض » وكان ذلك في سنتي الطاعون (١٦٦٥ و ١٦٦٦) عندما ترك جامعة كمبريدج وعاد الى أهله الى ان تخف وطأة الوباء . وليس هناك شك كذلك في



انه كان مهتمًا بالبحث في هذا الموضوع بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة ثم بعد انقضاء عشرين على ذلك استجاب الى حث اصدقائه فوضع في سبعة عشر شهراً كتاب «المبادئ»

فالسؤال الذي يستوقف النظر هو هذا : لماذا تأخر نيوتن في نشر مكتشفاته الخطيرة الشأن؟ كان التفسير المقبول حتى الآن — وهو الذي أخذنا به في المقتطف — انه عندما أراد القيام بعمل الحسابات الخاصة بمذهبه في الجاذبية كان القياس الذي اعتمده لنصف قطر الارض غير دقيق فجاء اختلاف بين النظرية والواقع في حسابيه ، فأبى عليه ضميره أن ينشر مذهباً جديداً لم يتيقن كل التيقن من دقته . ولكن مطالعة أقوال نيوتن ورسائله تبين انه كان يعتقد ان المطابقة بين النظرية والواقع كانت لا بأس بها . وقد أثبت العلامة كاجوري مؤرخ العلوم الرياضية ان هناك ما يبعث على الاعتقاد بأن القياس الذي اعتمده لنصف قطر الارض كان يصح الاعتماد عليه

وقيل كذلك في تفسير اهماله لنشر ما كشف بأنه فرض في حساباته ان كتلة الارض مركزة في مركزها وان هذا الرأي لم يثبت له حتى استنبط فرعاً جديداً كاملاً في الرياضيات العالية وان ضميره أبى عليه النشر قبل ذلك . ولكن نيوتن نفسه لم يترك قولاً ما يفيد انه كان يعلق شأنًا كبيراً بهذه الصعوبة التي صادفها بل هناك ما يشير الى انه كان يرى — بصرف النظر عن الارقام — ان نظرية الجاذبية كافية لتفسير حركات السيارات ومداراتها

وها هو ذا الآن كتاب صليفلن يأتينا بتفسير جديد غاية في البساطة وهو ان نيوتن لم يكن بظن ان الناموس الكوني الذي كشفه كان ذا شأن عظيم . بل كان في نظره مسألة فلسفية هامة في ذاتها ولكنها لا تخرج عن كونها حلاً لمشكلة تسترعي الاهتمام . ذلك لان عنايته كانت منصرفة على الغالب الى موضوعات فقهية وتاريخية وكيمائية بالمعنى القديم وكان موضوع الضوء قد استرعى عنايته . فاهتم به وكشف فيه كشوفاً خطيرة . إلا انه كان منذ طفولته يحب اللعب الميكانيكية وتفكيكها وتركيبها وبرع براعة عظيمة في ذلك . ومع ان بحوثه في الضوء كانت دون بحوثه في الجاذبية نزاهة يؤثر الانصراف اليها لانها كانت ميداناً لاجراء التجارب بأجهزة تعيد الى الذهن ذكرى اللعب التي آثرها في طفولته

كانت الرسالة الاولى التي قدمها الى الجمعية الملكية خاصة بالمرقب العاكس المعروف بالمرقب النيوتوني وهو المرقب الذي يحل فيه المرآة لجمع الضوء محل العدسة . وقد كان هذا المرقب وليد إبداعه الذهني وبراعته اليدوية . ومع ذلك لم يخطر له أن يعرض على الجمعية كشفه الخاص بالضوء وهو ان الضوء مركب من الالوان المختلفة مع علمه ان هذا الكشف الاساسي مهّد له السبيل الى صنع المرقب العاكس



وما يصح على موقفه من مكتشفاته الفلكية والطبيعية يصح كذلك على موقفه من مكتشفاته الرياضية . فقد كان يبدو عليه أنه كان وهو معني باستنباط فرع جديد في الرياضة العالية كأنه مكب على شر كبير يمارسه في الخفاء لا كأنه يسدي خدمة عظيمة لتوسيع آفاق الفكر الانساني . ولذلك لم ينشر ما توصل اليه . ولا أبدى اهتماماً ما بأسلوب نده الفيلسوف الالماني لينتز في الموضوع نفسه . ولا كان يهمل ان يذاع ويعلم أنه السابق الى الكشف . الا ان الامر الذي لم يسعه ان يطيقه ويصبر عليه ، كان الزعم المروي عن لسان لينتز بأن نيوتن اخذ عنه ولم يعترف بما اخذ ولا عمن اخذ . ومع ذلك لم يكن يرغب في الجدال بوجه عام . فقد كان في قدرته ان يناضل وان يثبت اشياء انكرت عليه وبصحح اخرى رويت خاطئة ، ولكنه كان يرى ذلك مضية للوقت كان نيوتن في الثانية والاربعين من العمر عندما اتم تأليف «المبادئ» الذي قال فيه لا بلاس « ان لكتاب المبادئ الذي وضعه نيوتن مقاماً فوق كل ما اتجه العقل البشري » . ألفه في سبعة عشر شهراً اجابة لحث اصدقائه ولا سيما هالي الفلكي المشهور . وكثيراً ما اشار نيوتن الى كتاب المبادئ بقوله « كتاب هالي » . ألفه وكأنه خاضع طيلة تلك الشهور لقوة علوية لا قبل له بمقاومتها . فلما انتهى منه أطلق من عقاها وكان انطلاقه حاسماً . فقد عاش نيوتن حتى بلغ الخامسة والثمانين ولكنه لم يعن في النصف الثاني من حياته عناية جدية بالعلم . ولا يعلم سبب ذلك على وجه صحيح فقد يكون الاعياء الذي اصابه على اثر الانتهاء من المبادئ وقد يكون تأثره ب وفاة والدته او غير ذلك من الاسباب ولكنها جميعها غير وافية . الا ان الواقع انه اصيب بضعف نفسي وكاد ان يصاب في سنة ١٦٩٣ بخلل عقلي . بل ان الخلل اصابه مدى سنة تقريباً كما يبدو من ضعف التناسق في رسائله الخاصة ولكنه استرد صحته العقلية في آخر السنة وبقي مائلاً لصحته حتى وفاته لم يشعر بحاجة الى النظارات ولم يخلع له الا ضرر واحد مع انه ولد قبل تمام الحمل وكان ضعيفاً عليلاً في طفولته

قلنا ان نيوتن كان شديد الاهتمام بمسائل الفقه والتاريخ والكيمياء القديمة وهو يبدو عجيباً حقاً ويدل على تناقض اسامي بين نضوج نظريته العلمية في بحوث الطبيعة والفلك ونظريته التقليدية في بحوث الكيمياء . فالنظرة العلمية الحديثة القائمة على التجرد والتجريب ولدت فيه كاملة وتجلت « في مبادئه » و « بصرياته » على أتمها . ولكن الكيمياء استرعت عنايته كما استرعت عناية معاصريه هوك وبويل ولوك . ولم يكن في نظرة نيوتن الى المادة ما يتعارض والكيمياء كما كانت مفهومة في عصره . نعم انه لم يسلم بالرأي القائل بان المادة قوامها العناصر الاربعة المأخوذة عن قدماء الاغريق وهي التراب والهواء والماء والنار ولكنه كان يسلم بنظرية ذرية ليس فيها ما يمنع تحوّل عنصر الى آخر بل انه كان يرى التحوّل من اوضح الصفات التي



تتصف بها الطبيعة . ومن أقواله في هذا الصدد « ان تحوّل الاجسام الى ضوء والضوء الى اجسام يتسق واسلوب الطبيعة التي يبدو أنها تقبّط بالتحولات » . والفصل الذي بسط فيه المؤلف هذه الناحية من حياة نيوتن يثبت بلا ريب ان ما كان يعرفه نيوتن في علمي الكيمياء والاحياء كان اولياً ولكنّه لم يكن فيه متأخراً عن عصره . فنظرته الصائبة في شؤون الطبيعة والفلك والرياضة العالية هبطت في هذين العلمين الى مستوى النظرة السائدة في عصره . واذا كان هذا غير مثير للعجب لان الرجل لا يمكن ان يكون نافذ البصر في جميع العلوم فان العجيب فيه انه لم يدرك هذا فكان ينفق من وقته على هذه البحوث وما يتصل بها اكثر مما ينفق على العلوم التي أسلمت اليه مقابلتها . واذا كان نيوتن قد اشتهر في العلوم الطبيعية والفلكية بتلك البصيرة الخارقة في النفوذ الى سرّ المشكلة ولمس اهم عناصرها ثم وصفها وصفاً كميّاً Quantitative هو محور العلم الحديث فان هذه البصيرة خاتمة في بحوث الكيمياء فأنفق وقته وجهده في الجري وراء اوهام . ولعل مرد ذلك الى تلك النظرة الصوفية الدينية فيه وقد كانت من اهم النواحي في تركيبه النفسي والفكري فالتفسير العلمي لظواهر الطبيعة لم يكن في نظر نيوتن تفسيراً للعلة الاولى التي تسبب تلك الظواهر . ومعرفة العلة الاولى لا يتأتى في رأيه الا عن طريق الوحي الرباني . والعلم لا يستطيع ذلك الفهم الا اذا كمل . فالسوّغ الوحيد للعلم هو انه يقربنا من ذلك . قال : « لا تسير بنا كل خطوة في الفلسفة الطبيعية توجّه الى معرفة العلة الاولى ولكنها تقربنا منها » والعلة الاولى ليست ميكانيكية ولا يمكن افراغها في قالب العبارات الطبيعية . ان العلة الاولى لحركات الاجسام هي مشيئة الله .... ومن هذا القبيل اسناده الجاذبية الى المشيئة العليا . والواقع ان التفسير الطبيعي والتفسير الالهسي علان متباينان من عوالم الفكر . فالتفسير الاول يتناول — في نظر نيوتن — ما يمكن ان يحسب تقدماً علمياً . والثاني خاص بما وراء الطبيعة — بالعلل الاولى . وقد كان نيوتن على خلاف ديكارت يرى العالم الواحد متميزاً عن الآخر . الا ان الفرق بينهما لم يكن مطلقاً يدل على ذلك اعتقاده ان العلم متى كمل استطاع ان يكشف العلة الاولى ، العلة التي من وراء الطبيعة . ومع انه لم يكن يرى أن العلم في عهده بلغ تلك المرتبة كان يعتقد انه سائر في الطريق نحو هذا الهدف . ومن أشهر أقواله الماثورة في هذا الصدد « عند ما كتبت رسالتي عن نظامنا كان همي ان أبسط المبادئ التي قد تؤثر في الاعتبار من الناس لبث الايمان بالآله . وليس هناك ما هو أبعث على اغتباطي من ان تكون ذات فائدة في تحقيق هذا » وما فتىء العلم سائراً . . . نحو ذلك الهدف !

وما فتىء العلماء يعنون بالناحية الفلسفية من علمهم لعل اقتران الاثنين يقرّبهم قليلاً من الحقيقة المطلقة او يمكنهم من اماطة اللثام قليلاً عن محياها !



# تولستوى

وأحاديثه

لعملى أرهم

يسود عالم الاخلاق نوعان من الآداب ، آداب الارستقراطية وآداب الديمقراطية ، فالطموح وتراحم الآمال وجوهر المطامع والكبرياء والجبروت وشدة الاعتداد بالنفس والميل الى العدوان وبسط النفوذ واستعمال القسوة وامثال ذلك من الصفات مردها الى آداب الارستقراطية أما الديمقراطية فمن شأثلها التواضع وخفض الجناح والقناعة والحلم وحب العدالة والرفقة والحنان والميل الى التضحية ونكران الذات ، وليست هناك حدود فاصلة بين هذين النوعين من الآداب ، فمن الناس من تغلب عليه آداب الارستقراطية ومنهم من لا آداب الديمقراطية من نفسه المكان الاكبر والقسط الاوفر ، ومنهم من يلتقي في نفسه النوعان ويجمع الضدان ، وفي بعض الازمنة تنتصر آداب الارستقراطية وفي ازمئة أخرى تفوز آداب الديمقراطية ، ومن الشعوب شعوب آداب الارستقراطية أشد تأصلاً في نفسها مثل العرب خاصة والارومة السامية عامة ، ومنها شعوب آداب الديمقراطية أئين في اخلاقها وأعرق في طباعها مثل الشعب الروسي السلافي

\*\*\*

وقد ظهر في القرن التاسع عشر — ذلك القرن الذي اشتد فيه الصراع بين المذاهب والمبادئ — مفكران كبيران لهما من صدق السريرة وعمق الروح وقوة الانسياق مع تيار فكرهما ما يسمو بهما عن مرتبة الفنانين والفلاسفة الى مستوى الرسل والانبياء ، ولقد بلغ هذان التبيان الجديدان رسالتهما الى العالم ولم يتلثم لسانهما في تبليغها ولم يقصر باعهما في نشرها ، فأحدهما — وهو نيتشه — يعد بحق نبي الارستقراطية المطالب بحقوقها ورافع صوتها في العصور الحديثة ، والآخر — وهو تولستوى — هو نبي الديمقراطية ومجدد عهد روسو وأقوى المدافعين عن آداب المسيحية عارضة وأجهرهم صوتاً

والاول من نبت المانيا المفكرة الفلسفية ، والثاني درج في روسيا الساذجة المتدينة ، ولم يمنع



الاول وجوده وسط أوروبا المسيحية من ان يسدد سهامه الى صميم آداب المسيحية ويرسل عليها صواعق غضبه بلا رحمة وفي غير هواة ، وكذلك تولستوى لم يمنعه وجوده في روسيا القيصرية من ان يرسل خطاباً الى القيصر نقولا عند تسنمه عرش روسيا عقب مقتل القيصر اسكندر الثاني يناشده فيه ألا يبدأ حكمه بأعدام القتلة وازهاق الارواح ويلتمس العفو عنهم ، وساءه ان أهمل القيصر خطابه ولم يصنع الى رجائه . وقد تغنى نيتشه بأنشودة الانسان الاعلى وملا بها المسامح ونفض عليها من خياله الخصب أبهج الالوان وأزهى الحلل واستنزف معين شاعريته في تجميلها وترويعها ، واستنفذ تولستوى براعته الفنية كلها في رواية « الحرب والسلام » تلك الرواية التاريخية العظيمة والمعجزة الفنية التي يضعها بعض كبار النقاد الى جانب الياذة هوميروس والتي تحمل في مطاويها فكرة ان الجماعات هي التي تلعب أكبر دور في تاريخ الإنسانية وأعمالها الجسام لا الابطال والعظماء ، وذلك لان الجماعات في رأيه هي التي تمت على يدها مختلف الاحداث في حرب سنة ١٨١٢ لا نابليون ولا غيره من العظماء البارزين في التاريخ

\*\*\*

وليس من قذفات الصدف وغرائب الاتفاق ان أخرجت روسيا في الديمقراطية ورسول الحب والسلام في المصور الحديثة ، فان الادب الروسي معروف بالإنسانية العالية وحفوله بكنوز الحب والعطف ، ولقد نبغ الروس النبوغ كله في الادب الروائي وسبقوا في مضماره سائر الامم ، ولم يخرج روسيا شاعراً عالمياً يعبر عن خصائصها ويميزاتها مثل دانتى عند الايطاليين وشكسبير عند الانجليز وهوميروس عند اليونان وانما أخرجت طائفة من عبقرى الروائيين ونوايغ القصصيين ، ولعل أقرب رجال الادب الروسي جميعاً الى تمثيل النفسية الروسية بمختلف ظلالها ومتنوع ألوانها هو كاتبها الكبير تولستوى ، فان انكبابه على المسائل الدينية وشدة تعلقه بالديمقراطية يمثلان فيه أعظم غرائز النفسية الروسية وألزم خصائصها ، فالروسي شديد الدين ولكنه بعيد عما يشوب العقائد والنحل من اسباب التعقيد وغريب التخريج وما ينشأ حولها من خفايا الصوفية وغرائب الاسرار ، وهو أميل الى البساطة في تدينه ، وهو بطبيعته ترأع الى الرحمة والعطف ، وحتى الشيطان في القصص الروسية موضع رحمة لانه وان كان عدو الانسان اللدود الذي لا ينفك يعمل على استغوائه وإيقاعه في الشرك ولكنه لسوء حظه لا يتقن غير هذه المهنة ولا يعرف سواها وهي من أقدم المصور صناعته التي يجيدها ، فهم لاجل ذلك لا يحقدون عليه بل هو في عرفهم شيطان صالح لا بأس به ، والعادات الاشتراكية عميقة الجذور وشجعة الاصول في نفوسهم



وقد قال احد المفكرين « ليست العبقرية سوى التخلص الاتم من تأثيرات الزمن والآداب والوطن » وأرى في هذا الرأي شيئاً من المغالاة ، والاصح في اعتقادي ان في كل عبقرى ناحيتين ، ناحية انسانية علمية وناحية أخرى قومية محلية ، وتولستوى مثال لذلك ، ففيه الجانب الانساني العالمي العالمي وهو من ناحية أخرى أنموذج تام للنفسية الروسية تلتقى فيه غرائزها الاصلية وبواعثها المستخفية العميقة

\*\*\*

وقد كانت المسائل الدينية ومشكلة الحياة والمبدأ والمصير تساور تولستوى من أوليات حياته الفكرية ، ولكن في بادىء الامر تغلب الفنان في نفسه على النبي والمصلح الديني ، وظل الفن له الاثر الاقوى في حياته حتى انتهائه من رواية « حنة كارنينا » فتبدل الحال واشتدت الازمة وغام الجو وتراجع الفنان الى المؤخرة ليفسح المجال للنبي القادم ، قال في اعترافاته يصف ذلك « لما اتممت كتابي « حنة كارنينا » بلغ بي اليأس اقصى حدوده ، وصرت أدمن التفكير وأطيل النظر في الحالة الرهيبة المجتواة التي ألت بنفسي ، وكانت الاسئلة تنثال علي وتتكاثر حولي وتتطالبي بالاجابة عليها ، ومثلما تتجه الخطوط كلها الى ناحية واحدة كذلك كانت الاسئلة غير المجابوب عليها تتزاحم وتتدافع متجهة جميعها الى نقطة سوداء ، وبقيت مستمرّاً في تلك النقطة وقد استولى علي الخوف واستقل مشاعري الاحساس بالضعف ، وكنت اناهر الحسنيين من عمري لما ساقنتي هذه الاسئلة الى هذا الموقف الضنك غير المنتظر ، وانتهت الى هذه النتيجة وهي اني — وأنا رجل سعيد موفور الصحة — لا املك البقاء ولا اقوى على العيش ، وقد كنت من الناحية البدنية استطيع ان اشتغل في حصاد الدريس كما يستطيع اي مزارع ، وكنت من الوجهة العقلية أستطيع ممارسة الاعمال الفكرية اكثر اليوم مما كنت ، دون أن يعتريني كلال أو مرض ، ولكنني رغم ذلك كله انتهيت الى هذه النتيجة وهي اني لا أطيق البقاء ولم أر أمامي الا شيئاً واحداً وهو الموت ، وكنت أرى كل شيء آخر ما خلا باطلاً ومحالاً زائلاً »

وأما هذه المواقف التي تربد فيها آفاق الفكر ويحلوك ليل النفس وتهون عليها الحياة وتفرز الى فكرة الموت معروفة في حياة الكثيرين من العطاء وأعلى البشرية ، وكانها جسر قائم بين حيتين ، حياة سابقة وحياة لاحقة ، وسرعان ما عبر تولستوى هذا الجسر ونجا من أخطاره وأهواله ، قال في اعترافاته وقد ظهر له ان المسائل التي أثارته هواجسه وهيجت بلابله قد أجابت عليها الانسانية من آلاف السنين اجابة شافية مقنعة « منذ بدأ الناس يعيرون عرفوا



معنى الحياة وحلوا الحياة حتى انتهت اليّ ، وكل ما في نفسي وكل ما حولي من منظور وغير منظور هو ثمرة تجاربهم ، وحتى الوسائل التي أحكم بها على الاشياء ورثتها عنهم ، وقد ولدت وريت وترعرعت بفضلهم ، وقد حفروا ونقبوا على الحديد وراضوا الجمال والحيل ، وعلمونا كيف نفلح الارض وكيف نعيش جماعة وننظم الحياة ، وعلموني كيف أفكر وأعلل ، وجئت أخيراً وأنا ثمرة غرسهم ولم أحصل على قوتي إلا بأفكارهم أحاول ان أستعين بما أخذته عنهم من المنطق والدراية لأقيم لهم الدليل على سخافتهم وخطيئهم ، من الواضح انني أسخف ما لم أحسن فهمه »

وأخذ يفكر بعد ذلك في معنى الله الذي قضى حياته باحثاً عنه ، ففي صباح يوم من أيام الربيع انطلق الى الغابة ليلمس من جمال الطبيعة ويسمع الاطيار الصادرة على زواهر الاغصان وليفكر في المسائل التي شغلت خواطره واستأثرت بنفسه في السنوات الثلاث الاخيرة وخاصة مسألة الله ، فأشرقت عليه فكرة ان مسألة الله ليست مسألة ليحكم فيها العقل ، وأحس بأن الله هو الحياة وأن نحيها هو ان نعرف الله

\*\*\*

ومن ذلك الوقت لم يتطرق الى نفسه الشك بالله ، وذهب بعد ذلك الى الكنيسة ولكنه لم يطمئن لنعاليمها ولم تعجبه مسيحيتها ، فأدار شراع خواطره الى الرياح وطافت سفينة ببحار هدادة ومرت بجزائر عجيبية ورأى من أعاجيب المذاهب الفلسفية وغرائب النحل والعقائد ما هو أبعد على الدهشة وأغرى بآثاره الظنون من البحار السبعة التي اجتازها « بلوقيا » على أقدامه والاهوال المفزعة التي خاض غمارها « جاناشاه » في قصة ألف ليلة ، وبعد أن طوف ما طوف رست سفينته في مرفأ المسيحية الخالصة المنقاة من شوائب الكنيسة والخالية من الحشو والزوائد مسيحية تولستوى التي فصل الكلام عنها في كتبه الاخيرة ، ولكن أظن الرجل بعد ان عاد من هذه الرحلة الشاقة الطويلة هدأت نفسه وقرت ثورته واستمرأ الراحة والصفو ؟ كلاً وأننى لمفكر كبير من طراز تولستوى أن يستريح في هذه الحياة التي كتب علينا فيها الجهاد والتعب فهو ان اجتتى مرة ثمرة الفوز نفصتها عليه فكرة ان هناك مجاهل لم تعرف ومشكلات عدة لم يحل عقدها ، فكيف الراحة والطمأنينة ونحن نسعى في مناكب المجهول والكمال البعيد أماننا ؟ والراحة في هذه الحياة سراب لماع يغص الانسانية بريقها وفجر كاذب يخدعها بضوئه ويقذفها في أقاليم أشد ظلاماً ، وليست الراحة غرض الحياة وانما غايتها نشدان الكمال الادبي والفكري



وقد نستريح اذا بلغنا الكمال ، ولكن أين منا الكمال ونحن أفراد زائلون تلقاء عالم سرمدي ؟ كذلك تولستوي من بعد عودته من سياحته الفكرية أخذ يندلع في نفسه لهيب ثورة داخلية لم تنطفئ في غيراتها وتهدأ ثأرتها إلا بموته ، وبواعت هذه الثورة العنيفة والمأساة المذنية للقلوب هي عجزه عن تنفيذ ما كان يبشر به وفشله في ان يعيش في ظلال تعاليمه و يقينه الجديد ، وكان شعوره بهذا التناقض بين أفكاره وأسلوب حياته هو الطير الجارح الذي لا ينفك يفقر وجه هذا « البرومبيوس » المقيد بالاعلال والسلاسل ، ولم يستتر مرة عنه الشعور بهذا التناقض الرهيب بل كان على الدوام ماثلاً لناظره كما يتبع القاتل خيال القتيل ، ولم يذهب وقره عن ضميره الفاحص المتهم وعينه الدخيلة الواعية ، وكان يقض مضجعه في هدأة الليل ويحجم على نفسه في أطراف النهار ، وغير تولستوي قد يقنع بالتبشير بما يعتقد حقا دون ان تتجاوب حياته مع تعاليمه ، وقد يكون من الصعب ان تصور آلام هذا الضمير الحي وكمد هذه النفس اليقظة ، وقد كان تولستوي يعيش عيشة زهادة وخشونة لا من دافع طبيعي — فقد كان بفطرته ابيقوري الغرائز شهواني المزاج — ولكن بمجهود غير قليل من ارادته الصارمة ، وكان يخفض جناح الرحمة لمن حوله ويسقيهم من اخلاقه الشريفة العذب النير ، ولكن ضميره لم يقنع بهذا ولم يرض الوقوف عند هذا الحد لأنه كان يطالبه ويلج عليه في ان يعيش عيشة طاهرة الى اقصى حدودها وأبعد نهايتها ، وكان يعرف الى اي حد قد فشل في تحقيق مثله الاعلى ، وطالما لفحته هذه المعرفة بشواظ من النار وجرتة على مثل شوك القتاد ، وكانت فكرة ثروته الضخمة المتراكمة في المصارف وضياعه الواسعة التي تغل عليه الاموال الطائلة وهو الذي يحبذ الفقر ويدعو الى المساواة ويرفع قسطاس العدالة تتبعه في كل مكان وتطارده في كل لحظة وتذكره بنصيحة السيد المسيح لاحد تلامذته بأنه اذا أراد ان يتبعه وينتظم في سلك تلامذته فعليه اولاً أن يبدأ بتوزيع امواله بين الفقراء ، اما تولستوي المكروب الحزين فسكان يمشي وراء المسيح مثقلاً بمحمول الثروة وبأمر غيره دون ان يبدأ بنفسه ويقف امام الانسانية والتاريخ هذا الموقف المتناقض الغريب وما اشد وقع ذلك على نفس تولستوي النبيلة الحساسة !

وقد نتساءل هنا هل كان تولستوي حقيقة حريصاً على الدنيا مهما الكا على المال يبشر بما يراه حقاً مع الاحتفاظ بثروته ، ويقول مع صاحبه الفيلسوف شوبنهاور « ان الذي يرسم الصورة الجميلة لا يشترط أن يكون هو أيضاً جميلاً » . ويسلك مسلك المتنبي الشاعر في امتداح الجود والكرم مع شدة الحرص والبخل ؟ والجواب عن هذا التساؤل ان الرجل لم يكن شيئاً من ذلك ، وكان مخلصاً في دعوته اخلاصاً لا تشوبه شائبة ، ولم يمنعه من أن يبدأ بنفسه في اتباع تعاليمه سوى زوجته



وباقى أفراد أسرته ، وكانت أسرته قانعة بأن ترى اسمه قد طبق الأرض وان تشاهد الوفود  
تخرج إليه من أقاصي البلاد ولا تود أن تفقد ثروتها وضياعها لأجل ألا يقع التناقض بين مذهبه  
وحياته ، ولم يستطع تولستوي ان يكسر أغلاله العائلية وعاش أسيراً لسلطتها ، وكانت أشد أفراد  
الأسرة قسوة عليه ومقاومة لتنفيذ تعاليمه زوجته ، ولست أحب أن ألوم تولستوي وأعنفه لهذا  
الضعف والتخاذل فكفاه ما لاقاه من وخز الضمير والألم المبرح ، وقد حاول في آخر سني حياته  
أن يهرب من أسرته ولكنه لم ينفذ الفكرة. وكتب الى صديق له ما يتم على السبب الحقيقي لذلك  
قال : « لقد تركت فكرة الفرار لانه خطر بفكري ان صوفيا اندريفنا ( زوجته ) لا بد ان تكرهني  
بعد ذلك ويصير كل شيء اسوأ مما كان » وهنا نقف امام عاطفة سامية من العواطف الانسانية  
التي يدنسها الاسهاب في وصفها وبفض من جلالها ، على انه فر من منزله بعد ذلك لحادثة  
نضرب عن ذكرها وأراد ان يلاقي الموت منفرداً مع خالقه ، ولكن لم تتحقق امنيته اذ لحقته  
اسرته حيث كان يسلم الروح في غرفة حقيرة باحدى محطات السكة الحديد ويستعد ليتبوأ مكانه  
في ملكوت الخالدين

\*\*\*

وسأعرض على القارئ طائفة صغيرة من أحاديثه وهي على قلتها صحيحة الاسناد وقد تكون  
لخاوى المحادثات أدل على الرجال وأهدى الى نفوسهم من محتويات الاسفار  
كان تولستوي يحب من المؤلفين الروس الشاعر بوشكن ولرمنتوف وجوجل وشيكوف  
ودستوفسكي . قال عن الاخير : « عندما نختبره عن قرب نرى انه يكتب بأسلوب رديء وتنقصه  
القوة الفنية ، ولكن ما أغزر مادته وما أكثر ما يقوله لنا » . وقال عن ترجيف الروائي الروسي  
الكبير : « أنا مولع بشخصه ولوعاً ولكني لا أضعه في مكانة عالية بين الكتّاب » ، وكان قليل  
الاكتراث بالكتّاب المعاصرين له حاشا أنا تول فرانس ، وفي وقت ذبوع شهرة مترلك  
كان تولستوي صريحاً في نقده والاقبال من قيمته وذلك برغم إعجاب مترلك الشديد  
بتولستوي ، وقد قال له مرة أحد أصدقائه « لقد امتدحك مترلك وقال في مقدمة مؤلفاته  
التميلية » ان رواية « قوة الظلام » هي أعظم دراما في الدنيا » فضحك تولستوي مستهزئاً  
وقال له « اذا كانت كذلك فلماذا لم يقلدها ويضرب على غرارها ؟ » وسأله مرة أحد الناس  
« هل قرأت رواية مونافانا ؟ » ( من روايات مترلك ) فأجابته « ولم أقرأها ؟ هل اقترفت اثماً ؟ »  
وكان يمتدح الاتجار بالادب أشد المقت ويعتلي غضبه إذا ذكر ذلك بمحضرتيه قال مرة  
« ينبغي للانسان ألا يكتب الا اذا ترك بضعة من لحمه في الدواة كلما غمس فيها القلم »



وقال عن المرأة « النساء على العموم شريرات الى حد ان الفرق ضئيل بين المرأة الصالحة وامرأة السوء »

وجذب مرة صديقه جولد نوايز من ذراعه وهو يودعه — وهو الذي أروي عنه هذه الاحاديث — وقال له هذه النصيحة الغالية « إني أريد ان أقول لك انه مهما عظمت مواهبك الموسيقية ومهما كان الوقت والمجهود الذي ضحيت به لهذا الفن فلتذكر ان أهم شيء هو ان تكون رجلاً ، ومن اللازم ان تجعل دائماً نصب عينك ان الفن ليس كل شيء ، وفي علاقتك بالغير ابدل جهدك في ان تقدم لهم اكثر مما في طوقك وان تأخذ منهم اقل ما يمكن اخذه ، وأرجوك المَعذرة لهذا القول »

وقال له مرة ان « الانا » شيء زمني يحد جوهرنا الخالد وأرى ان الاعتقاد بخلود النفس يدل على نقص في الفهم »

وفي بعض الاوقات كانت تغلب عليه السويداء فيأس من الدنيا وصلاحتها ، وقال مرة وقد اعترته احدى هذه الحالات « ان خطأ الثاثرين الرئيسي هو اعتقادهم اننا نستطيع ان نسيطر على الحياة الانسانية ونخضعها للنظام »

وقال مرة اخرى « تمر بي اوقات يغمر نفسي فيها اليأس من كل ما يحدث في الدنيا وأعجب كيف استطاع الناس ان يحتملوا الحياة مع توالي تلك الكبار والفظائع ، وطالما هزني وحيرني تقويمنا الانسان بأضال القيم حتي لو اعتبرناه مجرد حيوان نافع ، والحصان الذي يجر العربّة يساوي قيمة معينة في نظرنا ونحن ندفعها عن طيبة خاطر ، ولكن الانسان يستطيع مثلاً ان يصنع احذية وأن يعمل في احد المصانع ويعزف على البيان ، ولكن مع ذلك كله فان خمسين في المائة من البشر يقضون نحبهم دون ان يكون هناك ما يستدعي ذلك ، واندكر اني عندما كنت اربي الدواجن كنت اغضب واتهم الخدم بالتهكير اذا بلغت نسبة الوفيات خمسة في المائة ولكن خمسين في المائة من البشر ترهق ارواحهم بدون مبرر ولا ضرورة »

\*\*\*

والمرأة في رأيه « تعاكس وتمرقل قانون التقدم ، وهي تقاوم الرجل وتمارضه معارضة شديدة اذا حاول أن ينتقل من بين أطلال حياته السالفة وأنقاضها المحطمة الى حياة جديدة أنم وأحفل منها ، وفي المرأة أنانية محزنة ترتكب أكبر الفظائع باسم الحب »  
وقال مرة لاحد اصدقائه « ان أسعد أيام حياتي هو اليوم الذي أعلم فيه أنني فقدت ثروتي وكل ما تملك يدي »



ولم يكن مسيح تولستوي هو آله الشدة والعنف وإنما كان آله الحب والعطف ، مسيح عظة الحيل ، ولقد حدث مرة أن شقيقته ماريا نيكوليفنا عارضت فكرة أن رحمة الله تنسج للخير والشرير ، وبعد أن أصغى إليها تولستوي طويلاً في صبر وأناة قال لها في لطف ورقة « التفقي الآن في دورك ، أن الفرق بين حياة أكثر الناس تقوى وصلاً وحياة أشدهم شرّاً وخطيئة فرق طفيف جداً بالنسبة لكامل الله ، وكيف أسلم بأن الله وهو ليس سوى الحب يمكن أن يكون منتقياً جباراً وينزل بالناس صارم العقاب وشديد العذاب »

فجأته « ولكن افرض أن بعض الناس عاش طوال حياته في الخطيئة ومات بدون ندم » فقال لها تولستوي « أي الرجال يريد أن يكون شريراً لا أمل في صلاحه ؟ إن الرجل الذي نحكم عليه بأنه شرير شقي منكود الحظ وينبغي أن نحبه ونزني لآلامه ، وليس هناك أحد يود أن يكون شريراً ، فالشرير إنما يرئى له لأنه لا يبصر الحق »

وكان « آله الحب » هذا يغمر قلب تولستوي بشعور قوي نحو الطبيعة ويوحى له بكلمات من أسطع حكمه وأبهر آياته ، قال في بعض أقواله المبثوث فيها شيء من هذا الشعور « كل ما في الوجود نابض بالحياة وما نراه ميتاً بظهر لنا كذلك لأنه إما أن يكون جد كبير على الفهم أوجد صغير عليه ، ونحن لا نرى الميكروبات والجراثيم فنحسبها غير حية وكذلك الكواكب تتراءى لنا مسلوبة الحياة لنفس السبب الذي نبدو فيه نحن للنمل غير أحياء ، ولا نزاع في أن الأرض خافقة بالحياة وأن الحجر الملقى على الثرى هو بمنابة الظفر من الأصبع ، والماديون يجعلون المادة أساس الحياة ، وكل النظريات عن أصل الأنواع والذرات ومادة الحياة لها قيمتها إلى الحد الذي تمكنتنا به من فهم القوانين المسيطرة على الطبيعة وتكشف لنا عن كنهها ولكن علينا ألا ننسى أنها مجرد فروض وليست أكثر من ذلك . والفلكيون يفرضون لاجل أن يتم حسابهم ويتسق تفكيرهم أن الأرض ثابتة ، وكذلك الماديون يبدأون من مقدمة غير صحيحة ولكنهم لا يعترفون بذلك ولا يعاودون محاولة حل مشكلاتهم على أساس صادق صحيح ، ومذهبهم في الحقيقة أشد المذاهب امعاناً في الغرابة ، ذلك لأنه يفرض مادة عجيبة الشأن تخلق كل شيء من ذاتها وهي أساس كل شيء ومرجعه فهي شيء لا يتيسر لنا أن نبصره كالثالوث نفسه »

\*\*\*

وكان في نية تولستوي أن يتبسط في شرح هذه الفكرة ويفصل منها ما أجمله في حديثه بكتاب خاص فأعجله عن ذلك الموت الذي يلهو بالخلوقات ، وبصرف بالاحياء ، فذهب وفي نفسه منها شيء



# مبدأ النسبية

الكلاسيكية

لإسماعيل أحمد الرهم

— ١ —

تقوم مبدأ النسبية الكلاسيكية على مفهوم أولي في ان الحوادث تقع في عالم الطبيعة وكأنها تحدث في الخلاء بدون ان تتأثر بحركة الاجسام التي تصدر عنها . وهذه الفكرة قائمة على أساس أولي في ان النظم المادية سيات كانت ثابتة بالنسبة لمحاورها الوضعية أم كانت متحركة حركة منظمة مستقيمة فالقوانين التي تتبعها واحدة لانها ترجع لمعادلات التحويل الغاليلية التي تقرر وحدة الاشكال والقوانين في مختلف النظم

ومن المهم ان نلاحظ ان قوانين التحويل قائمة على أساس تستمد من تحويل شكل من الاشكال الى صورة أخرى وفقاً لمبدأ معين ، وهذه التحويلات ترد لوجهين في الهندسة :

الاول : بالنسبة لسطح او منحنٍ ومن هذا الوجه مبادئ الرسم المرقاطوري ، وكذلك رَدُّ اليها الصور التي تصورها الجغرافيون من وجهة نظر العين لسقوط شعاع الناظرين على سطح الكرة الارضية على سطح مستوٍ . وهذه الصور ليست الا النسب والعلاقات بين الصور المرتسمة وسطح الارض الكروي

الثانية : بالنسبة للهندايات الرياضية على اعتبار ان الاشكال مركبة من المتماديات *continu* اللامتناهية ، وأكثر المبادئ التي يرجع اليها في هذا الشأن ، تلك التي تعتبر المكان مكوناً من عناصر بسيطة تشكل اللبنة منها النقطة ، ويبنى اصول التحويل على هذا الاساس . وبذا يكون تحويل شكل من الاشكال معناه تحويل النقط التي تكون بهذا الشكل الى صورة أخرى وفقاً لقانون معين . فاذا فرضنا ان شكلاً ما أريد استخلاص صورة جديدة منه عن طريق التحويل ، فذلك يكون عن طريق تحويل النقط المكونة لذلك الشكل وفقاً للقانون الذي يراد تحويله تبعاً له . وهذه القواعد تعرف في الاصطلاح الرياضي بقاعدة « تحويل الشكل من صورة الى أخرى عن طريق نقل النقط المكونة للصورة الاولى وفقاً لقانون معين »



ولنا ان نستفيد من المبادئ التي بها رينيه ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠ م) عن نظام المتعامدات في كتابه « الهندسة » عام ١٦٣٧ م والتي توسع بها الفيلسوف الرياضي لينتز (١٦٤٦ — ١٧١٦ م) في كتابه *Acta Eruditorum Iipisisie* ص ١٧٠ عام ١٦٩٢ م والتي قامت من عليها الهندسة التحليلية في تحديد موضع نقطة على سطح ما محصور بين مستقيمين مثل (ع — ع) و (س — س) قد تقاطعتا في النقطة (م) ، فإذا فرض ان النقطة (م) واقعة في المستوى المحصور بين الخطين (ع — ع) و (س — س) ورسمنا خطين متوازيين الاول يصل (م) بالنقطة (م) المفروضة على المستقيم (ع — ع) موازية للمستقيم (س — س) ، والثانية تصل (م) بالنقطة (م) المفروضة على المستقيم (س — س) موازية للمستقيم (ع — ع) ، فيمكن بذلك تحديد موضع النقطة (م) بتحديد هذه الابعاد والخطين الموازيين (م — م) و (م — م) يعرفان بالكميات الوضعية *coordinate* للنقطة (م) . واستناداً الى هذه القواعد يمكن بكل سهولة استخلاص الاصول التي يرجع اليها في تحديد موضع نقطة في الفضاء إذ يكفي تصور خط ثالث من (ص — ص) المار بالنقطة (م) ليكون معنا ثلاثة متعامدات على المحور (م) ، وتكون كل واحدة من هذه المتعامدات ترتيباً لهذه الكميات الوضعية . واستناداً الى مبدأ التقابل تكون المحاور الثلاثة متحدة في النقطة (م) ، وهذا النظام الانسجامي يكون معنا المحاور القائمة الزوايا الديكارتية او بتعبير آخر نظام المتعامدات الديكارتية

هذا المبدأ مستعمل في اميركا في الحياة العملية ، فلو أردت أن تعرف عنوان شخص لوجدته مثلاً ( مدام إيمي خير : ٢٠ : ٢٥ : ٨ ) أعني مدام إيمي خير بالشارع ٢٠ بالمنزل ٢٥ بالدور ٨ وبهذا التفسير يتحدد عنوان الشخص تماماً كما هو الحال في تحديد نقطة بنظام المتعامدات الديكارتية . ويكون تحديد العنوان كتحديد النقطة راجعاً لثلاثة خطوط ليست على مسافات محددة من موضع النقطة بل منتظمة بعضها مع بعض في شكل مطرد *ordre* لتعيين موضع النقطة في الفضاء . ولهذا كان تعامدها بعضها على بعض محدداً لنقطة واقعة بين انفراج زواياها

واستناداً الى هذه القواعد في الهندسة التحليلية يكون الفضاء من حيث يتألف من نقط ، خاضعاً لنظام ثلاثي ، تمتد فيه ثلاثة محاور من كل نقطة كائنه فيه . وهذه بدورها تسوقنا الى أصول المجسمات المستمدة من نظام المتعامدات المنظورة . ويكون بذلك تحويل شكل من الاشكال راجعاً للاصول التي تتبعها النقط المكونة لهذا الشكل في تحويلها ، أعني بذلك للقوانين التي توفق تبعاً لها نقطها أثناء التحويل . ولما كان أي شكل تابعا لمحاور نقطه المكونة له وكان محاور كل نقطة ثلاثة خطوط متعامدة كانت قواعد التحويل منه لمحاور النقطة أعني كمياتها الوضعية . فلو فرضنا شكلاً كميات نقطه الوضعية (س) ، (ع) ، (ص) كان لنا بناء على قواعد التحويل



$$س = نا (س، ع، ص)$$

$$ع = نع (س، ع، ص)$$

$$ص = ني (س، ع، ص)$$

وهنا كل من (نا) و(نع) و(ني) التوابيع التي يخضع لها الكميات (س، ع، ص) و (س، ع، ص) والتي تعرف علمياً بالكميات الوضعية او المحاور الوضعية أعني التي تحدد من وضع نقطة في الفضاء . وهذه التوابيع (نا) و(نع) و(ني) عبارة عن القوانين التي تتبعها الكميات الوضعية

فنحن لو تصورنا نظامين الاول النظام (ن) والثاني النظام (ن') وعزمنا على ان نستخلص النسب والعلاقات بين هذين النظامين وان نكيف كل نقطة في النظام (ن) وفقاً لما يماثلها في النظام (ن'). وفرضنا ان نقطة (ن) في النظام (ن) كمياتها الوضعية اعني التي تحدد من وضعها في ذلك النظام هي (س، ع، ص) كان تحويلها وفقاً لوضع النقطة (ن') في النظام (ن') والتي يحدد من وضعها في ذلك النظام الكميات الوضعية (س، ع، ص) يرجع لتناظر وتوازن هذه الكميات والنسب والعلاقات هي التوابيع بين هذين النظامين وخط التوابيع يعينه سرعة الانتقال، أعني المدة التي تستغرق الانتقال من وضع النقطة (ن) التي تحدد الكميات الوضعية (س، ع، ص) في النظام (ن) الى وضع النقطة (ن') التي تحدد الكميات الوضعية (س، ع، ص) في النظام (ن'). فلو رمزنا بالرمز (ت) للزمان وبالرمز (ر) للسرعة كان معنا :

$$X = X' \quad \text{ص} = \text{ص}'$$

$$Y = Y' \quad \text{ع} = \text{ع}'$$

$$Z = Z' - t u \quad \text{س} = \text{س}' - \text{رت}$$

هذا اذا كان خط القانون موازياً لامتداد المحور (س) . وهذه المعادلات تعرف بمعادلات التحويل الفاليلية . وهي تؤدي بالفكر الى ان الحوادث تحدث في الاكوان مطلقة وكأشياء بالنسبة للخلاء ، سيات في ذلك أ كانت ثابتة بالنسبة لمحاورها الوضعية أم كانت متحركة حركة منتظمة مستقيمة ، وسيان كان الخلاء خلواً من كل مادة أو حيزاً مشغولاً بمادة لطيفة كالأثير

هذه هي قرارة النظر الميكانيكي الكلاسيكي في اطلاق حدوث حوادث الطبيعة . ومن هذه النظرة تستمد قانون الحركة النسبية كل قوتها وهي التي تقرر ان النظم المادية سيات كانت ثابتة بالنسبة لمحاورها الوضعية أم متحركة حركة منتظمة مستقيمة فان القوانين التي تتبعها هذه النظم واحدة ذلك لأن مقدار تعجيل هذه النظم يتبع القيمة المطلقة لحركة هذه النظم نظراً لان القيمة التفاضلية بين هذه السرعة المحددة للحركة تتبع القيم التفاضلية بين المحاور الوضعية



# صفات الادب

الفارسي الحديث

للكنور عبر الوهاب عزام

[ لا يصدر هذا العدد من المقتطف وتداوله ابدى قرائه حتى يكون مشتركوه قد تلقوا هديتيه السنويتين واحداها كتاب « في نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية » : ومن فصول هذا الكتاب بحث نفيس وضعه الدكتور عبد الوهاب عزام استاذ الادب الفارسي بكلية الادب بجامعة فؤاد الاول موضوعه « الصلات بين العرب والفرس وادابهما في الجاهلية والاسلام » وقد اخترنا الصفحات التالية من ختام هذا البحث الممتع : المحرر ]

\*

﴿ صفات الادب الفارسي الحديث ﴾ — بعد هذا يحق لنا ان نسأل ما صفات هذا الادب الفارسي الاسلامي شعره ونثره ؟ وما علاقته بالادب العربي ؟  
نشأ الادب الفارسي الحديث في رعاية الأدب العربي وتحت سلطانه وطبع على غرارهِ في أكثر الاساليب والموضوعات :

أخذ الادب الفارسي عن العربي معظم موضوعات الشعر والنثر وكل صور الشعر والنثر وأساليبهما من الوزن والقافية والسجع وأنواع البديع الخ . ثم امتاز الادب الفارسي بخصائصه في الاسهاب والقصص وغيرها . وقد اتصل الادبان اتصالاً وثيقاً . وترجم من الفارسية الى العربية شذرات ادبية كما ترجمت الكتب الفهلوية من قبل . نجد في ديوان المعاني للعسكري امثالاً معربة و « جملاً من بلاغات المعجم » . وفي اليتيمة امثال معربة كذلك . وفي كتب الادب اخبار عن المنشئين باللغتين والمترجمين شعراً فارسياً الى العربية كبديع الزمان الهمذاني وأما الترجمة من العربية الى الفارسية فكانت أوسع وأثقل . وقد ذكرتُ بعض المترجمين وما ترجموا من الكتب آفاقاً

وكان كثير من المؤلفين والكتّاب والادباء والعلماء يكتبون باللغتين . ومعنى هذا ان تكون اللغتان اداتين للابانة عن افكار واخيلة وصور متفكة . وفي هذا من التقريب بين اللغتين ما فيه وكانت اللغة العربية لغة العلم والادب في ايران منذ الفتح الاسلامي فلما ترعرعت الفارسية



وصارت لغة علم وادب استعان المنشئون في الادب الفارسي بالالفاظ والعبارات الادبية المألوفة في العربية التي تعود الناس التعبير بها زمناً طويلاً .

ونقص هذا القول تفصيلاً قليلاً فيما يلي :

فأما الشعر فيشارك الشعر العربي في موضوعاته من الهجاء والمدح والغزل والفخر والوصف — في ميل الى المبالغة والاطناب — ويمتاز بشياء :

(١) ذكر ملوك الفرس القدماء وابطالهم مثل فريدون ، ورستم ، وزال ، وجمشيد ، وقد سرى هذا الى الشعر العربي الذي نظم في بلاد الفرس كشعر بدیع الزمان وامثاله

(٢) ويمتاز الشعر الفارسي بميزتين عظيمتين : الشعر القصصي والشعر الصوفي

فاما الشعر القصصي فقد أولع الفرس به في كل عصر ، وقد رأينا أن أبان بن عبد الحميد نظم كتاب كيلة ودمنة بالعربية ، وأن الرودكي أول شعراء الفرس الكبار نظم هذا أيضاً . ومن الأدلة على ولع الفرس بالقصص قصة يوسف وزليخا . فهذه القصة مأخوذة من القرآن ، ولكن شعراء العربية لم يهتموا بها . وأما الفرس فقد نظموها مراراً . نظمها من كبارهم الفردوسي وجامي . ونظمها آخرون — ورواية وامق وعذراء التي قبل أنها قدمت لعبد الله بن طاهر فأمر بطرحها في الماء نظمها العنصري شاعر محمود الغزنوي ، ثم الفصيح في رعاية كيكائوس الزياري ، ونظمها أربعة شعراء آخرون . وقصة ليلى والمجنون نظمها كذلك غير واحد من شعرائهم

وحسبنا شاهنامة الفردوسي التي حاكها شعراء كثيرون فنظمت شاهنامات أخرى لم تقل ما نالته من القبول والصيت . ومن القصص المنظومة رواية خسرو وكل ، وبلبل نامة لفريد الدين العطار وسلامان وأبسال لمولانا جامي ، وغيرها مما لا يتسع المقال لتعديده

وأما الشعر الصوفي فقد بدأه أبو سعيد بن أبي الخير من بلدة منها في خراسان وأبو عبد الله الانصاري من هراة . نظما فيه قطعاً ورباعيات ، ولكن لم يكن فيه التأليف إلا بعد نصف قرن اذ نبغ طليعة فرسانه ستائي الغزنوي ثم قفاه العطار ثم تلاه امام الصوفية مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوى الذي يسمى القرآن في اللغة الفارسية . ويقال لمؤلفه : لم يكن نبياً ولكن أوتي كتاباً . ومن بعد غارات التتار نبغ لسان الغيب شمس الدين حافظ الشيرازي والشيخ عبد الرحمن الجامي الذي يعد آخر شعراء الفرس العظام

والحق ان اللغة الفارسية تبدت لغات العالم بهذا النوع من الشعر النفسي الانساني الفلسفي الذي يرتفع عن جدال المذاهب وعصبيات الآراء . ويتخذ الى بواطن الاشياء فيصف النفس الانسانية في اسمى منازعها ، ويرى الحقائق الالهية في اجلى مظاهرها

وأما الفاظ الشعر ففيها كثير من الالفاظ العربية وعليها طابع عربي في تركيبها ، ولكن أثر



العربية في الشعر اقل منه في النثر . وأما قوافيه وأوزانه فلا يمكن تفصيلها في هذا المقال ، وحسبنا ان نقول ان الفرس يكثرون من الشعر المزدوج الذي يسمونه المثنوي وهو شعر القصص كلها . وأكثرها كذلك من الدوييت أو الرباعي ، وعندهم ما يسمونه تركيب بند ، أو ترجيع بند ، وهو قريب من الموشحات العربية — وعندهم الشعر المردف وهو الذي تكرر في آخر ابياته كلمة واحدة ويعتبر الروي والقافية ما قبل هذه الكلمة . وجملة القول انهم لم يسهلوا القوافي العربية وان اخترعوا ضرورياً فيها

وأما الوزن فجدير بالتدقيق جداً . فان الفرس حاكوا العرب في اوزانهم اول الامر ولكنهم سرعان ما نبذوا اشهر الاوزان العربية . فالطويل والمديد والبسيط والوافر والكمال ، وهي أسير الاوزان في الشعر العربي ، لم ينظم فيها الفرس الا جماعة من المتقدمين ارادوا اظهار براعتهم كما يقول شمس قيس . ونظموا في الرمل والرجز والحفيف والضارع والمجثث والمتقارب ( وهو وزن الشاهنامة ) وأولعوا بالهزج ولماً شديداً حتى جعلوه اصلاً فرغوا منه اصناف الرباعي وخرجوا به عن اصله العربي

ويلاحظ انهم لم يقفوا بالبحور عند المقادير العربية ، فالرمل قد يأتي مثنياً والرجز كذلك وما جاء كذلك في شعر العرب قط والهزج — مثلاً — الذي هو سداسي الاصل عند العرب ومجزوء وجوباً ينظم منه الفرس مثنياً . ثم تصرف الفرس في الزحاف والعلل تصرفاً كثيراً جداً ، واشتقوا من الدوائر العربية بحوراً أخرى قريبة من البحور الاصلية مثل الغريب والمشاكل والقريب وقد اراد بعض المستشرقين ان يعلل الخلاف بين الاوزان العربية والفارسية بما بين طبائع الامتين من اختلاف . ويقول شمس قيس ان سبب ثقل الطويل والمديد والبسيط ان اجزاءها غير متناسبة في حركاتها وسكناتها وبطيل في بيان ذلك . ولا يمكن الفصل في هذه المسألة الا بعد بحث مفصل في اوزان الشعر العربي وعلاقتها باللغة العربية ، وفي تطور الاوزان العربية في الشعر الفارسي وتبين ما بين هذا التطور ولغة الفرس من صلة

وينبغي ان يذكر هنا ان وزن الرباعي نقل الى العربية وسمي الدوييت . ومهما يقل في علاقته بالهزج يمكن ان يعد وزناً فارسياً استعارته العربية

وأما النثر الفارسي فآثر العربية فيه أين : الالفاظ العربية فيه اكثر ، والتركيب قريب من التركيب العربي ، ولكن لا بد من الفرق بين النثر الادبي — نثر الرسائل والمقامات وبين نثر السكتب . فاما الاول فقريب من الشعر ، واما السكتب فمع اشتراكها كلها في كثرة الالفاظ العربية ينبغي ان يفرق فيها بين كتب التاريخ التي هي قصص يستعمل فيها الكلام المعتاد غالباً وبين المؤلفات العلمية مثل كتب الفقه والتوحيد والبلاغة والطب وهلم جرأ . فهذا الصنف الاخير يكاد



يكتب بالفاظ عربية ، وتستعار فيه كل الاصطلاحات العربية ، فاصطلاحات البلاغة وضروب البديع واصطلاحات العروض أخذت برمتها . ومازادوه فيها اشتقوه من العربية ايضاً . ثم المؤلفات كلها علمها وأديبها يتخللها كثير من المقتبسات العربية ، ففي كتب الدين الآيات والاحاديث ، وفي كتب الادب والتاريخ كثير من الآيات والامثال والمأثورات . وقد نجد من ذلك أسطراً متوالية

وخير ما يفعل لمقارنة النثر العربي والنثر الفارسي ان ننظر الى كتاب عربي وترجمته ، لنرى كيف توافق الترجمة الاصل وكيف تخالفها مراعاة لاسلوب اللغة وذوق أهلها . فاذا قارن الباحث كتاب كلية ودمنة العربي بالترجمة الفارسية التي كتبها نصر بن عبد الحميد والترجمة الاخرى التي كتبها الكاشفي من بعد وسمها أنوار سهيلي عرف كيف تشترك اللغتان في كثير من الفاظ والعبارات وضروب البديع وكيف تختلفان في الاطناب والتفصيل والمبالغة

### مظهر العربية في ابراه من الفارسية

قد عرفنا حال اللغة الفارسية في ايران اجمالاً ، كيف بدأت وكيف تطوّرت وكيف شاركت في فنون كثيرة . وقد يتردد في نفس القارئ هذا السؤال : ما ذا أصاب اللغة العربية في هذه البلاد بعد ان صار لها لغة أدبية خاصة ؟ هل استبدت اللغة الفارسية بالآداب والعلوم ولم يبق للعربية فيها مجال ؟

قد تقلبت الغير باللغتين ولكن يمكن ان يقال ان العربية احتفظت بالسيادة في الاطوار كلها فيما عدا الشعر . فأما بيان هذا ففي هذه الكلمة الموجزة :

لا ريب ان المؤلفات العربية التي ألفت في بلاد الفرس ما بين أول القرن الرابع وغازات التتار أكثر جدّاً من نظائرها الفارسية ، ولكن ينبغي ان نفرق بين الشعر وغيره فان الامر فيهما لا يجري على سنن واحد

فأما العلماء المؤلفون فلا حرج على باحث ان يقول انهم كلهم كانوا يعرفون اللغتين ، وقد ألف بعضهم فيهما ولكن المؤلفين بالعربية أشهر ذكراً وأعظم أثراً . وحسبنا ان نذكر ابن مسكويه وابن سيفسا والبيروني والغبي والغزالي والرازي والوزني والتبريزي والنسفي والبيضاوي والطوسي

وأحسن مقياس في هذا ان نعلم الى جماعة ممن ألفوا باللسانين لنرى أمؤلفاتهم العربية أكثر وأعظم أم الفارسية . ولا أحسب الامر يحتاج الى غناء . فيكفي ان نذكر الغزالي فنحن نعرف مؤلفاته العربية وليس له في الفارسية الا رسالتان : كيمياء السعادة ونصيحة الملوك .



وقد صرّح في الاولى انه ألفها بالفارسية ليُفهم العامة — ونُفّر الدين الرازي له زهاء ثلاثة وثلاثين مؤلفاً يعرف منها في الفارسية واحد فقط هو اختيارات علائي . ونصير الدين الطوسي على تأخر زمانه له نحو خمسين مؤلفاً قليل منها الفارسي . والبيضاوي ألف تفسيره بالعربية ولم يمنح الفارسية الا كتاباً صغيراً أسماء نظام التواريخ

وأما الشعر وما يتصل به فلا ريب ان النبوغ كان لشعراء الفارسية ، فليس فيمن شعروا بالعربية ببلاد الفرس كثير أمثال الفردوسي او الانوري أو العنصري ، ولكن أكثر العلماء الذين اتخذوا العربية لغة علم كانوا ينظمون شعراً عربياً . وكثير من شعراء الفرس نظموا شعراً عربياً كذلك . وحسبنا ان نعرف ان الثعالبي وهو من رجال القرن الرابع ذكر في الجزء الثالث والجزء الرابع من اليتيمة واحداً وخمسين ومائة من معاصريه الذين نظموا الشعر العربي في أرجاء بلاد الفرس . وهم أكثر من كل شعراء الفرس الذين ذكرهم عوفي وهو في القرن السابع ولكنهم لا يبلغون درجتهم في الشعر . وقليل منهم يعدّ شاعراً عظيماً في العربية ومن الشعراء الذين نظموا باللغتين بديع الزمان الهمذاني وابو الفتح البستي وقد ضاع ديوانه الفارسي . والبديع البلخي الذي مدح أحد الامراء بشعر ملع . وعطاء بن يعقوب الكاتب وكان له ديوانان عربي وفارسي ، والباخرزي ، وابن سينا والشيخ السعدي ومن الكتّاب رشيد الدين الوطواط صاحب حديقة الشعر وله رسائل عربية نشرت احداها في رسائل البلغاء

ولم يكن حال اللغتين سواء في العصور كلها فقد كانت الفارسية منذ ظهرت في صعود بينما كانت العربية في هبوط — وهذا الهبوط كان أبين في الشعر منه في العلم ، فانراوندي مؤلف راحة الصدور ينقل أبياتاً عربية بليغة لاحد وزراء السلاجقة ثم يأسف على ذلك الزمن ويقول : ان وزراء زمنه لا يفهمون مثل هذا — وصاحب المعجم من رجال القرن السابع يقول ان شعراء زمانه يعرفون اللغتين ولكنه لما ألف كتابه في العروض بالعربية نغم عليه أدباء فارس حتى قسم الكتاب قسمين المعجم والمغرب

وعوفي يقول : فان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل شاعر فارسي يعرف العربية . ومع هذا كله نرى ان اللغة الفارسية نفسها لم تكن قد ضبطت قواعدها وأحكمت كقواعد العربية حتى نجد شمس الدين الرازي في القرن السابع يشكو من هذا ويشرح القواعد شرح المستنبط الذي لم يسبق

والخلاصة ان العربية فيما عدا الشعر حلت مكانة فوق الفارسية حتى غارات التتار التي عصفت بالحضارة الاسلامية واصابت العلوم والآداب بضربات لم تنق منها حتى اليوم . ويضيق المجال عن الكلام في اطوار اللغتين بعد سقوط بغداد . وعسى ان تتاح له فرصة اخرى ان شاء الله



# دراسات

في آثار الاقدمين الروحية

لناشر سببيني

﴿ تمهيد ﴾ — قيل عن قدمائنا انهم كانوا يعبدون الحيوان لما أثر عنهم من تقديس بعض أجناسها . وعرف الى جانب هذا انهم اهتمدوا قبل سائر الأمم الى عقيدة البعث والحياة الاخرى والمرء اذ يرى هذا التناقض في اتجاه الفكر ليتولاه العجب من أمرهم وتتمسكه الحيرة دون ان يفهم كيف صحَّ عندهم ان يسموا من ناحية في عالم الروح الى غير المنظور وان ينحدروا من الناحية الاخرى في عالم المادة الى عبادة الحيوان

وفي هذه المقالات سأعرض للدرس آثارهم الروحية سواء ما انتقل الى الديانات الاخرى وما بقي منها في عاداتنا وتقاليدنا القومية وأرجو أن أوفق الى تفهم روحهم والقاء بصيص من النور على بعض الأركان المظلمة من معتقداتهم تبدد ما غشها من شبهات انصافاً لهم وبالنظر الى تردد ذكر توت بمناسبة الكشف في منطقة تونه الجبل عن معابد وموميات للطائر أيسس والقرد وهما الحيوانان المقدسان له فقد رأيت ان أبدأ هذه الدراسات به

## المعبود توت

توت أو تحوت رب الحكمة والسحر عند الاقدمين وآله العلم ومخترع الكتابة ومستنبط علم الحساب وواضع الاسس لسائر العلوم والمعارف وكانوا يزعمون ان له كتاباً من صفحتين كتبهما بيده وضمنهما العلوم السحرية كلها . فمن يقرأ الصفحة الاولى يصبح له سلطان على السماء والارض ويفهم لغة الطيور وينظر الاسماك في أعماق البحار ومن يقرأ الصفحة الثانية يمكنه ان مات وانتقل الى عالم الارواح ان يرتد الى الارض ويأخذ فيها الهيئة التي كان عليها أولاً . وان يرى الشمس في كبد السماء ومن حولها البدر والنجوم ويعاين الآلهة

وقد لبث هذا الكتاب يشغل حيزاً من تفكير المشتغلين بالمسائل الروحية الى أوائل العصر



المسيحي . وقد وجد البردي الذي فيه خبر هذا الكتاب في قبر راهب قبطي بطيبة ولا يزال لتوت الى أيامنا هذه ذكر عند المشعوذين فان أحدهم اذ يبتدىء بعرض ألامعية على الجمهور يرفع صوته بقوله « توت حاوي » كأنه يستنجد برب السحر

وكان أهم مركز لعبادته مدينة الاشمونين وهذا الاسم تحريف خيمنو وهو اسمها باللغة القديمة وأطلق عليها في العصر اليوناني اسم هرموبوليس أي مدينة هرمس وهو آله الحكمة عند اليونان وقد تردد ذكر هذه المدينة في الايام الاخيرة متصلاً بالابحاث التي تجريها بعثة الجامعة المصرية برئاسة الدكتور سامي جبره في هذه المنطقة للكشف عن آثارها . وقد وفقت في هذا العام توفيقاً عظيماً اذ كشفت عن اشياء كثيرة تتصل بعبادة توت من معابد وموميات للطائر أيبس والقرد وهما الحيوانان اللذان كان الاقدمون يقدسونهما لتوت ويتقربون اليه بأهداء مومياء احدهما الى المعبد . وقد عثر من بين مئات منها على مومياء قرد زينت رقبته صدره بحلي من الذهب ووجدت على ظهره وقدميه تماثيم من الخزف

وهنا يسأل المرء ما علاقة الطائر أيبس او القرد برب الحكمة . واية فضيلة اختص بها هذان الحيوانان واستحقا من أجلها التكريم والتقدیس باسم توت . وهذا يتطرق بنا الى موضوع عبادة الحيوان ومن ثم الى دراسة الانسان من الناحية النفسية في حالة الفطرة . ولنقتصر بحثنا على مصر منعاً للشعب الكلام واستفاضته في نواح لا تتسع لها هذه الصفحات

من الامور التي ازعجت الانسان في بدايته توفر الأثمار حيناً وقلتها حيناً آخر واشتداد الحر فترة تعقبها فترة من البرد القارس . واستمرار الجفاف والقيظ زمناً يعقبه ارتفاع ماء النهر حتى يغمر الارض جارفاً امامه كل شيء من الكواخ واقوات أدخرت بشق النفس . وقد ظل الانسان أجيالاً في جهالته قبل ان يدرك ان للشئاء نذراً فيستعد له وللجفاف امارات فيأخذ أهبطه والفيضان علامات تنبئ به قبل اغارته فيهرب بأقواته الى حيث لا يدركه الغرق وكان هذا الكشف اول انتصار للانسان على الطبيعة

وكان مفتاح هذا الاكتشاف الظاهرة التي أشار اليها المسيح في سياق احد الامثال التي كان يخاطب بها الشعب وتلاميذه ويضمنها تعاليمه لتكون ادنى الى افهامهم اذ قال ( انظروا الى شجرة التين وكل الاشجار متى أفرخت تنتظرون وتعلمون في انفسكم ان الصيف قد قرب ) فقد عرف الانسان ذلك كما عرف ان الشتاء يسبقه اصفرار الاشجار وتساقط أوراقها ولاحظ ايضاً ما يصاحب هذه التقلبات من ظهور بعض انواع الطير والحيوان ومهاجرة غيرها وانكماشها في جحورها وفي فصل الفيضان فقد الى مصر طوائف من ايبس وهو طائر مائي من فصيلة ابي قردان واذ لاحظ الاقدمون مع الزمن هذا التلازم اتخذوه علامة على قرب هذا الحادث السنوي العظيم وتوهموا انه اذا لم يجيء طوائف منه لا يكون فيضان . فصاروا يحتفظون في الكواخهم



بأفراد منه ويحيطونها بعنايتهم تيمناً به واستجلاباً للخير الذي يصاحبه  
وتدرج الناس من ذلك الى النظر في السماء فعرفوا ان قلب الجوانما يرجع الى اختلاف  
موقع الشمس من الافق وأصبح في امكانهم ان يعرفوا الفصول بالنظر الى ذلك واهتدوا بمراقبة  
اختلاف وجوه القمر الى تقسيم الزمن الى اسابيع وشهور. ووقفوا علاوة على ذلك الى كشف نجم له  
شأن خاص في مصر. فقد لاحظوا انه لا يظهر في نقطة بعينها في الافق مع الشمس الا مرة في  
الفيضان فاتخذوه مبشراً به وآية من السماء على اقترابه وسموه سودس وهو كوكب الشعري. وقد يمكن  
هذا الكشف لمصران تعطي العالم اول تقويم شمسي معروف. وسيعيء الكلام عنه في موضعه بعد  
ومضى الانسان في الملاحظة واستقراء الاسباب حتى انتهى الى القول في تعليل مشاهداته  
بأن هناك روحاً عنده علم كل شيء ومحيط بأسرار الكون. وهو انما يتخذ الطير والشجر  
والسكواكب مما يقع تحت ابصار الناس وسيلة لكشفها لهم ليتفهموا بها في شؤونهم من الرحمة  
وراحوا في سذاجة الفطرة يصورون لانفسهم ذلك الروح ويلتمسون له في بيئتهم شبيهاً لانهم  
لم يكونوا قد مارسوا بعد صناعة التماثيل ولا اية صناعة اخرى فشبهوه بالقرد لذكائه وقدرته على  
توجيه انظار الناس اليه بتقليد حركاتهم على نحو ما يصف احدنا الولد الذكي اليقظ بالقرد  
واتخذوه زاني لذلك الروح الذي عنده علم كل شيء ولا يرضن بعلمه عن الناس ووسيلة  
للتخاطب معه والشكاية اليه

ولما عرف الانسان الزراعة وتركز اعتماده عليها وارتبط بقاؤه باقبالها وكان ذلك رهيناً  
بعوامل كثيرة لا سيطرة له عليها ولا علم له بأكثرها اشتد شعوره عندئذ بضعفه وانه لا يملك  
من امره شيئاً وقوي يقينه بمعجزه امام قوى قاصرة غير منظورة لا يستطيع بوسائله المادية دفع  
شرها او استجلاب خيرها. فكان اذا حزبه امر او ضاقت به الحيل في شأن من شؤونها او  
اصابة ضرر او نزلت به نازلة كان يجلس وعيناه الى ايبس او القرد مستسلماً الى الهواجس  
سائلاً الروح الذي لم يتركه في الماضي في ظلمات الجهل وعلمه كثيراً مما لم يكن يعلم ان يأخذ  
بيده ويكشف كربه. ولما اطمان الى معونته ورفده التي اعتماده عليه. وتيسير توجيه الخطاب  
اليه والاستنجاد به في المهمات اعطاه اسماً وكان هذا الاسم توت

وهكذا أصبح الوهم حقيقة وتطور الروح الذي فرض الانسان في جهالته وجوده فرضاً  
لتعليل امور غاب عنه ادراكها وتفسير ظاهرات أخفى عنه تعليلها فصار الهاك. واصبحت الكلمات التي  
كان يناجي بها نفسه وهو في بحران من الهم او يخاطب بها الأيبس او القرد وهو مكتئب  
النفس حزين يائس - أصبحت هذه الكلمات صلاة  
وأضفى هذا التطور على الايبس والقرد حرمة وتقديساً وصار شأنهما عند الناس كتمثالين  
او أيقوتين للاله الا انها ليستا من صنع انسان



## نوت اول شهر السنة المصرية

اتخذ المصريون منذ القدم الفيضان مبدءاً لتقويمهم وقد حسبوا الفترة التي تنقضي بين فيضان والذي يليه فوجدوها تستغرق اثني عشر قرأً. ولما كشفوا سودس ووجدوا ان شروقه مع الشمس يتوافق مع ارتفاع ماء النيل جعلوه مبدءاً لدورة السنة الشمسية. وقد تحققوا ان هذه الدورة تزيد عن اثني عشر قرأً بضعة ايام وعالجوا ذلك بجعل الشهر ثلاثين يوماً كاملة ثم اضافة خمسة ايام تحيي عقب عام الاثني عشر شهراً وهي المعروفة بأيام النسي وبذلك تكون سنهم ثلثمائة خمسة وستين يوماً. وللاقدمين أسطورة طريفة في سبب اضافة هذه الايام الخمسة: زعموا ان رع منذ الازل دعا على نوت ربة السماء بالآل يولدها ولد في أي يوم من ايام السنة. فاعتمت نوت ومضت الى نوت رب السحر والعلم والحكمة وقد كان يحبها وبثته بها.

ونهض نوت للاخذ بنصرتها بالرغم من انه يعلم استحالة رد قضاء قضى به رع وتنقض حكم نطقت به شفاته، وأمكنه بحكمته تلطيف القضاء. ذلك بأنه تحدى اله القمر ليساجله في لعبة تشبه الشطرنج. وقبل اله القمر تحديه مراناً على نوره. وحالف الحظ نوت دوراً بعد دور فكف اله القمر عن اللعب مقرأً بالهزيمة. عندئذ اخذت نوت ماربحة من نور القمر وبقدرة انشاء خمسة ايام. ومنذ ذلك الحين لم يعد نور القمر يكفي لظهوره في الافق الشهر بتمامه. لكن يتضاءل نوره يوماً فيوماً ثم ينمحى ولما يم ثلاثين يوماً.

وجعل نوت هذه الايام بين السنة المنتهية والتي تليها من غير أن يلحقها بأحداها. وفي تلك الايام الخمسة وضعت نوت أبناءها أوزيريس وحورس وست وإيزيس ونفتيس على التوالي وتقديرأ لفضل نوت في معرفة تقسيم الزمن وانشاء التقويم سمي أول الشهور باسمه.

واستمر العمل بهذا التقويم أجيالاً الى ان وجد مع توالي السنين ان الاعياد لا تقع في الفصول المقررة لها. فكان فرضاً على الكهنة وهم الحفاظ على الاعياد ضبط أوقاتها وقد عثر على شذرة من رسالة موجهة من أحد رؤساء الكهنة الى مرؤوسيه يعلنهم فيها ان عيد رأس السنة سيوافق اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن ويطلب اليهم اعتبار هذا اليوم أول نوت. والرسالة مؤرخة في السنة المائة والعشرين من حكم الاسرة الثانية عشرة وقد وجد ان هذا التاريخ يوافق سنة ١٨٨٠ قبل الميلاد. وعيد رأس السنة الذي تشير اليه الرسالة من أهم أعياد مصر القديمة وكان يعيد طبقاً لاحدى الاساطير هاتور تذكاراً للخلاص.

وحكاية ذلك كما روتها الاسطورة ان الناس تمرّدوا على رع رب الارباب وخرجوا عن طاعته وعصوا أوامره وأخلوا بنواهي فقرأه على تأديب العصاة وردهم الى صراط مستقيم. فأعطى هاتور سيف انتقامه وأرسلها حرباً غانية على الكفرة المتمردين فألحقت فيهم أيما ألحان.



وأهلك منهم خلقاً كثيراً فسالت الدماء الى النهر فتحوّل أحمر قانياً . ولما رأى رع من عليائه ذلك أخذته انشفقة على جنس الانسان ومال الى الصفح عنه وغفران ذنبه . لكن كيف السبيل الى ذلك ورع لن ينقض حكماً بعد ابرامه وهاتور لن تنثني عن عمل وجهت اليه ومهمة نيطت بها حتى تنمها . وقد ذلّل رع ذلك بوسيلة هي بالحيلة أشبه

أمر رع النساء ليصنعن من الشعير شراباً وأرسل في الوقت نفسه رسلاً الى اسوان ليجلبوا من هناك عنباً من كل ذي لون أرجواني وقرمزي ليتخذ منه عصير أحمر هو النبيذ . ثم اشار بمزج الشراب المصنوع من الشعير بالنبيذ فكان مزاجهما شراباً مسكراً أحمر بلون الدم . وعندئذ أمر فأريق الشراب في الاماكن التي اجتازتها هاتور للانتقام . ولما جاءت هاتور في الصباح لاستئناف المذبحة تلفت يمينه ويسيره فلم تجد أحداً من الناس الا هذا السائل الاحمر فتملكها الغضب وثارَت تعطشاً الى القتل وانحنت على الارض وولفت في ذلك السائل وهي تحسب انه دم الخلق الذي سفكت فتقل رأسها من المسكر ونامت فتجا الناس بذلك من فتكها . وتلقاها ما كان لهذا الشراب من فضل في خلاص الناس شرع لهم رع ان يشربوه كلما جاء عيد رأس السنة للذكرى أما السبب في ان أول توت لم يكن يتوافق مع ظهور سودس طبقاً للقاعدة التي وضعت له منذ انشاء التقويم بل كان يسبق ظهوره سنة بعد أخرى حتى بلغ الفرق بتعاقب الاجيال المبلغ الذي أشارت اليه الرسالة وهو سبعة شهور ونصف فهو ان السنة بحسبانها ثلثمائة خمسة وستين يوماً تنقص ربع يوم عن المدة التي تستغرقها الارض في دورانها حول الشمس من نقطة اقترانها بسودس . وبناء على هذا فالسبعة الشهور والنصف هي مقدار ما تجمّع من أرباع اليوم في سنين عددها يساوي عدد أيامها وهو مائتان خمسة وعشرون مضروباً في اربع أي تسعمائة سنة ولو كان ترك بدون تعديل لتوافق أول توت مع ظهور سودس بعد تمام الف واربعمائة وستين سنة وهو الحاصل من ضرب عدد ايام السنة في اربعة

فلو فرضنا ان حادثة ضبط التقويم التي نحن بصدددها هي الاولى من نوعها وقد حصلت على ما حققه العلماء المختصون في عام ١٨٨٠ ق.م. فيكون عام ٢٧٨٠ ق.م. من الاعوام التي توافق فيها أول توت مع ظهور سودس ومن حيث ان الاسرة الاولى تولت الحكم حوالي عام ٤٤٠٠ قبل الميلاد فيمكننا القول بأن التقويم انشئ قبل عام ٢٧٨٠ بدورتين على الاقل اي ٢٩٢٠ سنة وعلى هذا فيكون التقويم انشئ سنة ٥٧٠٠ قبل الميلاد على أقل تقدير

جري العمل بهذا التقويم على ما به من نقص اجيالاً ولم يفتن أحد الى الطريقة المثلى لاصلاحه حتى ولي الملك بطلميوس الثالث الملقب بأقشرد الأول وكان محباً للرعية مخلصاً للدين فقرر الكهنة اقراءاً بفضله واعترافاً بما آثره ان ينشئوا باسمه عيداً يقام كل سنة اربعة أيام متتابعة



ولكي يقع العيد على مرّ السنين في الموعد المقرر له رأوا اصلاح التقويم بأضافة يوم الى كل سنة رابعة . وكان ذلك قبل الميلاد بمائتين ثمانى وثلاثين سنة

ولما دخلت مصر في حكم الرومان بعد البطالسة امر اغسطس قيصر في السنة السادسة والعشرين قبل الميلاد بتعديل التقويم المصري بحيث تنوافق شهوره دائماً مع التقويم اليوناني وبمقتضى هذا التعديل اصبح اول توت يوافق اليوم التاسع والعشرين من شهر اغسطس

وقد اسخط تعديل التقويم على هذه الصورة المصريين وكان من مظاهر احتجاجهم عليه احتفالهم بمهرجان اول توت في موعده القديم وهو يوافق على ما حققه الفلكيون ١٩ يوليو وهو وقت اقتران سودس بالشمس في خط عرض هليوبوليس . ولبتوا على ذلك الى ان دخلت المسيحية مصر فكان في انتشارها القضاء على الدين القديم والفاء على الاساطير بما فيها من اخبار الآلهة ومآثرهم . وابطلت من ثم الاعياد التي انشئت للتبويه بهم والاشادة بذكورهم

ولما لم يكن قد رتب للمسيحية بعد أعياد لتأخذ مكان الاعياد القديمة ، فقد حنّ الشعب الى احياء هذا العيد والاستمتاع بمباهجه ولاسما انه في ظاهره لا يتعارض مع المسيحية اذ كان لذكري الخلاص وهي العقيدة التي أسس عليها هذا الدين . وفيه تشرب الخمر لذكري الخلاص وهي بعينها الخمر التي قال عنها المسيح انها دمه الذي يسفك من اجل خلاص العالم واوصى بشربها للتذكار فصار المصريون يحيونه كل سنة ولا يرون في ذلك حرجاً او انما . ولما أنشأت الكنيسة عيداً للقيامة جعل هذا المهرجان في أثره ولا يزال الى الآن وهو عيد شم النسيم

وفي رأيي ان السبب في هذه التسمية ان العيد في الاصل كان يقع في بداية فصل الفيضان فكان يطلق عليه اسم هذا الفصل باللغة القديمة وهو شَمَو فلما تغيّر الدين وتبع ذلك تغيّر اللغة أصبح هذا الاسم لفظاً بلا معنى . ولمقاربتة في النطق للفظ العربي شَم أضيف اليه لفظ النسيم لانه يطابقه ويتم معناه . وبذا اصبح الاسم المصري القديم عربياً لفظاً ومعنى

وكثير من العادات المتصلة بهذا العيد ترجع في اصلها اما الى تقليد ديني وإما الى عادة اصطلاح عليها الشعب منذ القدم للتبويه بمعنى يستفاد منه . فمن النوع الاول عادة شرب الاشربة المتخذة من الشعير كالبوطة والسوبيا في شم النسيم اذ هي مشتقة من فريضة شرب الخمر المعزوجة من خمر الشعير والتبذ التي شرعها رع لذكري الخلاص

ومن النوع الثاني عادة شم البصل في صباح يوم شم النسيم . وهي مأخوذة من عادة تنشيق الاطفال عقب وضعهم البصل لتبنيهم ليصبحوا وتمتلى رئاتهم بالهواء . ولا تزال هذه العادة عند القرويين الى هذه الايام . وقد أريد بها في مناسبة العيد الاشادة بفضل الاله الذي عفا عنهم واستحيامهم وكتب لهم عمراً جديداً أوله ذلك اليوم



﴿ أصل بعض العادات المتصلة بشهر توت ﴾ ومن العادات المستغربة ان كثيراً من نساء القبط يهرعن اذا كان اول توت الى سطوح المنازل في الصباح ليبرن على زعمهن رأس يوحنا المعمدان في السماء وفي اعتقادي ان هذه العادة ابتدأت لما كان سودس من كواكب الين عند الاقدمين اذ كان مطلع في الصباح مع الشمس يحمل النهائي بأول توت والبشائر بابتداء فصل الفيضان. فكان الناس يترقبون شروقه في الاماكن المرتفعة وألسنتهم تلهج بالدعاء ان يكون مطلع خير وبشيراً بعام جديد تنحقق فيه الآمال. فلما دخلت مصر في المسيحية نسي الناس سودس لكنهم لم ينسوا العادة التي غرسها في الاجداد استبشارهم به واحتفالهم برؤيته. وكان لا بد لبقائها من صبغها بصبغة الدين الجديد فلما قررت الكنيسة عيداً لذكرى مقتل يوحنا المعمدان وجعلت موعده في اليوم الثاني من شهر توت أضاف الشعب المحافظ على عادته الموروثة عادة التطلع الى الافق في اول توت الى ذكرى هذا الرسول الذي قتل ووضعت رأسه في طبق

وشهر توت عند اكثر الناس لاسيما من القبط غير موافق للزواج ومن اقوالهم في هذا المعنى «عروس توت للفوت» اي الترك. ولم استطع ان أقف على سر هذا التشاؤم حتى كنت في ذات يوم أقلب صفحات كتاب لبدج العالم بالانوار المشهور فاستوقفت نظري عبارة في سياق الكلام عن المعبودة ايزيس تفيد انه كان للاقدمين ايام سعود وأيام نحوس وتقويم يرجعون اليه اذا كانت لاحدهم حاجة يريد قضاءها لمعرفة اليوم الموافق لذلك. وقد جاء فيه عن اليوم السادس والعشرين من توت ما يأتي: ( لا تعمل عملاً البتة في هذا اليوم ففيه احتدم القتال بين حورس وست وحورس ابن اوزيريس الذي علم المصريين الزراعة وهداهم الى عبادة الآلهة. وست اخوه وكان شريراً فنفس على اخيه ما احرزه من نجاح وما صار له من المسكنة والسلطان عند الناس فاحتال عليه حتى قتله. ولما بلغ حورس اشده أقسم لينتقم لآبيه من ست. فناصره العداة وكانت الحرب بينهما سجالاً ومن حوادثها تلك المعركة التي يصفها التقويم. ففي أثناءها قدمت ايزيس وهي ام حورس واخست ست وتدخلت بينهما لينهادنا فخنق عليها أبنيها لذلك وفي ثورة غضبه ضربها ضربة اطاحت رأسها فكان من ذلك تشاؤم الاقدمين من هذا اليوم. ولا يزال لهذا التشاؤم ظلٌ يخيم على الشهر كله الى الآن يخلص لنا من هذه الدراسة ان الحيوانات المقدسة تنقسم من حيث الفكرة في تقديسها الى نوعين: الاول — ما يرجع تقديسه الى النفاؤل ويشمل هذا النوع ما يعرف بالطوطم وهو عند الامم التي على الفطرة ذات مقدسة من الحيوان او النبات ومن هذا القبيل عند قدمائنا الاليس. ولا يزال للنفاؤل عند الناس شأن عظيم فكمن أمرى يتفاءل بحجر او حلية لا ينفك يحملها كلما خرج في شأن من شئونه فاذا سها عنها مرة انقبضت نفسه وتوقع السوء من التشاؤم

والنوع الثاني الحيوانات التي يرمز بها الى صفة من صفات المعبود او معنى يستفاد من أخباره. ويشمل هذا النوع سائر الرموز في الديانات القديمة وسأزيد هذا الموضوع بياناً في المقال الثاني



## زهرة

« الى التي تعطر طريق كل صباح »

ابسمي للصباح فهو معنى السباح  
وازدهي بالفواح فهو رَوْحٌ وراح  
للهمى والمِراح

\*\*\*

عطّري لي الطريق بالشذي والرحيق  
ان قلبي الطليق مدمن لا يفيق  
تحت سحر الاقاح

\*\*\*

أي روض نماك أي نبع رواك  
أي أرض حماك نفحة من شذاك  
أطلقت لي السراح

\*\*\*

ان فَوْح الصدور مثل فوح العطور  
قد نشرت الشعور فانشرى لي العبير

في هدوء الصباح  
وازدهي بالفواح  
فهو رَوْحٌ وراح  
للهمى والمِراح

مسن لامل الصبر في



# الانتخاب الطبيعي

واصلاح النسل

للمركنور - شريف عيسى

إن أول من استنبط نظرية الانتخاب الطبيعي وجعلها عاملاً من عوامل تنوع الاحياء ورقبها وتغلبها على غيرها واستمرارها بقوة تنازع البقاء هو العلامة الاشهر دارون مؤلف كتاب «أصل الانواع» وغيره من المؤلفات النفيسة في التاريخ الطبيعي. وقد بين ان الكائنات الحية من أصل واحد تنوعت بعامل الانتخاب الطبيعي وعرف الانتخاب الطبيعي بأنه حفظ التباينات النافعة وبذ الضارة<sup>(١)</sup> وقال اذا حصل التباين فمن المؤكد ان تغلب الافراد الذين يشملهم هذا التباين على غيرهم بعامل تنازع البقاء وتنقل صفاتهم بحسب ناموس الوراثة الى نسلهم وعزا عدم زيادة النسل وازدحام السكان الى صعوبة الحصول على الغذاء اللازم وتغلب الاعداء وتأثير المناخ<sup>(٢)</sup> وزعم انها من العوامل التي تعيق تكاثر النسل. فالاحياء التي تغلب على هذه العوامل تنتشر اكثر من غيرها وتخلد نفسها والعكس بالعكس. وتتضمن نظرية الانتخاب الطبيعي ثلاثة أمور:

(١) حصول التباينات الوراثية (٢) تنازع البقاء (٣) بقاء الانسب

وقد حصل تغير كبير في هذه النظرية بدّل أوضاعها فلم يعد الانتخاب الطبيعي العامل الوحيد في اخراج الانواع الجديدة وليست قلة الغذاء سبباً في تقليل النسل وتنازع البقاء<sup>(٣)</sup> وليس بقاء الانسب هو بقاء الاصلح ولا يخوض هذه الموضوعات الزاخرة بل تقتصر منها على ما له علاقة بموضوعنا. يظن البعض ان نظرية الانتخاب الطبيعي انهارت وان تأثيرها اضمحل وقد تمكن البشر من التغلب على محيطهم فتلاشى كثير من الامراض التي كانت تقتك بهم فشكاً ذريعاً كالهیضة والطاعون والجذري والبرداء والدودة الشصية وغيرها ونقص غيرها نقصاً يئناً كالتيفوئيد والسل

(١) أصل الانواع : 72 Origin of Species p.

(٢) أصل الانواع : 109 " " "

(٣) ستبسط في تفنيد هذه النظرية في مقالنا الآتي تحديد النسل ومشكلة السكان



الرثوي والزحير وغيرها وغيرها. وقد تلاشى كثير من هذه الامراض في بعض الاقطار التي نعني بالشؤون الصحية الاعتناء اللازم. ويمكن الانسان أيضاً ان يعيش في مختلف الاقاليم بفضل التداير الصحية والمستنبطات العصرية كالتدفئة والتبريد وتحسين المناخ وغيرها من الوسائل المعلومة التي تغلب بها الانسان على الطبيعة لحد ما. وقد استطاع ان يطيل حياة ملايين البشر الذين كان لهم نصيب الموت المحتم كالمسلولين والمصابين بداء الكساح ونقص مفرزات الغدد الصم والسكري والزلال وغير ذلك من العلل والامراض. ورغم أن هذا النصر المبين لا يزال هناك علل وراثية لم يستطع التغلب عليها. فالمصابون بنزف الدم الوراثي Haemophilia أكثر تعرضاً للموت وأقصر عمراً من غيرهم. وقد ظهر من احصاء ٣٧ وفاة من عائلة مابل الاميركية ان ١٧ منها ناشئة عن هذا الداء. وضحايا المصابين بالصرع والجنون والبله وغيرها من الامراض العقلية أكثر من ان تغدو وهي عامل كبير في قصر عمر المصابين بها. وقد أحصى Bar ٦٢٥ وفاة من المصابين بالنقص العقلي فوجد ان أكبر عدد يموت بين سن ١٠ — ٢٠ ووجد كلارك وستول ان المتوفين من ناقصي العقول في مستشفيات مدينة نيويورك ومدارسها ضعف وفيات الاولاد الاصحاء. وكثرة وفات اسرني<sup>(١)</sup> Jupes & Kallipops من الامور المعروفة في تاريخ هاتين الاسرتين

ان كثرة وفيات الاطفال ملازمة على الاغلب للفقر والجهل والانحطاط العقلي. وقد درس الدكتور Stevenson وفيات انكلترا وويلز بالقياس الى المهن فوجد ارتفاعها وانخفاضها تابعين لارتفاع وانخفاض المهنة فكما كانت المهنة رفيعة كان معدل الوفيات اقل والعكس بالعكس. وقد وضع جدولاً بذلك لا نرى حاجة الى إثباته

\*\*\*

هذه ادلة قوية تثبت ان الانتخاب الطبيعي لا يزال مستمراً بعمله لدرجة ما. ومن رأي الدكتور هولمز ان الانتخاب الطبيعي زاد بتقدم المدنية عوضاً عن ان ينقص<sup>(٢)</sup>. ولناخذ البغاء مثلاً لتأثير الانتخاب الطبيعي وعلاقة ارتفاع الوفاة بوضاعة المهنة. ان البغي معرضة لامراض الزهرية وفيها ضعف لمقاومة المشروبات الكحولية وهي مفرطة بصحتها بحكم عملها فتسهر كثيراً وتأكل في اوقات غير منتظمة وتعرض لمختلف الامراض السارية غير الزهرية كالسل الرثوي وغيره. فجميع هذه العوامل تؤول الى قصر عمرها. ولكن ضريبة الموت الكبرى تقع على نسل

(١) هما اسرتان اميركيتان يضرب بها المثل في الانحطاط العقلي الناشئ عن الوراثة

(٢) The Eugenic Predicament p. 107-8



هذه الفئة وهناك عاملان رئيسيان يمنعان تسلسل هذه الصنف الاول ارادي فالبغايا يعتمدن منع النسل بطرق مختلفة والثاني عامل اجباري ناشى عن اصابتهن بالامراض الزهرية التي تصيب الاكثية الساحقة منهن كالسيلان الذي يسبب العقم والزهرى الخلقي الذي يسبب موت أولادهن عاجلاً أو آجلاً . ولولا هذه الظروف الملازمة لمهنهن لكن أخصب الانواع انتاجاً . وبروعنا ان نعلم ان البغاء من صالح تحسين النسل . فقد ثبت ان حاصل ذكاء البغايا واطىء وظهر من تقرير اللجنة التي نيط بها البحث عن المتاجرة بالرقيق الايض في ماستشوستس ان ٥١ من بين ٣٠٠ بغي درسوهن ضعيفات العقل وذكاء الباقي دون المعدل المطلوب . ويظهر من تقارير Bonfaffer عن ٣٠٠ بغي في سجن برسلون ثلثها كن ناقصات العقل وتوصل غيره الى نفس الملاحظات . وبها اختلفت الآراء فيهن فان نسل مثل هؤلاء غير مرغوب فيه

ومن رأي الدكتور فرترتز ليز في كتابه الوراثة البشرية ان للامراض الزهرية تأثيراً حسناً وسيئاً فهي من وجهة تخلص النسل من ضعاف العقول والمجانين وغيرها من الامراض المتولدة من الزهرى وتبقى أقوى الارادة والاذكاء وتحدث عمقاً في ضعاف الارادة الذين يستسلمون لشهواتهم ومن وجهة أخرى تفسد النسل بما تحدثه فيه من العاهات<sup>(١)</sup>

وجد العلماء ان طول العمر وقصره وراثيان لدرجة ما فقد أحصى الكسندر بل مكتشف التلفون عدة أسر في اميركا فوجد طول العمر وقصره وراثيين فيها فكلم طال عمر الآباء كان عمر الابناء طويلاً والعكس بالعكس . وأحصى Plaetz عدة أسر ملكية وهي كما تعلم ممن يتيسر لافرادها المحيط الملائم للحياة وتوصل الى نفس النتيجة كغيره وأثبت ذلك بالارقام الناطقة<sup>(٢)</sup> يرث المرء في كثير من الامراض استعداداً وراثياً كالسل والكساح وغيرها ويرث ضعفاً في مناعته ايضاً بحسب رأي Davenport يعرضه لانواع الامراض السارية اكثر من غيره فهذه العوامل تساعد في تنقية النسل بالا اختيار الطبيعي لان الفئة التي فيها استعداد وراثي للامراض معرضة للتلف اكثر من غيرها . ثم ان في بعض اصناف البشر استعداداً لانواع المناخ اكثر من غيرهم فالسود يستطيعون مقاومة المناخ الحار اكثر من البيض والبيض المناخ البارد اكثر من السود وهلم جرا

فالاختيار الطبيعي لا يزال يؤثر تأثيراً محسوساً في اصلاح النسل

(١) The Eugenic Predicament p. 114

(٢) Applied Eugenics p. 88,9



# العطور والغازات

١- استخراجها من قطران الفحم

واستعمال الغازات الحربية إبّان السلام

## ١ - العطور الزكية

إذا زعمت لكم ان عطر البنفسج الزكي ، الذي تتعاونونه في قوارير نفحة ، بتمن غال ، مستخرج من قطران الفحم الحجري ، فقد يحملون قولي على محمل المبالغة . ولكنه قول لا مبالغة فيه . لان العلم الحديث قد كشف الطريق ، الى استخراج الاصباغ الزاهية ، والعطور الزكية ، من قطران الفحم . وهذا من عجائب العلم والصناعة في هذا العصر وقبل ان أقص عليكم قصة العطور الزكية وكيف تستخرج من أزهار النبات وأوراقه وعيدانه ولحائه ، وكيف جاء الكيماوي بنافسها ، فاستغنى في كثير منها عن مملكة النبات قاطبة ، وصار يستخرج العطور من قطران الفحم ، بل كيف بذ العطور الطبيعية بعطوره الصناعية وزاد أصنافها ، أريد ان اشير في صدر الكلام ، الى ان الانسان في العهد الماضي من حضارته ، كان يعتمد على الطبيعة ، في استخراج ما يحتاج اليه . نعم كان في مكنته قبلاً ، ان يختار ، مفضلاً هذا الزهر على ذاك ، او خشب هذه الشجرة على خشب تلك ، ولكنه كان عاجزاً عن الابداع . فكان اذا طلب السكر ، أرسل الى حيث يكثر زرع قصب السكر في جزائر الهند الغربية . واذا طلب الافاويه بعث في سبيلها المراكب الى جزائر الهند الشرقية . واذا احتاج الى النيلة أتى بها من الهند ، واذا وجب عليه استعمال السماد استورده من شيلي ، او المطاط بذل شجر المطاط في الكونغو او مالايا وأخذ لبنه . كذلك كان اذا طلب عطر الورد ، أتى به من وادي اليريج في تركيا ، وهي احدى المناطق التي يزرع هذا الورد ويستقطر . فالانسان كان في العصر الماضي ، المتمد الى أقدم العصور ، غير المسيطر على بيئته

(١) من الاحاديث الاسلامكية التي بذيعها رئيس تحرير المقتطف من محطة مصر الحكومية



ولكنه ما كاد يكبُّ على دراسة العلوم الطبيعية ، حتى أخذ يتبين قواعدها واصولها رويداً رويداً ، فنقذ الى أسرار التركيب والبناء ، وخاصة بعد كشف أصول الكيمياء ونواميسها الاساسية ، فصار في مكتبه الآن ان يصنع النيلة والسكر وعطر الورد من قطران الفحم الحجري ، من دون ان يلجأ او يحتاج الى نبات النيلة في الهند او قصب السكر في كوبا او حدائق الورد في تركيا . كذلك استطاع ان يصنع من الهواء والامونيا سماداً جيداً فاستغنى عن سماد شبلي الطبيعي ، وقد توصل اخيراً الى صنع نوع لا بأس به من المطاط من غاز لا اكثر ولا اقل

\*\*\*

نعود الآن الى حديث العطور الطبيعية والصناعية ، وهو من أفكه الاحاديث العلمية والأدبا لانه في ناحيته الطبيعية ، حديث المروج والحدائق ، فيها الازهار على اختلافها متنوعة الالوان زاهيتها ، يخيم عليها جو عبق بعطرها الزكي ، فهو حديث الطبيعة على أجملها وأزكاها . ثم هو في ناحيته الصناعية ، حديث العبقرية والابداع ، يبعث في النفس نشوة ناشئة عن الشعور بالقوة والسيطرة والمقدرة على مباراة الطبيعة ومنافستها في ابداعها

\*\*\*

لا يخفى عليكم ان حاسة الشم لم ترتق بارتقاء الانسان . بل على الضد من ذلك انها ضعفت ، فسكانها كانت لازمة في البداوة وقبل البداوة ، فعادت غير لازمة في الحضارة . فالكلب يميز بين الصديق والعدو بالشم ، ويستطيع ان يفتق اثر انسان اذا شم رائحة ملابسه . ولذلك يستعمله رجال الشرطة في احوال كثيرة في اقتفاء آثار المجرمين ، او في اقتفاء آثار الذين اختفوا نتيجة لعمل اجرامي . وهو عمل كثير ما زاه على لوحة السينما ونقرأ حوادثه في الصحف اما الانسان فقد فقد دقة حاسة الشم او كاد . نعم انه يستطيع ان يميز الروائح الطيبة ، من الروائح الكريهة . ولكن اللغة نفسها اقوى دليل على ضعف هذه الحاسة فيه . فليس يحتاج احد ، الى بلاغة نادرة لكي يصف جسماً من الاجسام ، او شيئاً من الاشياء ، وصفاً يمكنك من معرفته اذا رأيته . فالأمر يستطيع ان يصف حيواناً غريباً رآه بالفاظ تمسكنك من معرفة ذلك الحيوان اذا رأيته أنت . فيثبتك بلونه وحجمه وشكله وما يمتاز به من ذيل او قرون او أنياب او فراء او اذنين عريضتين او ما اشبه . فاذا رأيته قلت في نفسك ، هذا هو الحيوان الذي وصفه فلان . ولكن ذلك متعذر في وصف الروائح . حاول انت ايها البليغ ، ان تصف رائحة معينة ، ولنقل انها رائحة الورد ، من دون ان تستعمل لفظ الورد في وصفها ، بطريقة تمكن صاحبك من معرفة الرائحة التي تقصدها . ان اللغة في الغالب تقصر دون مرامك ، ولو كنت من البلغاء العطور محلولات من زيوت معينة او مواد عطرة ، في كحول (سبيرتو) مخفف . أما عطور



القدماء فكانت المواد العطرية نفسها غير محلولة في كحول او مادة أخرى فالزيوت العطرية تستخرج من مصادر نباتية من الازهار او الاوراق او السرق او الجذور او اللحاء ( قشرة السوق والعيدان ) بأساليب دقيقة كل الدقة . وقد عرفت بالزيوت لانها في الغالب مواد دهنية او زيتية ، أخف من الماء وتطفو على سطحه من دون ان تمتزج به . وهي تشبه زيت الزيتون وزيت بزر الكسنان ، في انها تحدث بقعة دهنية اذا وضعت على الورق ، ولكن بقعة زيت الزيتون تبقى هناك ، وأما بقعة الزيت العطري ، فلا تبقى ، لانها في الغالب زيوت طيارة أي سريعة التبخر

فعطّر الياسمين والنارنج والورد والبنفسج (الكلام هنا على العطر الطبيعي) يستخرج من أزهار هذه النباتات . وعطر الخزامى والنعناع يؤخذ من الازهار والاوراق . وعطر الصندل يؤخذ من الخشب . وهناك عطر يعرف بعطر حشيشة الملك يستخرج من الجذور . وعطر البرجموت والليسون والبرتقال يؤخذ من الازهار والاوراق والثمار . وعطر اللوز المر واليانسون وجوز الطيب يؤخذ من البزور وعطر البلسم المعروف بيلسم پيرو يؤخذ من الصمغ وهناك عطور أخرى مصدرها يرتد الى الحيوان . فتعرف بالطيوب . وهي أعلى العطور قيمة وأندرها . فالعنبر يستخرج من حيوان بحري ، وهو من قذف الحيتان المريضة . والمسك يستخرج من أحد الایائل وقد أشار المتنبي في مدح أحد الامراء الى ذلك بقوله  
وان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعرض دم الفزال  
والزباد طيب نادر يستخرج من حيوان يعرف باسم سنور الزباد . ومن بواعث الاسف ان أیائل المسك وسناير الزباد تكاد تنقرض لجد الناس في صيدها طلباً لطيبها

\*\*\*

أما الاساليب المستعملة لاستخراج العطور من مصادرها فبعضها قديم كالتقطير والنقع ، في الادهان والكحول ، وبعضها حديث كاستعمال بخار البترول . ومن النادر ان يكتفى باستعمال طريقة واحدة في استخراج العطر من نوع واحد من الزهر او الخشب بل يستعمل أكثر من أسلوب واحد حتى يثبت ان كل العطر قد تم استخراجهُ  
ففي طريقة التقطير، توضع الازهار في انبيق كبير، وتغمر بالماء ، ثم يبدأ عمل التقطير المعروف المستعمل في تقطير ماء الزهر من زهر النارنج او ماء الورد من زهر الورد . أما طريقة النقع في المواد الدهنية ، فيعمد فيها الى وضع الازهار فيها ، حتى تنهراً وتصير كاللروخ ( المرهم ) والغالب ان يوضع عدد معين من الازهار في دهنٍ تقي او زيت زيتون تقي ، ثم يوضع الاناء في اناء آخر فيه ماء مغلي ، وبعد وقت معين تخرج الازهار ويوضع غيرها مكانها ، حتى يتشبع



الدهن او الزيت بمطرها . ثم تمرث الازهار ، التي نقعت وتضغظ في مكابس مائة حتى يعصر منها كل ما تبقى فيها من العطر . ويؤخذ المروخ ويغسل مراراً بالكحول فيذيب الكحول العطر الذي فيه ويمتصه فيصبح بعد التصفية والتبريد ، خلاصة من عطر الزهر المستعمل او قد تستخرج المادة العطرية باستعمال بخار البترول النقي . وهو من أحدث الاساليب ومن أفضلها وطريقته ان تمرث الازهار اولاً ، فتتمزق الغدد الدهنية التي تحتوي على المادة العطرية ، وتصل هذه المادة ببخار البترول . وتبقى الازهار المروثة على هذه الحالة ٤٨ ساعة . ثم يبرد البخار ويستقطر فتبقى منه مادة شمعية ، ذات رائحة عطرة زكية ، وبعد عمل الاستقطار مراراً فتصبح المادة الشمعية خلاصة العطر التي تباع في الاسواق . وقد رأيت ذلك في « جراس » البلدة المشهورة باستقطار العطور في جنوب فرنسا

هذه الاساليب مما يمكن استعماله في الازهار التي تستخرج رائحتها بسهولة ، اذا مرثت . ولا تزول رائحتها اذا مضى عليها وقت طويل بعد قطفها . ولكن ما كان من الازهار كالياسمين والزنبق ، لا يستخرج عطره الا بالحيلة لأن مقدار العطر قليل — ولا يستخرج من طن من الزهر الا اوقية او اوقيتان من العطر — فلا يصلح التقطير لاستخراجه . ولا يستخرج بالنقع ولا ببخار البترول لانهما يلفان الازهار . لذلك يستخرج عطرها باستعمال الدهن البارد . وآية ذلك ان الازهار الغضة توضع في اطباق مبطنة بالدهن . وتقام هذه الاطباق بعضها فوق بعض وتبدل الازهار الداوبة بغيرها مرة كل ٤٨ ساعة ، وكذلك يمتص هذا الدهن عطر الزهر الفائح فيصبح كالمروخ في الطرق السابقة ويعالج كما تعالج لاستخراج العطر منه

\*\*\*

ولا يخفى ان خلاصات العطور المركزة لا تباع الا لصناع العطور التجارية . ويختلف سعر الاوقية من جنه الى عشرات الجنيهات ، وذلك بحسب الصعوبة التي تعاني في استخراج العطر ، ومقدار الزهر الذي ينفق في الاستخراج . وصناع العطور يمزجونها ثم يحلون في الكحول ويبيعونها في قوارير أنيقة مختلفة الاشكال والالوان بأسعار غالية . والغالب ان لا يحتوي المحلول اكثر من ١٠ في المائة عطراً و ٩٠ في المائة كحولاً

وسر صناعة العطور هو مزج الخلاصات الزيتية بعضها ببعض عند حلها وبيعها . وهذا المزج فن دقيق ، توارث سره بعض الاسر القديمة التي اشتهرت بهذه الصناعة . فهاهنا الكولونيا الالمانى ، لا يباح سر صنعته ، حتى للعلماء . وكان الكيماوي الالمانى Piss قد صنع للعطور سائماً كالسليم الموسيقي ، جعل في أسفله العطور الشرقية القديمة ، مثل عطر خشب الصندل ، وفي أعلاه العطور الطيارة الخفيفة ، مثل عطر الهليوتروب . فالحير يستطيع ان يمزج بين درجات



هذا السلم العطري، كما يمزج الموسيقى بين درجات السلم الموسيقي، فيخرج الاول عطوراً زكية، كما يخرج الثاني أنغاماً مثلاً لفة شجية. فاذا كانت غير خبير في الحالين، كانت النتيجة عطوراً متنافرة الاجزاء تؤذي حاسة الشم، وأنغاماً غير متسقة تؤذي حاسة السمع. والخبراء في معامل العطور الذي يشمّون العطور المركبة، ويحكمون لها او عليها، يتناولون مرتبات ضخمة

\*\*\*

هذا شيء عن العطور الطبيعية واستخراجها والتأليف بينها، وقد نظر الكيميائي الى ميدان العطور فرآه مجالاً واسعاً للإبداع والكسب. رأى مثلاً عطر البنفسج. فهو من أندر العطور وأغلاها ثمناً. فانت اذا زرعت فدائاً كاملاً بزهر البنفسج لم تستطع ان تستخرج من أزهاره إلا بضعة قطرات من العطر الزيتي البنفسجي المصفى. ومن أشق الامور حفظه لأنه طيار سريع التبخر. فلما حلل الكيميائي هذا الزيت وجد ان عنصره الاساسي مادة تدعى «أيونون» فلما استفردت هذه المادة نقية من الشوائب، ظهر انها تبلغ من قوة الرائحة ما يشل عصب الشم، فلا يستطيع الانسان ان يحس رائحة ما لها. فعمد الكيميائي الى محاولة تركيبها تركيباً صناعياً في المعمل، من دون ان يعتمد على زهر البنفسج على الإطلاق، بل اعتمد على بعض المواد المستخرجة من قطران الفحم الحجري. فأفلح في ما حاول. فأصبحت العطور المحتوية على رائحة البنفسج رخيصة الثمن الآن بفضلها. حتى لم تعذر على أحد الآن في الغالب ان يتنازع عطر البنفسج الطبيعي. لان العطر الطبيعي لا يستطيع ان ينافس العطر الصناعي، فلا يصنع الا في النادر لأنه لا يفي بنفقتة، وما يصنع منه تميز منه مقادير صغيرة جداً بالعطر الصناعي وما تم للكيميائي في عطر البنفسج ثم له مثله في عطور وطوب مختلفة مثل عطر الورد وعطر الليمون والمسك وغيرها بل ان بعض الازهار كان مما يتعذر استخراج عطر منه بأحد الاساليب المعروفة مثل زهر «زنبق الوادي» و«الليلج» فصنع الكيميائيون عطوراً صناعياً لها نفحة العطر الطبيعي

ولعل أعظم انتصار أحرزته الكيمياء في ميدان العطور كان في صنع عطر المسك بالتركيب الكيميائي. فالمسك أهم مادة في صناعة العطور لأنه مثبت للعطور موحد لها. فاذا مزج خبير عطوراً مختلفة بعضها ببعض كان لا بد من استعمال المسك لكي يوحدتها ويثبتها وينشئ منها عطراً واحداً منسجماً لا تتأفر بين اجزائه. وقد بلغ من اشتداد الطلب على المسك الطبيعي المستخرج من غدد غزال المسك التبتية (نسبة الى بلاد تبت) ان كاد هذا الحيوان ينقرض حتى بلغ ثمن الرطل من المسك غير النقي ١١٢ جنيهاً والتقي الخالص من الشوائب ثمانية آلاف جنيه. فعمد الكيميائي الى التركيب فتم له ما أراد



## ٢ - الغارات الحربية واستعمالها

في ابان السلام

أما وحديث الحرب يشغل كل ذهن ، فإني موضوع للغازات السامة وما إليها يفوق سائر الاحاديث العلمية في استيقافه للنظر واسترعائه للعناية . وبوجه خاص ما يقال عن بناء الاقيبة التي لا تخترقها الغازات ، وصنع الكمامات التي تقي منها ، وتمرين الناس وتعويدهم استعمالها ، حتى اذا نشبت حرب ، وأمطرت الطائرات المدن بقنابل الغاز ، عرف الناس كيف يدرون اخطارها بعض الشيء

ولكن حديثي الليلة لا يتناول هذا الموضوع من ناحيته الحربية ، بل من ناحيته السلمية . وقد يكون أول سؤال يخطر لكل منكم ، هل ثمة فائدة للغازات السامة والخانقة في ابان السلام . والجواب عن هذا السؤال بالاجاب لا ريب فيه . ولكنني بدلاً من أن أروي لكم طريقة استعمالها ، بوصف خواصها وتركيبها ، سأروي لكم بعض حوادث استعملت فيها هذه الغازات ، تبيينون منها مدى فائدتها ولا يفوتكم في خلال الحديث متعة القصة ورواؤها

فالحادثة الاولى حدثت في بنك . وهي حادثة طراز . أي انها حادثة تمثل مئات الحوادث التي تقع في أميركا . ففي أحد الايام ، هجم فريق من الاشقياء على بنك في مدينة في إحدى الولايات الاميركية . ولم يكن الهجوم هجومًا بالمعنى المألوف من ضجة وصياح يصحبه . بل ان فريقاً من الاشقياء وقف ، على ما تشاهدون أحياناً في الصور المتحركة ، أمام بنك ونزل منهم رجلان وبقي اثنان في السيارة ينتظران . ودخل الرجلان ساحة البنك ووقفا أمام الصراف وهو يعد ربطة كبيرة من النقود الورق ، فالتفت اليهما وقال في بساطة هل لكم خدمة ، فعبسا في وجهيه وأبرزا أفواه مسدساتهما وأمرأ بأن يتخلى عما أمامه من المال ، فما كان منه إلا أن ضغط برجله على زر صغير تحت منصته ، فلم يحدث ضغطه هذا صوتاً ولا صياحاً ولا صغيراً ، كما تحدث الاجراس المنبهة ، ولكن ما لبث ثواني حتى ظهرت في جو الغرفة غمامة من دخان قائم فسهل الشقيان سعالاً شديداً وأغرورقت عيونهما بالدموع ، فألقيا حينئذ مسدساتهما صاغرين وأخذا يسبحان عبراتهما وهما يسعلان ، ولما حاولا الفرار تسكها في الطريق فما كادا يبلغان الباب حتى كان رجال البوليس قد وصلوا والقوا القبض عليهما . فلما افاقا بعد نصف ساعة مما عراهما ، كان كل ما يشمران به إلماً طفيفاً في عيونهما<sup>(١)</sup>

(١) يعرف هذا الغاز بغاز الدمع وقد يكون مادة « بروم استيون » او « زيليلبروميد » وهو يهيج أغشية العين فتتدفق الدمع ويحدث العطاس فاذا استعمل مخففاً كان تأثيره مؤقتاً واذا استعمل قوياً أحدث عسراً في التنفس وسعالاً تشنجياً والتها بآ في الشعب الرئوية



فالفوز على هؤلاء اللصوص نتيجة مباشرة لاستعمال الغازات التي أعدت للحرب ، في قضاء وطار الطمانينة والسلام

وقد شرع اصحاب البنوك وحواليت الجواهر بين الكبيرة في اميركا يركبون المعدات اللازمة لاستعمال هذا الغاز او ما كان من قبيله لدراء خطر اللصوص . وتبث الا نايب التي تنطلق منها هذه الغازات في الجدران ، ولكن مركبها يتقنون اخفاءها ، فلا يمكن ان يتبينها المجرم ولو كان خبيراً ، لان اخفاءها في البنك الواحد يختلف عن اخفاءها في البنك الآخر

\*\*\*

ومن هذه الغازات غاز يثير العطاس وقد استنبط في خلال الحرب العالمية ، وهو اذا استعملت منه مقادير يسيرة لا يسبب ضرراً ما . ومن فوائد هذا الغاز في اميركا ان الشركات التي توزع الغاز الصناعي المستعمل وقوداً في الحمامات عندنا مثلاً ، شرعت تضيف الى كل الف قدم مكعبة من غاز الوقود مقداراً يسيراً من الغاز الذي يثير العطاس . ولا يخفى انه اذا ترك نبوب غاز الوقود مفتوحاً في غرفة مغلقة ، كغرفة الحمام ، او حجرة المطبخ أفضى ذلك الى استنشاقه ، وهو سام في انه يمنع الاكسجين عن الرئتين فيموت من يستنشقه اختناقاً اذا لم يكشف في الحال ويمد بالاسعافات اللازمة

فوجود الغاز المثير للعطاس في غاز الوقود ، ينبئ النائم في غرفة فتحت فيها انبوبة الغاز ، وينبه السيدة التي تطبخ ولكنها تترك انبوبة غاز في موقدها مفتوحة من دون ان تنبه ، لان الغاز المثير للعطاس يحمل الرجل النائم ، والسيدة المهتمة بطبخها على العطاس عطاساً شديداً ، فيتنبهان للخطر المحقق بهما ، فيفتحان النوافذ اولاً للتهوية ويبحثان ثانية عن حنفيات الغاز المفتوحة فيقفلانها

وثمة بين الحيوانات حيوان يدعى بالظربان . وهو كرية الرائحة . وقد عمدت بعض شركات الغاز الى صنع غاز كرية الرائحة جيداً ، وبثت مقادير يسيرة منه في الغاز المستعمل للوقود . فاذا شممت سيدة في مطبخها هذه الرائحة الكريهة ، عرفت ان احدى حنفيات الغاز تنضح بالغاز فتعمل كل ما يجب ان تعمله لدراء الخطر . ولذلك سمي هذا الغاز بالظرباني اي الكرية الرائحة ومن عجائبه انه اذا احرق الغاز في موقد المطبخ او في موقد الحمام فقد الرائحة الكريهة التي يتصف بها . فانتشار الرائحة الكريهة لا يكون الا اذا كان هناك خطر

ولا يخفى ان هناك بعض ضعاف النفوس يعمدون في أثناء ثورة نفسية الى الاتجار باقفال حجرة واطلاق الغاز فيها بفتح حنفياته . فالغاز الذي يحتوي على هذا الغاز الكرية الرائحة يؤثر في انوفهم ، قبل ان يؤثر الغاز في رئاتهم ، فيعجزون في الغالب عن الصبر على رائحة الكرية



فيقفلون الحفنية ويفتحون النوافذ وينجون كذلك من الموت . وقد تكون هذه النجاة رادعاً لهم في المستقبل عن الاستسلام للضعف والتذرع بالشجاعة والعزيمة في مواجهة مشكلات الحياة

\*\*\*

وقد تذكر ان هناك غازاً يدعى غاز الخردل<sup>(١)</sup> . وهو من أفتك الغازات لانه يحرق رئتي من يستنشقه بتجفيفهما . وقد استنبط واستعمل في الحرب الكبرى . ولكن لهذا الغاز استعمالاً في وقت السلام يفيد الزراعة والزرايع . ومن آيات استعماله ، ما روي عن حادثة غربية في أميركا ، ان موجة من الارانب ، اكتسحت منطقة من المناطق فالتهمت أخضرها وعاثت فيها وعجز رجالها عن مقاومتها لكثرتها ولسرعة توليدها ، فعمدوا الى المصلحة الحكومية الخاصة بمقاومة آفات الزراعة ، فاستعمل غاز الخردل الفتاك برشه في الحقول بمرشات خاصة . وقد تم الرش بإشراف الخبراء الحكوميين . وما سقط الغاز على الارض حتى تحول قطرات صغيرة كقطرات الندى وجاءت طوائف الارانب تسير في الطرق التي طرقتها قبلاً — وكان الغاز قد رش فيها — فعلقت هذه القطرات بقوائمها فلعقتها بألسنتها ، فهلكت ، وكذلك تغلب رجال العلم بغاز حربي على آفة زراعية فتسأك وأنقذوا للزراع ما مئنه مبالغ طائلة من المال

ومن الغازات التي استعملت في الحرب العامة للفتك غاز الهيدروسيانك وهو غاز سام مركب من الهيدروجين والكربون والنيتروجين . وقد رأى الكيماويون ان يستفيدوا من استعماله في ابان السلم ، في اباداة الفئران والجرذان وما يعلق بفرائها من البراغيث الناقله للطاعون وحملتي التيفوس وقد نجحوا في ذلك

ولكن من خصائص هذا الغاز ، انك لا تستطيع ان تستدل عليه برائحة او لون أو أثر خاص في الانسان . وكذلك يتعرض البحارة للموت به عند استعماله لتطهير السفن الداخلة الى المرافئ من الفئران وما يعلق بها من البراغيث . وفعلاً مات به غير واحد من البحارة على هذا النحو فما السبيل الى منع هذا الخطر على حياة البحارة ، من دون ان ينقص فعله كمبيد لحملتي الطاعون والتيفوس . كل ما تم في هذا الصدد ، ان الغاز الهيدروسيانك القتال مزج بقليل من غاز الدمع ثم جرب المزيج ، فكان الغاز الاول يفتك بهذه الحيوانات ، والغاز المثير للدموع ينبه على وجوده فيتقي مستعمله شره

(١) غاز شفاف يذوب في الكحول والماء وينحل انحلالاً متدرجاً في مقادير كبيرة من الماء له رائحة مثل رائحة الخردل الحفينة او البصل . وهو بطيء الفعل ولكن شديده لا يؤثر في المرء على الفور فلا يحس من تعرض له بحكة او حرق في جلده الا انه يتخلل الجلد في خلال ثلث ساعة فنظهر بتعمر لاتلبث ان تتخذ شكل النفاطات الناشئة عن الحرق بالنار . واذا استنشق المرء ١٢ مليغراماً منه في الدقيقة افضى ذلك الى تلف الرئتين . وتؤثر العينان فتتقيحان وتتلطف ملتصقتان وقرنيتاهما وقرنيتاهما



وليس يخفى على حضراتكم ان غاز الكلور كان من أول الغازات السامة التي استعملت في الحرب الكبرى . وكان الالمان بادئين باستعماله . ثم جعل بعدئذ أساساً لمركبات غازية مختلفة سامة الفعّل . والكلور غاز ثقيل أصفر اللون او ضارب الى الصفرة له رائحة خانقة . فاذا استنشقت منه مقادير يسيرة أثر في أنساج الحلق والرئتين وشعابهما ، واذا استنشقت منه مقادير كبيرة كان سبباً للووت ، ولذلك استعمل في ميادين القتال لآبادة الاعداء

على ان لغاز الكلور خواص أخرى مما يجعله من أفيد العناصر الصناعية . فهو من أقوى المطهرات اذا أضيف الى الماء قليل منه قتل ما فيه من المكروبات المرضية . واذا أضيف الى الماء الذي ترش به الشوارع قتل ما يكون فيها من الجراثيم كذلك

وقد اتيح لي من بضع سنوات ان ازور محطة شركة الماء بروض الفرج ، ورأيت فيها الاجهزة الدقيقة التي تخلط بالماء الذي نشره كل يوم ، مقادير يسيرة معينة من غاز الكلور ، فتقضي على ما يكون باقياً فيه من المكروبات بعد ترشيحه بالمرشحات الاخرى . ومع ذلك لاترك اي أثر كريه في طعمه . وهذه الخاصة في غاز الكلور قد جعلت الاقبال عليه عظيماً جداً في تطهير مياه المدن الكبيرة في العالم . ففي اميركا الآن اكثر من ٣٠ آلاف مدينة تستعمله لتطهير مياه الشرب فيها . وجموع سكان هذه المدن يزيد على خمسين مليوناً من الناس . فقدت بعد استعماله وفيات التيفود نحو ٧٠ في المائة عما كانت عليه قبل استعماله . أما حيث لم يستعمل فلم تقل وفيات التيفود الا عشرة في المائة فقط وهذه القلة ناجمة من استعمال وسائل الوقاية المختلفة

ويستعمل هذا الغاز كذلك في المدايح فنزال به روائح الجلود الحبيثة . وقد يضاف الى مجاري المدن قبل اطلاقها في نهر او على شاطئ بحر فتؤمن أخطارها ، وخاصة على السواحل التي تستعمل أجوانها لاستحمام المستحمين . ولا يخلو أي مستشفى حديث من أسطوانة تحتوي على غاز لكلور مضغوطاً ضغطاً عالياً فيستعمل في تطهير الجروح . وتجرب التجارب الآن لاستعماله في حفظ اللحوم والثمار بمنع الفساد من التطرق اليها

وهناك غازات أخرى تستعمل لمكافحة بعض الآفات الحشرية التي تصيب المزروعات او لوقاية دعائم أحواض السفن من نخر الديدان البحرية او برشها من الجوا لاطفاء الحرائق وكذلك ترون ان العلم ينفخ العالم بمواد جديدة يفضي اليها البحث فتستعمل لتقيل الناس والفتك بالارواح من ناحية ولبادة الحشرات وتطهير المياه وعرقلة اعمال المجرمين من ناحية أخرى . فالعلم لا يتحمل اللوم في اساءة استعمالها وأما مرد ذلك الى اخلاق الناس وتربيتهم الروحية والاجتماعية



# السرطان والمرأة

للكرنور فيليب المشرقي  
كلية الطب بجامعة بيروت الأمريكية

— ١ —

أقدم هذه الصفحات المختصرة إلى طبيب العائلة أولاً وإلى مرضاه من السيدات ثانياً  
أما الطبيب الاختصاصي فله من اختباره وما يجده في المؤلفات المطولة ويطالعه في الجرائد  
الطبية ما يغنيه عما فيها من الحقائق الأولية والعامة . والقصد من تقديمها إلى طبيب العائلة تذكيره  
بما هو معروف لديه وتوجيه نظره إلى كل ما يتعلق بسرطان الرحم في أدواره الأولى كي يدقق  
في الفحص ويشجع النساء على مراجعته عند ظهور الاعراض الأولى في أعضائهن  
وقد بذلت الجهد أن أبسط هذه الأوليات لكي يفهمها غير الأطباء من الناس فيزول الخوف  
المتسلط على بعض السيدات من هذا الداء موجهاً عنايتهن إلى أن النجاح في محاربة داء السرطان  
يتوقف عليهن فالجانب الأكبر من هذه الاورام الخبيثة إذا عرف باكراً وعولج علاجاً تاماً  
كان الشفاء منه تاماً ولا يمكن أن يتعاون المريض والطبيب في شفاء علته ما لم يعلم المريض ولو  
بعض العلم شيئاً عن المرض وهذا ما حدا بي إلى كتابة هذه الصفحات

— ٢ —

لممارسة الطب وجهتان فردية وعمومية . فمن الوجهة الفردية يقصد العليل طبيبه بشكو علة ما فيفحصه  
الطبيب ولا يترك وسيلة إلا ويستعملها ليصل إلى معرفة اصل الداء وحل جميع اسراره ليتمكن  
من معالجته حسبما يقتضيه الفن وحسبما يوحي إليه ضميره واجتهاده  
أما الوجهة العمومية فهي درس سبب المرض وطرق انتشاره واستعمال الوسائل الفعالة التي  
تمنع تفشيه . وفي كل حكومة من حكومات العالم دوائر تعنى بدقائق هذه الامور وبفضل هذه



المعرفة أصبح أكثر مدن العالم المتمدن خالياً من الاوبئة والامراض المعدية والتعاون بين الطبيب الذي يمارس صناعته من الوجهة الفردية وادارة الصحة العامة ضروري جداً وبفضل هذا التعاون أصبح بعض الامراض نادر الوقوع والبعض الآخر منحصراً في نطاق لا يتعداه والشعب هو الذي يستفيد من هذا التعاون . وقد غدا للرأي العام قيمة كبرى في مكافحة الامراض وهذا حمل الدوائر الصحية المختصة على إنارة الرأي العام بما تنشره بين الناس من المعلومات عن الامراض وعن كيفية الوقاية منها

من الامراض التي يعالجها الطبيب بكثرة وتغنى بدراساتها الاوساط العلمية والدوائر الحكومية في العالم اجمع درساً دقيقاً داء السرطان. وذلك لانه كثير الشيع وعدد الوفيات به تعد كل سنة بالالوف. وهذا الداء لا يزال في منطقة الطبيب المعالج فدوائر الصحة العامة لا تعمل الا في تسهيل وسائل معالجته ومساعدة الاوساط العلمية مساعدة مادية وادبية للوصول الى حقيقة هذا المرض وسببه ووسائل تجنبه وطرق معالجته

وبفضل هذه الجهود قد توصل الخبراء الى حقائق كانت مجهولة مع ان سبب الداء لم يزل سرّاً من الاسرار

\*\*\*

ومن هذه الحقائق أن السرطان اذا عرف في أوله وعولج علاجاً تاماً كان الشفاء منه أكيداً فكافة السرطان في الوقت الحاضر تنحصر في أمرين: الأول: أن يفحص الفرد فحصاً عاماً في فترات معينة . والثاني : أن يكون الطبيب من يقدر أن يشخص المرض باكراً. وهذا أمر عسير اذا كان السرطان في الأعضاء الداخلية. ولكن اذا أصاب الأعضاء الخارجية فتشخيصه في أدواره الأولى ليس أمراً عسيراً . ومن الأعضاء التي تكثر اصابتها بالسرطان الرحم في النساء. ولما كان هذا العضو مما يسهل فحصه فحصاً دقيقاً كان في وسع الطبيب الجير بالامراض النسائية أن يشخص الداء في ربه . هذا اذا جاءت اليه المصابة حال شعورها بتغيير في أعضائها

وحسباً بأنة الرأي العام عن هذا الداء وحثاً على استشارة الطبيب عند ظهور الاعراض الاولى أقدم هذه الرسالة على أمل أن يتعاون الطبيب ومرضاه لمعرفة الداء في ابتدائه ومعالجته علاجاً أكيداً وبذلك ينقذ عدد الوفيات بداء السرطان العضال

— ٣ —

﴿ ماهو السرطان ﴾ الجسم الانساني مجموع أعضاء مركبة من أنساج مختلفة وهذه مركبة من خلايا تختلف بعضها عن بعض باختلاف الانساج وهذه الخلايا أعمار تقوم في أثنائها بواجبها ثم



تموت ويعوض عنها بخلايا أخرى وذلك بفضل خاصة الانقسام التي تعدد بواسطتها الخلايا ويتركب منها النسيج . وهذا الانقسام له قوانينه وأنظمته يسير دائماً بموجبها . غير أن بعض الخلايا في بعض الانساج ينقسم ويتكاثر خارج الحدود الطبيعية

وهذا الانقسام والتكاثر يولدان وربما يعرف بالسرطان . فالسرطان إذن ، مرض في خلايا الجسم فتتكاثر الخلايا وتنمو نمواً غير سوي فيسبب هذا التكاثر تسماً عاماً في الجسم أو تترك الخلايا مقرها الاول وتجري في الاوعية الدموية أو الليمفاوية وتستقر في محل آخر حيث تتكاثر وتنمو وهذا ما يجعل الداء إذا لم يعالج في أول الامر صعب الشفاء أو مستحيله ويؤدي حتماً الى موت المصاب به . أما السبب الرئيسي الذي يحمل هذه الخلايا على أن تنمو وتتكاثر فلم يزل مجهولاً غير ان هناك في بعض الاعضاء اسباباً مهيئة تجعل وقوع السرطان فيها اكثر احتمالاً من سواها وهذه الاسباب هي التهييج بأنواعه في الانساج وقد يكون هذا التهييج التهابياً او كيميائياً او رضياً . وأكثر الاعضاء عرضة لتأثير هذا التهييج ما كان منها بين نسيجين متقاربين — خلايا النسيج الواحد تتقارب شكلاً كلما قربت من خلايا النسيج الآخر كالفشاء المخاطي القريب من النسيج الجلدي كما في الشفتين ، وغشاء الرحم المخاطي حيث يتصل بغشاء المهبل المخاطي وغشاء المعدة المخاطي حيث يداني غشاء الاثني عشري المخاطي وهلم جرا

\*\*\*

﴿ معنى كلمة سرطان ﴾ أول من وصف هذا الداء طبيب يوناني وسماه سرطان لان الاوعية الدموية التي كانت منتشرة حول الورم الذي وصفه تشبه أطراف هذا الحيوان . وقد قبل أطباء الرومان هذه التسمية غير أنهم أعطوه الاسم الروماني لهذا الحيوان وهو السرطان . وهذا هو الاسم الذي يعرفه العامة ويستعمله الاطباء عندما يتكلمون عن هذه الاورام الخبيثة . أما في الاوساط الطبية الخاصة فتستعمل مصطلحات يستدل منها على تركيب الورم الباثولوجي أي نوع الخلايا التي يتألف منها هذا الورم

\*\*\*

﴿ أنواع السرطان ﴾ يسمى الاطباء السرطان باسم الانساج والخلايا المركب منها . فان كان من الابليوم سمي « ابليوما » والابليوم موجود في الجلد وغشاء الفم والحلق واللوزتين والمرى والمثانة وعنق الرحم . وان كان من الغدد سمي « بالاندوتليوما » كسرطان الثدي والغدة الدرقية والمعدة والامعاء والبنكرياس والكبد والسكريتين والبروستات والمبيضين وجسم الرحم . وقد يكون السرطان مركباً من الغدد ومن الابليوم



أما نوع السرطان المعروف بالساركوما فيصيب العظام والغضاريف والنسيج الدهني والمضلات والنسيج الليفى والليمفاوى وما شاكل  
وسرطان الجهاز العصبي معروف باسم كلايوما وفي الاورمة الخبيثة قد يكون السرطان مركباً من عدة أنساج وخلايا

قلنا سابقاً ان السرطان مركب من خلايا تتكاثر وتنمو بصورة غيرطبيعية غير مقيدة بقانون التقاسم متعدية النظام السوي. وهذا التكاثر ان لم يعالج باكراً أدى الى موت المصاب. وهو درجات فمن الخلايا ما ينمو بسرعة عظيمة ومنها ما ينمو ببطء كلي لا يشعر صاحبه بوجوده حتى ولو كان ظاهراً للعيان. ومما يلاحظ في تكاثر هذه الخلايا ان البعض منها بانقسامه يبقى مشابهاً للخلية الاصلية والبعض الآخر يختلف عنها كل الاختلاف. ومن هذا القبيل يمكن ان يقسم السرطان الى اربع درجات او أربعة انواع

القسم الاول ما كانت خلاياه مشابهة للخلية الاصلية وهذه يكون نموها محدوداً وهذا النوع اقل الانواع خبثاً واقلها استعداداً للوصول الى الاعضاء البعيدة بواسطة الدم والاعية الليمفاوية الدرجة الرابعة حيث تكون الخلايا المركب منها الورم السرطاني عديمة الشبه بالخلية الاصلية وهى سريعة التكاثر والانتشار وكثيراً ما تسير بواسطة الاوعية الدموية واللمفاوية الى الاعضاء المجاورة حتى والبعيدة كذلك

وبين هاتين الدرجتين نوعان النوع الثاني يقارب النوع الاول والنوع الثالث يقارب النوع الرابع. وهذه الانواع او الدرجات لا يعرفها الا الطبيب الخبير المدقق في التشريح الباثولوجي وأهمية معرفة هذه الدرجات هي معرفة انذار الداء وسيره وتأثير العلاج فيه فالنوع الاول مثلاً بطيء النمو قابل للشفاء بعكس النوع الرابع

— ٤ —

### سرطان الرحم

ان السرطان في النساء اكثر ما يصيب رحمهن وهو سبب وفاة العدد الكبير منهن كل عام وقد لوحظ ان معدل الوفيات بالسرطان بين ٤٥ — ٦٥ من عمرهن يقارب عشرين بالمائة الثلث منها اصابات في الرحم. والسرطان يصيب عنق الرحم وجسمه بمعدل ٦ الى ١  
(علاقة السرطان بالعمر) سرطان عنق الرحم اكثر ما يصيب النساء في العقد الثالث فافوق وهذا لا يعني ان من كان منهن اصغر سناً لا يصبن بالسرطان بل وجوده في العقد



الثاني فما دون ليس كثير الحدوث . وسرطان جسم الرحم يصيب المرأة بعد ان يقطعها الطمث اي في العقد الرابع فما فوق

﴿علاقة السرطان بعدد الولادات﴾ من المشاهدات السريرية (الكلينيكية) ان السرطان اكثر ما يصيب النساء اللواتي حملن وولدن اولاداً وكلما ازداد عدد الولادات ازداد الاستعداد لوجود السرطان ولكن ليست الولادات بمحداتها هي التي تهيء الاسباب لوقوع السرطان بل التزق والالتهابات الموضعية التي تحدث على اثر هذه الولادات

﴿علاقة تمزق والتهاب العنق بالسرطان﴾ ليس هناك براهين قاطعة تمكننا من الجزم بأن السرطان يبتدىء اولاً في ندبة جرح قديم في عنق الرحم فالسرطان عند ما يظهر بوضوح يكون قد مرّ على ابتدائه زمن ماحق ليصعب على الفاحص ان يعرف اين كانت بدايته . ولكن من الاختبار السريري (الكلينيكي) يمكن الترجيح بان التزق والالتهاب في عنق الرحم يمهّدان للتغيرات المستولوجية التي تقضي الى نشوء الاورام السرطانية . وهذه المشاهدات شاهدها الكثيرون من الاطباء الذين يعالجون الامراض النسائية فمع ان سبب السرطان الحقيقي لا يزال مجهولاً يمكن القول — اعتماداً على هذه الاختبارات — بان التمزقات والالتهابات الرحمية قد تؤدي الى نمو غير طبيعي في الخلايا نتيجة تهيجات مستمرة ومزمنة

هذه هي درجات السرطان الاولى والتهيج المستمر والمزمن في اي جزء من اجزاء الجسم قد يؤدي الى ورم سرطاني . هذه الملاحظة قد أيدها معهد السرطان في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك ومن المهم ان يعرف ان التهيج الموضعي لا يولد سرطاناً بين ليلة وضحاها بل قد تمرّ اعوام قبل ان يصل الى الدرجة التي يصبح فيها الشفاء صعباً فسرطان المعدة او الرحم مثلاً حين يظهر بوضوح يكون قد مرّ على ابتدائه أعوام لا تقل عن العشرة

﴿علاقة الوراثة بالسرطان﴾ إذا درسنا السرطان من الوجهة الوراثية درساً علمياً لم نجد أدلة صريحة على ان السرطان مرض وراثي ولكن عدة احصاءات تدل على ان السرطان كثيراً ما يقع في أفراد العائلة الواحدة فهل يرث الخلف عن السلف الاستعداد للإصابة بالسرطان او يرث الثرية التي ينمو عليها السرطان بسهولة كلية

لحد الآن لم يتمكن العلماء من الاجابة عن هذا السؤال ولكن الحقيقة الواقعة لا يمكن انكارها

\*\*\*

(المقتطف) — وفي الفصل التالي يتناول الكاتب الطبيب اعراض سرطان الرحم وتشخيصه وسيره وعلاجه



# جَذِيْقَةُ الْمُقْتَطَفِ

---

## بعد الشباب

للكنور ابراهيم ناجي

---

## الغفران

للشاعر القروي رشيد سليم الخوري

---

## مقتل الحصان

للشاعر العبقرى الانساني فكتور هوجو

---

## السيد ربيع

بقلم الشاعر الفرنسى المعروف بروسير بلانشين  
[ نقلهما احمد أبوالخضر ماضي ]



## بعد الشباب

للكنوز ابراهيم نامي

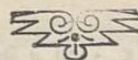
ذهب الشباب فحُجَّتْ بعد ذهابه تذكين ما أطفأته يديك

إني لتلفحني النسائم كلما حملتها حُرَقَ المشوق لديك

ألقى لها وهجاً على خديك وأرى لها جمرأً على شفئك

لا تدهني نظراً إليها فوالذي جعل الهوى قدراً على كفيك

ما تلتقي عيني بعينك لحظة إلا رأيتُ صباي في عينك





# الغفران

للشاعر القروي رشيد سليم الخوري

قمتُ عند الصباح أشدو جبوراً لا أرى علّة لفرط جبوري  
مؤنساً وحشة الفضاء كأنني نبأً طبَّبُ سرى في الأثيرِ  
وعلى وجنتي للورد ظلٌّ عائمٌ فوق موجة من نورِ  
أتهادى بين الفصون كفصن وأناغي المصفورَ كالصفورِ  
صحتُ: ربي! أزال عهد شقائي أم أُراني في عالم مسحورِ  
وإذا وردةٌ كوجنة طفلٍ جنبها شوكةٌ ككتاب هصورِ  
فتذكرت ليلةَ الامس حلماً منه أدركت سرَّ هذا السرورِ  
انكف الرحمن تحت سكون الليل بالعمو غلغات في سريري  
فرمّت نفحة من العطر في قلبي وعادت بشوكة من ضميري

[ عن مجلة « الشرق » البرازيلية ]



# مقتل الحصان

( للشاعر العبقري الانساني فكتور هوجو )

العجلة الثقيلة من فوقها جلمود <sup>(١)</sup> حجر عظيم .  
والحصان من رأسه الى اخمصه ، عرقه رشح يسيل ،  
يجر ، والجوذي بسوطه ينال ضرباً ، والحصباء الملساء  
تعلو وتُصعد ، والحصان المكروب دامي الصدر  
يجر ، ويسرف <sup>(٢)</sup> ، ويئن ، ثم يجر ثم يقف .  
والسوط الاسحم <sup>(٣)</sup> فوق رأسه يعصف  
هذا يوم الاثنين ، امس كان الرجل يحسو الحرارة في البورشرون <sup>(٤)</sup>  
خمرة ، لآلته صخباً واحتياجاً وسباباً .  
ياعجباً ! ما يكون ليت شعري ذاك القانون الرهيب الذي يُسلم  
الحي الى الحي والبهيمة المذعورة الى تخمور من الناس !

\*\*\*

والحصان المنزعج امسى لا يستطيع يخطو بقدم .  
يشعر بظلمة الموت قد غشيتهُ فلا يدري ،  
تحت هذا الجلمود الذي ارهقه والسوط الذي يهلكه ،

(١) حجر كبير ادنى من الصخرة (٢) يمشى مشية المتقل المقيد (٣) الشديد السواد  
(٤) اسم حاة معروفة



ما ينبغي منه الجلمد ، وما عسى ينبغي منه الرجلُ  
والخوذي ليس سوى وابل من سياط  
تنهر فوق السجين (٤) الذي يسحب مِقْـودَه ،  
المعذب الذي لا يعرف راحة ولا يوم أحد .  
إذا السوط تمزقت خيوطه يضربه بمقبضه ،  
وإذا السوط تكسر يركله برجله .  
والجواد مرتعداً ، زائع البصر رازحاً ،  
يخفض عنق حزين ورأس منذهل .  
ويُسمع لبطن الحصان الصامت المسكين تحت ضربات نعل الرجل ذات الحديد ،  
يُسمع لبطنه العاري رنين شديد .

\* \* \*

يشهق ، ومنذ قليل كان لا يزال يتحرك ،  
ولكنه لم يعد يبدي حراكاً وقواه تبددت .  
والضربات متساقطة عليه مملية . يحاول لدى التزع  
آخر جهده . ولكن رجله زلقت  
فهوى ، فاذا هو تحت « العريش » هالك

[ نقلها احمد أبوالخضر منسي ]

( ٤ ) شبه الشاعر الحصان بالمحكوم عليه بلاشغال الشاقة لما يقاسيه من شاق  
الاعمال وسوء المعاملة



# السيد ربيع

منظومة بديعة في وصف الربيع

بقلم الشاعر الفرنسي المعروف بروسبير بلانشمين

السيد ربيع شيخ مسن ،  
لا يفتأ متهجاً مبتهجاً ذا مرح ،  
يرتدي ثوباً جميلاً أخضر  
ولست تلقاه في راحة أبداً  
يطل من النافذة  
إذا شهر ابريل اقبل ،  
ويقول بصوت مرتفع : « كيف حال الجو ؟  
آن ان نظهر ... »

يا سيد ربيع ياسيد ربيع  
عد إلينا وليطل مكثك بيننا !

\*\*\*

ها هي لآلىء الندى  
تتألق في كل موضع فوق الكلاء ،  
في الغابات حيث تغرد الشحارير  
والاوراق تفتح سجونها  
والعصافير تشدو بالغداة شدوها  
وتقول عمي صباحاً أيها الشمس ،  
وهي تصيح : « ها ساعة اليقظة قد حانت .  
فلنضحك ، ولنغنـ ، أيها الرفقاء ... »

يا سيد ربيع ، يا سيد ربيع



عد الينا وأطل مكثك بيننا !

\*\*\*

والسيد ربيع من حجرته ،  
يقول لها : « لا تصحن اني خارج .  
يا عجباً لكن ! اني آخذُ زينتي :  
بعد هنيهة اكون خارجاً ،  
اني البس ثوب الاحد ،  
جديداً من يدي الخياط تسلمته  
ومطرزاً من كل لون  
لدى الطوق وعلى الاكام »

يا سيد ربيع ، يا سيد ربيع  
عد الينا وأطل مكثك بيننا

\*\*\*

هاهو السيد ربيع يتحرك  
ما أشد مرجه ! ما أصفى دخيلته !  
لكم تطابق صدرته الحمليه الحمراء  
ثوبه الاخضر !  
يداه مملوءتان بالازاهر  
يعلقها في رؤوس الحماثل !  
له بيض الاقاحي  
بدل المسامير في نعليه .

ياسيد ربيع ، ياسيد ربيع  
امكث لدينا ايضاً واطل مكثك بيننا !

[ نقلها أحمد أبو الحضر منسي ]



# سِيرُ الزَّمَانِ إِلَى

## يَقْظَةِ الْعَرَبِ

ألفه بالانكليزية جورج انطونيوس

طلّاع اليقظة الفكرية

الجمعية السرية الاولى

مراسلات مكماهون : حسين

الوعود ونقضها

مصير فلسطين



# يَقْظَةُ الْعَرَبِ<sup>(١)</sup>

أَلْفُهُ بِالْأَنْكِلِيزِيَّةِ جُورْجِ أَنْطُونِيُوس

تنزل مشكلة فلسطين الآن في الصميم من عناية الحكومة البريطانية وتسنّأثر بعناية الصحافة في الشرق والغرب ، وتتصل عن طريق اضطهاد اليهود في ألمانيا وأوروبا الوسطى بحلجة السياسة العالمية ، ومن ناحية الشعور العربي القومي المتنّب الغيور على كرامته وحقوقه بالبلدان العربية اللسان جميعاً في الجزيرة ومصر وسورية والعراق . والمشكلة الفلسطينية على ما فيها من عُقد وعلى ما جرّته فيها السياسة الخاطئة من خسائر في الاموال والرجال ليست الاّ جزءاً من مسألة أعمّ وأوسع نطاقاً هي مسألة النهضة القومية العربية منذ نشأتها في مستهل القرن التاسع عشر . فقضية العرب ومشكلة الوطن القومي في فلسطين لا يمكن ان تفهم على وجهها الصحيح ولا ان يدبر لها حلّ معقول يتفق ومنطق الجغرافية وحقائق الاقتصاد والاجتماع ونوازع النفوس الاّ اذا ربطت بيقظة العرب من جميع نواحيها

لذلك لا يتردد كاتب هذه السطور في ان يتمنّى على المستر مكدونلد وأقطاب هويتهمول قراءة هذا الكتاب قبل عقد مؤتمر لندن المرتقب

ان كتاب الاسناد جورج انطونيوس يعالج موضوع نهضة العرب او يقظة العرب معالجة سداها العلم ولحمّتها الانصاف . فهو دقيق في تحريّ الحقيقة متزن في عرضها صريح في اصدار الحكم محافظ على النظرة الشاملة عند عنايته بتفصيل الشأن الخاص نافذ النظر في الناحية النفسية الاجتماعية التي من وراء العهود والمعاهدات السياسية والعسكرية . وكل ذلك في أسلوب انكليزي جمع بين النقاوة والجزالة والقوّة حتى ليخيّل اليّ ان « يقظة العرب » يجب ان يوضع بين أبلغ ما كتب بالانكليزية عن العرب وبلادهم

أقبل المؤلف على عمله وله من علمه وخبرته وتوقه الشديد الى اعلان الحقيقة أيّما كانت عدة وافية للاضطلاع بمهمته ، مهمة تأريخ النهضة العربية

فهو أولاً عربيّ تتفتح أمامه ابواب من العلم موصدة في وجوه كتّاب الفرنجة . فالصحف العربية والوثائق العربية والاتصال بأقطاب العرب بوصف كونه واحداً منهم يكلمهم بلسانهم ويتبين ما يخالجه في ثنايا الكلام لانه صدى لما يموج في صدره ، مباحّ له متعذر على غيره من



بناء الغرب . وغني عن البيان انه يستحيل على المؤرخ الانصاف والعدل في وصف رأي العرب الا اذا استطاع ان يعرف كل ما يقولون في تعزيزه والدفاع عنه وهذا ثابت في غير صفحة واحدة من صفحات الكتاب . فالرسائل التي تبادلها السرهري مكماهون والشريف حسين من الاصول التي لا غنى عنها في دراسة القضية العربية ، ولا سيما قضية فلسطين ، من ناحيتها السياسية . ومع ان هذه الرسائل نشرت كلها او جلها في الصحف العربية الا انها ظلت محجوبة عن كتّاب الغرب لان الحكومة البريطانية أثبت ان تذييعها . فكيف يستطيع كاتب ان يقول ان فلسطين لم تكن داخلية في المنطقة التي شملتها تلك المراسلات وهو لم يطلع عليها ؟ وقد رد الاستاذ انطونيوس في كتابه هذا الزعم ردّاً لا سبيل الى الطعن فيه . ولهذا حديث آخر في ناحية اخرى من هذا المقال

ثم ان المؤلف معاصر لجلّة حوادث العهد المتأخر من النهضة العربية ، متصل باقطابها من الفريقين — فريق العرب وفريق الانكليز . مشترك في بعض المفاوضات الخطيرة مع الملك حسين والملك عبد العزيز آل سعود بعد انتهاء الحرب الكبرى . فهمد له ذلك ان يجيء في كتابه باشياء لم تعرف قبلاً او هي لم تعرف معرفة تامّة فاستوفاهما فألقى عليها ضوءاً جديداً او كانت معروفة فلم تنشر مسندة اسناداً لا مطعن فيه . مثال ذلك اقوال وآراء للحسين وعلي وفيصل وغيرهم من الاقطاب . ولعل أهمها شأناً ذلك التصريح الشفوي الذي ذهب به الكوماندر هو جارت الى الملك حسين بعد ما سمع الملك بمعاودة سايكس بيكو — وهي تالية لعهود الانكليز له منافية لبعض نصوصها — وطلب تفسيراً لما سمع ، فدوّنها الملك حسين في مذكراته واذن لمؤلف الكتاب بنقلها فنقلها وترجمها وضمها الى ما جمعه في الشام والعراق والجزيرة من الحقائق التي مكنته من الوصول الى حكم لا يرد في حقيقة وعود الانكليز وحنثهم بها

ثم انه راجع المصادر الرسمية المباحة للمؤلفين في مكتب الوثائق بوزارة الخارجية بلندن حيث عثر في جملة ما عثر عليه على ضالة طال نشدانه لها ، وهي منشورات الجمعية السرية التي انشئت في بيروت سنة ١٨٧٥ للسعي في سبيل تحرير العرب من نير الترك . ذلك بانه عثر في تلك الاضابير على تقارير لقنصل انكارتا في بيروت لذلك العهد فوجدتها تحتوي على نص منشورين من منشورات تلك الجمعية وعلى منشور اصلي . وقد يقال ان البحث عن نصوص هذه المنشورات امر لا شأن له يطلبه المؤرخ ليزن بها ما يقول لا لان له قيمة حقيقية في سبيل ما يؤرخ . الا ان هذه النصوص كانت فعلاً كبيرة القيمة عظيمة الشأن . فالجمعية كانت سرية . وما يعرف عنها كان يسيراً يؤخذ بالتناقل . وأغلب اعضاءها ذهبوا الى لقاء ربهم . الا ان الدكتور فارس عمر باشا ، وهو احد اعضاءها الاصلين روى للمؤلف قصة نشأتها وبيان اغراضها فلما سئل في نصوص تلك المنشورات

التي كانت  
بمستوثق  
كان اعضاء  
الشعر من  
والمنش  
بالغة العربي  
على المجندين

ولم يقد  
الجزيرة في  
الجدول  
ولكن الحد  
الحرب العالم  
لكل  
فؤرخها الذي  
وروسوفوف  
الاحياء الا  
منها او صا  
وقد عث  
تاريخ حقة  
بعده عنها  
العلمية في  
الاول من  
البازجي و  
الوطنية وتا  
ذلك كله ايا



التي كانت تعلق على جدران المدينة في الليل خاتمة الذاكرة ولم يشأ ان يقول شيئاً ليس بمستوثق منه . ولكن الثور على هذه النصوص لازم لانها تبين مدى الاهداف السياسية التي كان اعضاء تلك الجمعية يتطلعون الى تحقيقها، فوجدوا المؤلف في لندن . وقد كان احدها بيتاً من الشعر من بائية الشيخ ابراهيم اليازجي المشهورة وهو : —

انطابن بحد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه طلب

والمنشور الآخر يحتوي على برنامج سياسي اساسه استقلال سوريا المتحدة والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية والغاء المراقبة وغيرها من القيود المفروضة على حرية الرأي والاعتماد على المجندين السوريين للخدمة العسكرية المحلية

\*\*\*

ولم يقتصر المؤلف على تأريخ العهد الحديث من نهضة العرب اي منذ اعلنت الثورة العربية في الجزيرة في يونيو سنة ١٩١٦ . بل اريد الى نشأة النهضة في مستهل القرن التاسع عشر ، وتتبع الجداول الصغيرة من منبعها الصافي في نفوس المتعلمين الى حيث تفيض في ظل الاستبداد ، ولكن الجداول ما لبثت ان تلاقت وتجمع ماؤها فتحوالت غدراناً ثم اصبحت الغدران في اثناء الحرب العالمية آتياً متدفقاً يشمل العرب في سوريا والجزيرة والعراق

لكل نهضة من النهضة القومية اصول فكرية ترد اليها وتنشق منها . وكذلك نهضة العرب . فؤرخها الذي يهمل ذلك يضل السبيل ويبني على الرمل . إن الثورة الفرنسية لا تفهم بغير ديديرو وروسو وفولتير . والثورة الارلندية لا تدرك حقيقتها بغير هايد ووليم بطار ييتس وغيرها من اقطاب الاحياء الادبي باللغة الارلندية . وكذلك النهضة القومية في بلدان البلقان جميعاً . فقد سبق كلاً منها او صاحبها تنبه فكري وبعث ادبي

وقد عني الاستاذ انطونيوس بهذه الناحية من يقظة العرب عناية خاصة . فاحسن واجاد . هنا تاريخ حقبة من البعث الفكري في لبنان وسوريا ، اصبحت حقائقه غامضة على النشء الجديد لبعده عنها مع ان تيارها القوي لا يزال يجري في عروق حياته اليومية . هنا تباشير النهضة الادبية العلمية في لبنان وسوريا في مستهل القرن التاسع عشر كما تبدو في اعمال المرسلين الاجانب الاول من اميركيين وفرنسيين وفي اعمال الوطنيين وقد خص بالذكر في ذلك العهد ناصيف اليازجي وبطرس البستاني واثرا تلاميذها في احياء الارث الادبي العربي ، وانشاء المدرسة الوطنية وتأليف الكتب المدرسية باللغة العربية وتأليف الجمعيات العلمية والادبية فكان من اثر ذلك كله ايقاظ الضمير القومي العربي



هذه الحركة العلمية الادبية « نبتت اذهان القوم الى أهوال جودهم المعنوي وأشعلت نار الحماسة في نفوس الذين كانوا يرون ان مرد مصائب البلاد الى البغضاء المذهبية التي ترتع في الجهل فأفضى ذلك الى تجديد السعي لانشاء المدارس وعقد العزم على تحطيم الحواجز حواجز الجدل المذهبي العقيم . وليس أقل نتائجها شأنًا ان دفعت جماعة من المفكرين الشباب الى الشروع في تحريك الهمم لتحرير بلادهم من الحكم العثماني . كانوا تلاميذ اليازجي والبستاني ، الجيل الاول الذي ترعرع على التراث الثقافي المسترد . وفي تأملهم جماله وروعته اقتربت أذهانهم من الروح العربية فأحسوا بحرارة شهوتها للحرية . كانت بذرة الوطنية قد بذرت ، فقامت حركة مصدر وحيها عربي . واهدافها قومية لامذهبية . كذلك ولدت الحركة القومية العربية ... » وقد ظلت خلال الاربعين السنة التالية ضعيفة عاجزة ولكنها كانت « حية سائرة في سبيل النماء الى مصيرها المحتوم على أجنحة الادب المنبعث » .

الآن ان معاهد التعليم الاجبي التي نبتت القوم الى العلم فبذرت بذرة القومية العربية ، ما لبثت حتى تعددت زعاتها ومذاهبها ، من روسية وانكليزية وايطالية جنبًا إلى جنب مع الاميركية والفرنسية ، فسرى الضعف الى النهضة القومية في مهدها عن طريق الانقسام بين المتعلمين في هذه المدارس ، فانتقل لواء النهضة العربية الى مسلمي البلاد وفي مقدمتهم في ذلك العهد عبدالرحمن الكواكبي صاحب «أم القرى» و«طبائع الاستبداد» وما فتئ في أيديهم بعاونهم في رفعه واعلاء شأنه فريق كبير من المسيحيين

\*\*\*

يقسم الكتاب بوجه عام ثلاثة أقسام عامة أولها يتناول النهضة العربية منذ نشأتها الى نشوب الحرب الكبرى وحديثها في هذا العهد هو حديث النهضة العلمية والادبية في البلاد والجماعات السرية المختلفة التي اشترك فيها المسيحيون والمسلمون والدروز وكيف واجه الضمير العربي القومي المنتبه استبداد عبد الحميد وتحكم رجال تركيا الفتاة — بعد فترة قصيرة لمعت فيها بوارق الامل بإمكان التعاون بين العرب والترك على أثر الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ واسقاط عبد الحميد سنة ١٩٠٩ — وفي ما تقدم قليل مما يدل على طرافة البحث في هذه الفصول

\*\*\*

أما القسم الثاني فخاص بمقدمات الثورة العربية والمكاتبات التي دارت بين الانكليز واقطاب العرب ثم سيرة الثورة الى ان دخل العرب دمشق في اوائل اكتوبر سنة ١٩١٨ هنا قصة بطربك استهلالها وتفجيمك خاتمها . هنا تحليل الوعود التي قطعها الانكليز للحسين طمعًا بعون العرب العسكري في مؤخرة الترك ثم قصة الحنث بها



تبدأ قصة المفاوضات بين العرب والانكليز في شهر فبراير من سنة ١٩١٤ إذ كان اللورد كيتشنر عميداً لبريطانيا في مصر . وكان الامير عبد الله نجل الحسين في القاهرة في طريقه الى مكة المكرمة فزار الامير العربي العميد البريطاني ، وفي خلال الزيارة — وكان المستر دونالد ستورس السكرتير الشرقي بدار العميد حاضراً — بسط الامير العربي حالة الجفاء بين السلطات التركية ووالده الحسين شريف مكة ومما قاله انه علم بأن حكومة الاتحاديين قد عازمت على عزل أبيه وولج الى انه اذا نفذت هذا العزم فالغالب ان تشبث ثورة في الحجاز . فكان رد كيتشنر مبهماً مبطلاً . ومما قاله انه يرى ان قاعدة الخطأ التي جرت عليها تقاليد السياسة البريطانية هي الصداقة التركية وانه ليس من المحتمل ان تتدخل حكومته اذا نشبت ثورة

الا ان كيتشنر أدرك ان عند الامير أشياء أخرى يريد البوح بها فعهد الى ستورس في زيارته بعد يومين ليتيح له التوسع في الكلام . وكذلك كان

ويرى المؤلف ان الشأن الذي يعلق بهذه المحادثات مستمد من كونها جاءت عند ما كان كيتشنر نفسه يفكر في الموضوع . فما لا ريب فيه ان واجبه الاول كان ينحصر في مصر والسودان . ولكن نظره كان يتعدى حدودها . ذلك ان قيادته لحملة السودان وللجيش البريطاني في الهند وفهمه للمشكلات التي تواجهها القوات البريطانية عند حدود الهند الشمالية الغربية كانت قد هيأت له الاتصال بقوة الاسلام المحاربة فأدرك ما للرابطة الدينية الاسلامية من خطر الشأن السياسي . وفي اثناء اقامته في القاهرة كانت عينه متجهة دائماً الى الاستانة مقر الخلافة . فلاحظ استفحال النفوذ الالماني والتقدم الخطير في مد سكة حديد بغداد . فأحس بما في ذلك من تهديد موجه الى مقام بريطانيا في خليج فارس والهند . وكان لا يخفي عن المقرين اليه ان السياسة البريطانية كانت قد اخضعت في تسليمها بقيام النفوذ الالماني السياسي العسكري في عاصمة الدولة العلية ، ولذلك كان دائم التفكير في خير السبل الى مقاومة هذا الخطر

وليس المقام هنا مقام تفصيل للموضوع فمن اراد تفصيلاً فليطلبه في مظانه ، وصفحات هذا الكتاب على ايجازها من خيرها . ولكن المهم ان محادثات الامير عبد الله مع اللورد كيتشنر والمستر ستورس كانت رأس الاسفين — على ما يقول الافرنج — التقت من حواليه رغبة العرب في الاستقلال ورغبة الانكليز في صد الخطر الذي يهددهم من ناحية خليج فارس والهند

فلما نشبت الحرب الكبرى مجددت العناية بالموضوع بناء على سؤال وجهه المستر ستورس الى كيتشنر (وكان قد عين وزيراً للحرية) . ووداه « أتأذن لي في ان اتحقق من الامير عبد الله الى اية جانب ينضم العرب اذا خاضت تركيا الحرب لانا اذا صرفنا النظر عن الاعتبارات العامة يكون انضمامهم الينا معزراً لمؤخرتنا »



ومن ثمة ابتدأت المفاوضات بين الانكليز والشريف حسين ، هل يثبت الى جانب الترك في ساعة محتتمهم فيكسب للعرب اعترافهم بالجميل او يقتنم فرصة محتتمهم لكسب الحرية العربية بحد السيف ؟ استشار الحسين ابنه عبدالله وفيصل فكان رأي عبدالله الثورة على الترك وكان رأي فيصل اولاً الوقوف الى جانبهم . وقد اثبت الاستاذ انطونيوس بناءً على تصريح من فيصل نفسه بان ما قاله لورنس في « اعمدة الحكمة » عن انضمامه الى احدى الجمعيات العربية السرية قبل الحرب خطأ وأنه لم يأخذ بفكرة الثورة العربية الا بعد ذهابه الى دمشق في سنة ١٩١٥ عند ما تبين قوة الحركة واجماع الاقطاب عليها وعندئذ انضم الى الجمعيتين السريتين العربيتين جمعية الفتاة وجمعية العهد

دارت المراسلات الرئيسية بين السر هنري مكماهون مندوب بريطانيا السامي في مصر والشريف حسين ممثلاً للقومية العربية ، وفيها نرى النضال بين قوتين ، كل منهما في حاجة الى الاخرى ، الا ان الواحدة — اي الانكليز — تريد عون الاخرى بلائاً واضح والثانية تريد عهداً صريحاً بتأييد استقلال العرب . وتلخص قواعد الاتفاق التي يخرج بها الباحث من مطالعة الرسائل في ان يستعمل الشريف حسين ماله من مكانة وقود وما يستطيع تعبئته من قوة مادية لهزم تركيا . نعم ان شروط التعاون العسكري ليست بمنطوية في نصوص معينة في المراسلات لان المفاوضات بشأنها دارت شفهاً ولكن ما تقدم ملخص المفهوم منها والشريف حسين لم يتردد قط في قبوله . يقابل هذا ان يمده الانكليز بما يسد النقص في قوته المادية من اسلحة ومال . اما في الناحية السياسية فالشريف كان قد تعهد باعلان ثورة العرب والتبديد بالترك على انهم اعداء الاسلام حالة ان بريطانيا تعهدت مقابل ذلك بأن تعترف بخليفة عربي اذا أعلنت مبايعته وباستقلال العرب في منطقة معينة

هذه « المنطقة المعينة » غدت مثاراً للجدل بعد الحرب ولاسيما فلسطين . فالرأي العربي على ان فلسطين واقعة فيها . والحكومة البريطانية ترى غير ذلك . والحكم في هذا الخلاف لا يكون الا بالرجوع الى نصوص مراسلات مكماهون والشريف حسين

ومن غريب الامر ان الحكومة البريطانية لم تنشر نصوص هذه المراسلات باللغة الانكليزية فعمد مؤلف الكتاب الى استيفاء نصوصها العربية المعروفة في الشرق العربي ونقلها الى الانكليزية وجعلها ذيلاً لكتابه . وقد اخذ نصوص رسائل الملك حسين من الملك نفسه اذ كان في عمان قبيل وفاته فالرسائل التي كانت الحكومة الانكليزية تبعثها بواسطة مندوبها السامي في مصر السر هنري مكماهون الى الشريف حسين كانت تترجم في دار المندوب السامي في مصر ترجمة سقيمة جداً . ولكنها مع ذلك هي الوثائق التي اعتمدها الشريف حسين اساساً للاتفاق . وقد نشرت



في البلدان العربية . فاحجام الحكومة البريطانية عن نشرها لا يفهم ، على رغم المطالبة به في البرلمان الانكليزي ومع ان المطالب به كان رجلاً من مقام السر ادورد غراي ( لورد غراي بعدئذ ) في ٢٧ مارس سنة ١٩٢٣

وبالرجوع الى نصوص هذه الرسائل لا يبقى عند منصف شك بان الرأي العربي من حيث دخول فلسطين في المنطقة التي تعهدت بريطانيا بالاعتراف باستقلال العرب فيها ، هو الرأي الصحيح . ولا يتسع المجال الآن لتفصيل ذلك وسنعود اليه في فرصة اخرى

\*\*\*

اعلنت الثورة العربية وقام العرب بنصيبهم فيها على اتم وجه ولكن السياسة كانت تلعب ألعينها وراء ستار . فما كاد الاتفاق يتم بين السر هنري مكماهون ممثلاً بريطانيا والشريف حسين ممثلاً للعرب حتى بدأت مفاوضات بين لندن وباريس أفضت الى معاهدة سايكس بيكو السرية وهي المعاهدة التي في شروطها مناقضة تامة لبعض العهود المقطوعة للشريف حسين . ولكن وزارة الخارجية البريطانية امسكت عن اطلاق الوزارة الفرنسية على شروط اتفاقها مع العرب ولعلها امسكت كذلك عن اطلاعها على ان هناك اتفاقاً . فسارت المفاوضات الفرنسية الانكليزية منذ بدايتها على اساس خاطيء مما كان مجلبة لكثير من الارتباك والحساسة المادية والاضطراب الاجتماعي بعد انتهاء الحرب . وقد وصف المؤلف معاهدة سايكس بيكو بأنها نتيجة للجشع في افطع صوره . ذلك انه جشع مقرون بالرغبة فأفضى الى السخف ، وهي مثال على المراوغة في المعاملات الدولية ولعلها ابلغ مثال عن الحث بالوعود . فقد تمت المفاوضات وعقدت المعاهدة بغير معرفة الشريف حسين واحتوت على نصوص تناقض مناقضة تامة شروط الاتفاق بين السر هنري مكماهون وبينه ولو انه عرف بها لكان النفي حتماً محالفتاً مع بريطانيا . فاخفاؤها عنه يزيد الطين بلة من الناحية الادبية . ولم يعرف بها الشريف حسين الا بعد انقضاء سنة ونصف سنة على عقدها وذلك عن طريق المانيا وتركيا بعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا ونشر الوثائق والمعاهدات السرية في بتروغراد . وقد كان الغرض من ابلاغ الشريف حسين انباء هذه المعاهدة عن طريق جمال باشا والي سوريا وقائد الجيش الرابع حملة على عقد الصلح بين العرب والأتراك ولكن الشريف ابى ذلك اولاً ثم طالب الانكليز بتفسير ما انتهى اليه . فلم يدر السر رجبينالد ونجبت ( وكان قد خلف السر هنري مكماهون ) ما يفعل فأحال المسألة الى وزارة الخارجية البريطانية فأتاحت للوزارة بذلك فرصة نادرة للخروج من مأزق الاعتماد على وسيلة غاية في البساطة وهي الصراحة في تفسير الموقف ولكنها لم تفعل بل ارسلت الى القاهرة نص رد على استفهام الملك حسين اقل ما يقال فيه انه ينطوي على تضليل مقصود . ذلك ان



الوزارة لم تؤيد ولم تنفذ صحة ما نشرته حكومة روسيا الشيوعية وإنما أفرغت الرد في قالب يفهم منه أن ما قاله جمال باشا ليس إلا ضرباً من ضروب الوقعة التركية . وأرسل الرد من قبل السر رجينالد ونجيت مع برقية خاصة منه

وهنا أيضاً نرى الحاجة ماسة الى الاطلاع على نصوص الرد والبرقية . ولكن الحكومة الانكليزية لم تنشرها فترجمهما الاستاذ انطونيوس من العربية وجعلهما احد ذبول كتابه لانهما من الوثائق التي لا يستغنى عنها في دراسة الموضوع

ومن قبيل معاهدة سايكس بيكو تصريح بلفور المشهور الخاص بالوطن القومي في فلسطين الصادر في نوفمبر سنة ١٩١٧ والمتعارض مع عهد الانكليز للعرب . اما تاريخ المفاوضات والمساعي التي بذلها الصهيونيون قبل الفوز بهذا التصريح فمذهب لا يتسع له المجال . ولكن يكفي ان نقول ان المستر اسكويث رئيس الوزارة البريطانية في السنتين الاوليين من الحرب الكبرى كان معارضاً فيه وكذلك فريق كبير من اقطاب اليهود الانكليز ممثلين في « مجلس ممثلي اليهود الانكليز » و « الجماعة اليهودية الانكليزية » وقد كان المستر متاجو وزير الهند لسانها فيها . ويرى مؤلف « بقطة العرب » ان الباعث على هذا التصريح ليس ما يقال عن العون المالي الذي فازت به الحكومة من اليهود اذ ثبت الآن ان اكتاب اليهود في قروض الحرب كان يسيراً ومعظمه من اليهود المعارضين في الخطة التي تضمنها تصريح بلفور . وهو ينكر كذلك ان هذا التصريح جاء مكافأة للدكتور ويزمن على اختراعه مادة متفجرة في وقت الحاجة اليها . وعنده ان الباعث الحقيقي ذو ناحيتين احدها سياسية وهي اجتذاب يهود المانيا والنمسا الى الاهتمام بنصر الحلفاء لانهم كانوا يفاوضون حينئذ دول الكتلة الالمانية النمسية للفوز بتصريح من تركيا يماثل التصريح الذي اصدره بلفور بعدئذ . وأما الناحية الثانية فمسكرية تستمد شأنها من قرب فلسطين الى مصر وقناة السويس اذ يصح تصريح بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اي بعد انقضاء سنة ونصف سنة على قيام الثورة العربية استناداً الى عهد بريطانيا بتأييد استقلال العرب في منطقة كان للحسين الحق كل الحق في اعتبار فلسطين جزءاً منها

وقد كان لاذاعة هذا التصريح تأثير عميق في الدوائر العربية فسرت موجة احتجاج قوية من قبل زعماء العرب في القاهرة . فبذلت السلطات البريطانية جهدها لتسكين مخاوف العرب وتطمينهم خشية ان يفضي ذلك الى خلود الثورة ، وانكشاف مؤخرة الحملة البريطانية في فلسطين . فلما بلغ الملك حسين نبأ التصريح اضطرب وقلق وطلب حالاً من الانكليزان يحددوا معناه ومداه . فأرسل اليه الكوماندر هو جارت احد رؤساء المكتب العربي في القاهرة في الاسبوع الاول من شهر يناير سنة ١٩١٨ فقابل الملك حسين مرتين وأبلغه شفويّاً رسالة من قبل الحكومة البريطانية



من شأنها تطمين الملك . وهذا التبليغ ينطوي « على تأكيد صريح بأن نزول اليهود في فلسطين لا يسمح به إلا إلى مدى اتفاق مع حرية السكان العرب من الناحيتين السياسية والاقتصادية » هذا التصريح لم ينشر قبلاً لأنه أُبلغ إلى الملك حسين شفويًا ولكن الملك العربي دونه والاستاذ انطونيوس استأذن في نقله فنقله ثم نشره مترجمًا في أحد ذبول الكتاب باللغة الانكليزية يضاف إلى تصريح هو جارت التصريح الرسمي الذي أُبلغ إلى سبعة من أقطاب العرب في القاهرة هم رفيق العظم والشيخ كامل القصّاب ومختار الصالح وعبد الرحمن شهنندر وخالد الحكيم وفوزي البكري وحسن حمادة

كان هؤلاء الاقطاب قد أجمعوا الرأي على وضع مذكرة وإرسالها إلى الحكومة البريطانية يستفسرون بها عن نوع الحكومات المنتظر قيامها في سوريا وفلسطين والعراق بعد الحرب علاوة على الاعراب عن رأيهم في ما يساورهم من القلق إزاء معاهدة سايكس بيكو وتصريح بلفور وتناقضهما مع العهد المقتطوعة للعرب . فردت عليهم وزارة الخارجية في ١٦ يونيو سنة ١٩١٨ ببيان رسمي تلي عليهم في مقرر قيادة الجيش البريطاني في القاهرة وأرسلت نسخة من هذا البيان إلى الملك حسين . تلي هذا التصريح على الاقطاب السبعة بالانكليزية وترجمه أحداهم باللغة العربية لاطلاع الذين يجهلون الانكليزية منهم على محتوياته . والنص الذي نشره الاستاذ انطونيوس هو الترجمة الانكليزية للترجمة العربية . وميزة هذا البيان إنه كان تصريحاً رسمياً علنياً واضح الحدود جدّت به الحكومة البريطانية عهداً بالماضي في السعي لتحرير البلدان العربية من الحكم العثماني حتى تال حربها واستقلالها وأضافت إليه عهداً جديداً بأن لا يقوم في أي منطقة من هذه البلدان نظام للحكم بغير رضى الاهلين

فكان من أثر ذلك التصريح ، عند وصوله إلى الملك حسين وإلى الامير فيصل في العقبة ، انتقاد الشرر ثانية في قوات الثورة بعد ان استولى عليها الجمود

\*\*\*

أما القسم الثالث من هذا الكتاب النفيس فقد تناول فيه المؤلف التسوية التي تلت الحرب في سوريا وفلسطين والعراق والجزيرة العربية وأدوارها المختلفة وما في هذه التسوية من تناقض مع آمال العرب المشروعة وهو في ثلاثة فصول تشمل ١٤٠ صفحة يصح أن تكون كتاباً قائماً بنفسه . استهل هذه الفصول ببيان آمال العرب بعد ان اشتركوا في الحرب اشتراكاً فعلياً وختمها ببحث مشكلة فلسطين . وبين الاستهلال والخاتمة تتعاقب الصور والحوادث — فيصل بين اقطاب القضية العربية في دمشق ورجال السياسة في أوروبا . وثورة العراق ومؤتمر سان ريمو



وزحف الفرنسيين على دمشق ثم مؤتمر القاهرة وتغيير الخطة السياسية في العراق واختيار الملك فيصل ملكاً عليها وتقديمها نحو الاستقلال بقيادته ومعاونة أقطاب العراقيين والمخلصين من رجال الانتداب فيها وحال الجزيرة العربية والخلاف الذي نشب بين الحسين وعبد العزيز آل سعود وكيف أفضى الى تل عرش الاول وامتداد سلطة الثاني وانبساطها على الحجاز . وليس ماتقدم الاشارة الى الحوادث الرئيسية ، أما بحث العوامل السياسية والاجتماعية التي من وراء الحوادث وتعليلها وربطها بعضها ببعض واسنادها الى الادلة العقلية والنقلية فقد أجاد فيها المؤلف هنا كما أجاد في ماتقدم من الفصول

\*\*\*

وماذا عن فلسطين ؟ ان الذين يتطلعون الى ما وراء الحجاب الكثيف من أقوال الدعاة وأساطيرهم يرى الحل واضحاً ولا سبيل اليه الا بالرجوع الى الحكم السليم والعدل . فليس هناك مكان لامة ثانية في بلاد يقطنها شعب قد تنبه ضميره القومي وتربطه بأرضه محبة لا تغلب . إن العبرة الوحيدة التي يخرج بها الباحث من المساعي التي بذلت حتى الآن لانشاء دولة يهودية في فلسطين هي ان هذه المساعي أفضت الى تخريب البلاد وليس سبب ذلك لنداء أصيل بين اليهود والعرب ولا ضعف عطف العرب عليهم في مخنتهم العالمية ولكن لأن انشاء دولة يهودية في فلسطين لا يمكن ان يتم الا باخراج فلاح فلسطين بالقوة من أرض فيها دورهم ومعابدهم ومقابر آبائهم وأجدادهم . ويلوح من تتبع أحوال فلسطين في السنين الاخيرتين ان هؤلاء الفلاحين يؤثرون مواجهة الموت على التخلي عن أرضهم . ولو لم يكن هناك اعتبار آخر لكان هذا الاعتبار كافياً لحل أولي الامر على مواجهة الحقيقة الواقعة . أما وهذا الاعتبار فعززه اعتبارات أخرى تستند الى وعود وعهود مقطوعة فقضية العرب في فلسطين تصبح قضية لا ترد . فوالحالة هذه يجب ألا يعجز زعماء الانكليز والعرب واليهود عن الوصول الى حل معقول . وليس ثمة سبب يحول دون انشاء دولة عربية مستقلة في فلسطين يأوى اليها من اليهود عدد لا يعرض حقوق العرب السياسية والاقتصادية للخطر ، فيعيش فيها اليهودي متمتعاً بجميع الحقوق ، في امن وكرامة ، وتعقد معاهدة بين الدولة العربية في فلسطين والدولة البريطانية تضمن المصالح البريطانية العسكرية والاقتصادية في البلاد وسلامة الاماكن المقدسة وحقوق الاقليات وتتيح ليهود البلاد أوسع آفاق الحرية في رعرعة مثلهم الثقافية والروحية

\*\*\*

وليس هناك — في رأي المؤلف بل في رأي كل منصف — حل عملي غير هذا !



# بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

## مجلة مجمع اللغة العربية المالكي

في دورته الثالثة

للمفوض الركن - امين العلوف

صدر هذا الجزء من المجلة في اكتوبر سنة ١٩٣٨ ولكنه مطبوع في سنة ١٩٣٧ فرأيت أن أنظر فيه نظرة عامة ثم أكتب فيه شيئاً. وأول ما أبدأ به أقول أن طبعه حسن جداً شأن غيره من مطبوعات المطبعة الاميرية ببولاق ثم ان الياء فيه غير منقوطة كما هي الحال في المطبوعات المصرية بخلاف السورية والعراقية وهذا لا بأس به لان المصريين مصريون على هذا الخلاف بينما فحسب أن لا يبقى خلاف غير تنقيط الياء . وللاب انستاس عضو المجمع رسالة صغيرة كثيرة الفائدة في هذا الشأن أي انه يشير الى ضرورة تنقيط الياء لسهولة القراءة

والآن أصف المجلة مختصراً فأولها كلمة اللجنة بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بهداه ورحمته . ثم يلي ذلك كلمة وفاء للمغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول مؤسس المجمع . ثم كلمة لواء لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول وكلاهما لحضرة صاحب المعالي الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع . ثم ذكر للمغفور له الاستاذ الجليل الشيخ حسين والي فقيه المجمع . ثم كلمة لرئيس المجمع وقد وجه فيها خطابه للوزير والحضور وهي خطبة مسهبة ونفيسة جداً ضمنها أعمال المجمع وقراراته حتى الآن ومما جاء فيه انه يطرح كل شيء امام أفاضل العلماء ويقدمه الى الامة العربية جمعاء ويرجو من رجال الفضل في البلاد العربية كافة تعاوناً نشيطاً ماضياً على اذاعة آثار المجمع بين أبناء بلادهم فالمجمع لهم جميعاً لا لمصر وحدها . ثم كلمة لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ حسين والي فقيه المجمع وكان يومئذ لا يزال على قيد الحياة وان كلمته حوت شيئاً كثيراً من معرفة اللغة العربية فلا غرو وقد كان رحمه الله اماماً في اللغة . ثم كلمة الاستاذ محمد كرد علي بك عضو المجمع . ثم قصيدة علي الجارم بك عضو المجمع . ثم كلمة الاستاذ ا. هـ . ر . جب عضو المجمع . ويلي ذلك أعمال المجمع وهي في قسمين القسم الرسمي والقسم غير الرسمي فالقسم الرسمي فيه قرار طبع معجم الاستاذ الدكتور فيشر عضو المجمع وقرار وضع المعجم الاصطلاحي العلمي وقرار وضع المعجم اللغوي الوسيط



ثم أبدأ في نقد مصطلحات العلوم والاحياء دون غيرها وأرجىء الباقي لفرصة أخرى  
مصطلحات علوم الاحياء وهي ٣٣ مصطلحاً لم اجد فيها إلا الكسري وأنا افضل الكروي  
كما قال المجمع في العلوم الرياضية والكروي جائز لكنني افضل الكروي ثم ان الكلمة الثانية التي  
اعترض عليها قولهم القصيمة . ولا يخفى ان الكلمة الانكليزية التي ترجمت بالقصيمة ذات معنيين  
الاول في شبكة العين ذكرها كل من النجاري بك والدكتور شرف بك وسميها العُصية وهذا  
المعنى نادر جداً والمعنى الآخر وهو الشائع جرثوم معروف فلماذا نترك المعنى الشائع ونتمسك  
بالنادر والمعنى الشائع وضع له اليازجي كلمة انبوبي والانبوب على ما في القاموس ما بين العقدين  
من القصب ووضع له اساتذة المعهد الطبي في دمشق كلمة عصية ذكرها الدكتور حسني سبيع  
في معجمه الملحق بالامراض الباطنية. اما الانبوبي فذكره كل من الياس انطون الياس وخليل  
سعد في مظنته وهذان اللفظان اصلح من القصيمة . فهذه معناها العود السريع الانكسار والعصية  
خالية من ذلك

وقد يسرنى قولهم الكلس فهي احسن كثيراً من الجير الشائعة في مصر وقد يكون الجير  
تصنيف القير وهذا البحث لا محل له هنا

ثم القسم غير الرسمي وفيه المقالات والاقتراحات ويجب ان لا ينظر الى هذا القسم كأنه صادر  
من المجمع وان كان معظم الناس يظنونه كذلك فالقسم الرسمي فقط صادر من المجمع ومما جاء في هذا  
القسم ص ١٥٦ في اصطلاحات علوم الاحياء مانصة : طائفة مشروحة مما اقره المجمع في دور  
انعقاده الثالث عني بشرحها الاستاذ احمد العوامري بك عضو المجمع واسماعيل مظهر افندي  
الموظف به ولما كان هذا القسم غير رسمي والمداعبة مخلو فيه فاني سأدأب السيد اسماعيل بعض  
المداعبة او المعانبة وهو الصديق القديم وطالما داعبني وداعبته ولا سيما في علوم الاحياء

في الصفحة ١٦٠ اصلح ما يأتي ، وأما الشحم والدهن فسأعود اليهما في فرصة أخرى بل  
الفرض هو قولك الدهن وكان يجب ان تقول الشحم وهذا ليس فرضاً عليك بل انت مخير فيه اذا  
شئت او هو واجب او مستحب . ثم قلت هناك في طائفة من الحيوانات اللبونة انها من الثديية واذكر  
اني في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٦ قلت اللبونة وبينت الاسباب وانت فضلت الثديية . فاللبونة قالها  
زلزل واخذها عنه صاحب المقتطف ثم اخذها عن المقتطف جماعة من الادباء منهم طبيب مشهور في  
مصر اسمه الدكتور محمد عبد الحميد بك فقد قالها في المقطع بالامس وطبيب آخر اسمه الدكتور  
نجيب محمود ذكرها في كتاب اصول الطب البيطري والدكتور حسين زكي في الرسالة قالها عن  
الاطوم في عدن في العدد ٢٥٣ من مجلة الرسالة واطنك قرأتها لان لك مقالة في العدد عنه وقالها  
ادباء كثيرون في بيروت ودمشق وبغداد ولست في حاجة الى اثبات شيوعها . ثم انه ليس لهذه الطائفة



لثداء منها القنقر والابوسوم وغيرها فان لم تستحسن ذكر زلزل فانسبها الى المقتطف واحد منشئيه عضو الآن في المجمع واظن رئيس تحرير المقتطف ذكرها لايام مضت . فلا تقل بعد الآن تديية فهذه من ايام فلاوون او ابن طولون . كذلك طائفة اخرى سميت الزواحف وانا قلت الزحافات بصيغة المبالغة نقلاً عن الاب انستاس العضو في المجمع . ثم تحول الى الصفحة المقابلة فتجد هناك الزلال وهي عامية او مولدة لم اعثر عليها الا في كتاب كامل الصناعتين في الطب البيطري . وقلت ان الصواب الآح او يياض البيض . فغير الزلال اكراماً لي ولصاحب التاج فقد ذكرها في المح وقد كان اماماً في اللغة رحمة الله عليه

ثم انتقل معي اليها الصديق الى ص ١٧٧ فتجد هناك القمصية الطيبة الذكر وقد تقدم انها لا تصلح نباتاً وان الانبوي والعصية اصلح منها كثيراً

أما التصنيف فانت حر في التصنيف الذي يطيب لك . أما أنا فقد ذكرت تصنيفي في معجم الحيوان واني لا أرى التصنيف من شؤون جمع اللغة فالاعضاء من جها بذة اللغة ومع شدة احترامي لك ولهم فانهم ليسوا من الاحيائيين او من علماء المواليد ولا أنت منهم بل ربما لا يعرفون عنها شيئاً واما أقول ان تصنيفي متعوب فيه فكل كلمة فيه مكتوبة بعد البحث الدقيق فلك ان تخالفني فيه أو في بعضه وما يأتي هو بعض ماخالفني فيه وما قلت في معجم الحيوان فالاولى هو ما قلته في معجم الحيوان ص ١٦ وما يليها ثم تصنيفك في أما كن مختلفة من مجلة اللغة أشير اليها بالصفحة

Order

رتبة . مجمع الفصائل المتشابهة ( زلزل )

هذا ما قلته في معجم الحيوان وقد نسبته الى زلزل لاني وجدت تعريفه أفضل تعريف ولكنه ليس لزلزل بل هو أقدم تصنيف فهو المواليدي المشهور أحمد ندى ذكره في كتاب الآيات البيّنات في علم الحيوانات وأخذه عنه بوست وعلي رياض وزلزل وغيرهم فان علماء تلك الايام كانوا أكثر تساهلاً مما نراه الآن فيأخذ الواحد ما للآخر متى كان الاصطلاح صحيحاً . أما انت أيها الصديق فقد خالفنا جميعاً لا لسبب بل لتقول انك مخالف فسميت الرتبة قبيلة ص ١٦٤ من المجلة وستأتي القبيلة بعد ذلك . فهل تريد انه اذا أنعم عليك جلالة الملك بوسام او برتبة ان يقال أنعم على اسماعيل مظهر بالقبيلة الفلانية من الدرجة الفلانية فانه يجب ان يكون تناسباً بين الالفاظ المختلفة باختلاف المعاني

Phylum

قبيلة

هي في الاحياء قسم من أقسام المملكة أفرادها من أصل واحد واللفظة يونانية معناها قبيلة



والقبيل بمعناها وجمع القبيل قبل وهو غير مأنوس بهذا المعنى ويحتاج الى اجتهاد الفكر وتفسيره في الاستعمال أما القبائل ففي غنى عن ذلك

هذا هو التعريف بنصه على ما ورد في معجم الحيوان . ولعلك تذكر في السنة التي قبل الماضية انك قلت في المقتطف قبيلة وجمعها على قبل فداعبتك مداعة لا أظنك نسيتها فحسنا الآن بالامة صفحة ١٧٠ من المجلة ولا أدري من أشار عليك بذلك . وسأبين لك في ما يلي انه لا يمكن غير القبيلة فان كلمة قبيلة قديمة في اليونانية وكانوا ينتحون كلمة ثانية منها هي فلارخ ومعناها رئيس القبيلة او زعيمها وكانوا يستعملون هذه الكلمة أي فلارخ على الطريقة الانكلوسكسونية للملك العرب أيًا كان مثل امرئ القيس وكل ملك من ملوك غسان . أما الملك عند الروم على ما تعلم فهو باسيلوس لكنهم ما كانوا يستعملون هذه الكلمة الا لهم لانهم شعب الله الخاص وكان جميع ملوك العرب فلارخ كما تقدم أي رئيس القبيلة او زعيمها

Class

طائفة

جماعة كبيرة من الاحياء دون القبيلة وفوق الرتبة وقالوا أيضاً قسمًا والقسم غير ذلك وقد تقدم . وقال أسانذة بيروت صفًا لان الصف عندهم للتلازمة بمعنى سنة دراسية واحدة . وقال أسانذة الترك صنفًا وهذه لا بأس بها لولا ان المناطقة استعملوها بمعنى آخر سيأتي ذكره . وقال الدكتور زلز طائفة فاختار المؤلف هذه اللفظة وكنت أود لو قال طبقة ولكن طائفة سابقة لذلك

أما أنت فقلت أولاً في المقتطف الصف ولم تقل ذلك الا لخالفني ثم عدلت عنه الى الشعب ص ١٧٠ من مجلة المجمع ولعلك أو لعل الذي أشار عليك بذلك أحب ان تكون المقولات من الجماعات الواردة في كتب اللغة أو ليست الطائفة من هذه الجماعات ولعلك لما رأيت اسم زلز واسمي نفرت منها وأنا لا أعهد فيك ذلك أيها العزيز فالطائفة أحسن ولو أن زلز قالها وأنا اخترتها

Category

باب

اصطلح المؤلف على باب كما في بعض الامثلة المتقدمة ولا بأس من قولنا فصل . أما في المنطق فمقول ومقولة والمقولات العشر أشهر من ان تذكر

قلت وكنت أفضل ان أقول مقول ومقولة كما في المنطق لكن رئيس تحرير المقتطف اعترض على هذه الكلمة لغرابتها فاستعضت عنها بالباب والمقول والمقولة أفضل لانها ترجمة الكلمة المنطقية وقد استعملها زلز وهو من كبار المواليديين

أما السيد اسماعيل فضرب بهذا عرض الحائط وقال طبقة والكلمة الحقيقية مقول ومقولة



تضيء  
في تلك  
وهي لا  
رائحتها  
خرج شيء  
هواء الغد  
فيه . فما  
المسك ؟  
كاهنزاز  
او هي ال  
إلى ان  
فأثبتت با  
الرأي الت  
ذلك  
الملكية  
الماضي و  
قوام ولا  
احلام او  
فيها رأو  
انها صور  
ورائحة



صورة رائحة الزنبق — تصوير بريقتباخ



# بَابُ الْأَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

نصوير ما يُسمَّى

من زهر الورد وحب المسك

بريتباخ وأنه صوّر بها تجارب علمية يقوم بها الأستاذ « ديفو »

والاستاذ ديفو شيخ وقور سمح الطلعة قضى أربعين سنة باحثاً عمماً انشمه عند ما فتحت زجاجة من العطر او عندما تقرب من انقنا قرنفلة او زنبقة او حبة من المسك او قطعة من الكافور أو بيضة تننة او قيراً مصهوراً .

فهو زعيم علم جديد لا يزال في مهده نهي علم الروائح ويعرف باللغات الاعجمية باسم « الاوسميكس » واصله كلمة اوسميل Osmyl التي تطلق على كل جسم له رائحة . ونجارب هذه اثبتت اثباتاً قاطعاً لسكل ريب بان ما نشمه هو دقائق متناهية في الصغر تنطلق من الجسم ذي الرائحة ، فتؤثر في جهاز الشم في باطن الاتف وتنقل رسالتها العصبية على اعصاب الشم الى المركز الخاص بها في الدماغ

فما طريقة الاستاذ ديفو التي أفضت الى تأييد هذا الرأي ثم أفضت الى هذه الصور العجيبة ؟

هوذا خوان عليه وعلا قائم على أربع قوائم وفي الوعاء طبقة من الزئبق عمقها أربعة

نضع حبة المسك في غرفة فنشم رائحتها في تلك الغرفة يوماً بعد يوم . وسنة بعد سنة وهي لا ينفص ثقلها شيئاً محسوساً . ولا تفوح رائحتها في هواء الغرفة كل هذا الزمن الا اذا خرج شيء منها كل يوم وكل ساعة وانتشر في هواء الغرفة المتجدد فيصل الى الاتف ويؤثر فيه . فما هو هذا الشيء الذي يخرج من حبة المسك ؟ اغاز صادر منها ام اهتزاز في الاثير كاهتزاز الضوء أم حبيبات دقيقة تحمل الرائحة او هي الرائحة نفسها ؟ هذا ما لم يتفق عليه العلماء الى ان جاء العالم الفرنسي « ديفو » Devaux فاثبت بالبرهان العملي المصور صحة الرأي الثالث

ذلك ان زوار المعرض الدولي للجمعية الملكية للتصوير الضوئي بلندن في الصيف الماضي وقفوا امام صور غريبة لا شكل لها ولا قوام ولا صلة بجسم معروف فكأنها خيالات احلام او اوهام حشاشين . وعندما انعموا النظر فيها رأوا تحتها وصفاً أخذهم دهشة اذ علموا انها صور ضوئية لروائح معينة منها رائحة الورد ورائحة الزنبق وغيرها وان المصور يدعى



مليمترات . ثم هوذا الاستاذ ينظف سطح الزئبق بامرار حرف زجاجي عليها إمراً لطيفاً . وبعد ذلك يضع قليلاً من مسحوق الطلق المنهائي في نعومة دقائقه . ثم يتجه الى خوان آخر فيأخذ منه لوحاً من الزجاج يثبت عليه بورق اللصق ورقة منزعة من زهرة ورد او زهرة ياسمين او زهرة قرنفل ثم يضع اللوح فوق سطح الزئبق على بعد قليل منه وورقة الزهرة الى جهة الزئبق

\*\*\*

انظر الى دقائق المسحوق الابيض وقد أخذت تتحرك وتنتشر ببطء . ها هي ذي بقعة صغيرة على سطح الزئبق تحت ورق الورد تماماً قد زال منها المسحوق . لا ريب في ان شيئاً منطلقاً من الورقة أخذ يدفع دقائق المسحوق أمامه ليحل محله . فاذا أحلت قطعة من الكافور أو زهرة الليمون أو أي زهرة من أزهار أشجار الفاكهة محل ورقة الورد ، رأيت التحول في انتشار المسحوق على سطح الزئبق عيافاً ، كان هناك أعصاراً او زوابع صغيرة . هذا البديل في انتشار المسحوق على سطح الزئبق بفعل الدقائق المنبعثة من الجسم ذي الرائحة هو ما تراه مصوراً في هاتين الصورتين . وقد عني برتينباخ بتصويره بأجهزة التصوير الفسوي العادية ، وأجهزة التصوير السينمي . ولا يخفى ان الدور الذي يقوم به المسحوق الابيض في هذه التجارب انما هو لظهار الحركة التي تتحركها الدقائق الصغيرة

المنبعثة من الاجسام ذات الرائحة وقد صرح الاستاذ ديفو بأنه ثبت له من تجاربه ان الاجسام ذات الرائحة فقط تدفع مسحوق الطلق بالشكل المتقدم . أما الاوراق والازهار والاجسام التي لا رائحة لها فلا تؤثر هذا التأثير فيه . واذا حركت غشاء الزئبق بعد اجراء احدي هذه التجارب انبعثت منه الرائحة الخاصة بالزهرة — او غيرها من الاجسام — التي جربت بها التجربة . وفي هذا دليل على ان دقائق مادية انطلقت من الزهرة تحمل رائحتها أو هي الرائحة نفسها . وهذا يعني اننا لا نستطيع ان نشبه الروائح بالالوان . فالالوان لا وجود لها الا في شبكات عيوننا وأدمغتنا فهي التي تفسر ما يؤثر فيها من الامواج فنقول هذا أحرر وذاك أزرق وذلك أخضر

\*\*\*

\* يموت ألوف من المواشي كل سنة يلعهما الدهان الطري الذي على مباني المزارع  
\* كان قدماء المصريين يصفون مرض الجذام بأنه « الموت قبل الموت »  
\* تدل التجارب على أن الأسماك تشم وتستطيع أن تميز الألوان الزاهية  
\* يقول أحد أطباء السفن أن الحقن بالأتروين علاج سريع للدوار وغشيانه  
\* صنع جهاز تلغرافي جديد يجعل من المستطاع نقل ٩٦ رسالة برقية على سلك واحد في جهة واحدة





صورة رائحة الكافور — تصوير بريتنباخ



## فوائد النحاس الاحمر والفضة

قتل الميكروب — مقاومة البلهارسيا بمصر

حفظ عصارات الفواكه وطريقة ماتزكا Matzka

تلك النقود بجرائم الدفنييا والكوليرا ، ماتت  
الجرائم في أقل من ساعتين

## النحاس الاحمر والكوليرا

ولا يخفى على القراء أن الكوليرا كثيراً ما تنفّس في بلاد الصين غير أن عدواها لا تسري في بعض البلدان لأن أهاليها يخزنون مياه الشرب في صهاريج من النحاس الاحمر . وقد يطمح السياح الذين يفدون على بلاد الصين الى ابتلاع هاتيك الصهاريج من الصيدين لجمال منظرها فلا يرضون لأن عندهم خرافة فخواها ان صحتهم وسلامتهم متوقفتان عليها فلا يفرطون فيها قلنا « ليت الخرافات كلها حقيقة وصحية كهذه » . ومن هذا القبيل ان عمال النحاس الاحمر في منطقة الريفيرا نجحوا من الكوليرا التي تفشت في مركزهم على حين أنها تفشت بين اقاربهم واصدقائهم في جميع الاماكن المحيطة بهم فكيف نجحوا ؟ ان الاواني النحاسية وفتكها الذريع بالجرائم كانت الواقية لهم من الامراض . وعدم بعضهم الى القاء عدة جرائم حية من جرائم الكوليرا والحمة النفودية في وطاء من النحاس الاحمر وضع فيه ماء للشرب على سبيل التجربة وشربوا منه بعد مضي سبع ساعات فلم يعترهم ضرر لأن الجرائم ماتت بتأثير النحاس . ( والمقصود بالنحاس هنا المبيض بالقصدير )

## النحاس والميكروبات من ٣٠ سنة

كتبت في « مجلة المحيط » لصاحبها المرحوم المأسوف عليه الاستاذ عوض واصف في جزء مايو سنة ١٩٠٧ اي منذ احدى وثلاثين سنة النبذة الآتية وذلك في باب اخبارها العلمية فأردت اعادة نشرها الآن تمهيداً للاكتشاف العلمي الحديث الذي سنصفه فيما بعد . واليك تلك النبذة القديمة الجديدة : —

قال جراح انكليزي في منافع النحاس الاحمر الصحية ما يأتي : —

لمعدن النحاس الاحمر خاصية صحية غريبة وهي اهلاك الميكروبات والوقاية من الامراض ولهذا تنصح الناس بالرجوع الى حفظ الماء في الاواني النحاسية ، وبصنع الاكواز واقداح الشرب منه كما كان القدماء يفعلون لكي ينجوا من وباء الحمى النفودية . واذا أردت ايها القارئ تحقيق ذلك ، خذ فلساً من الفلوس النحاسية واخفصه بالميكروسكوب فتجده خالياً من جرائم الامراض ثم اخفص ايضاً قطعة من النقود الذهبية وغيرها من الفضة فتجدها مفعمتين بالجرائم مع ان النقود النحاسية تتداولها غالباً أيدي الفقراء القذرة الملوثة بأدران الجرائم ولكن الجرائم لا تعيش على النحاس الاحمر لانه يهلكها فاذا تلوثت



## الشب الازرق وتطهير الماء

وجاء في احدى المجلات العلمية في أوائل سنة ١٩٠٥ أيضاً ان الماء المطهر بالنحاس يشرب بأمان وسلامة لخلوه من الميكروبات فان جزءاً من مليون من كبريتات النحاس «الشب الازرق» يطهر مليون جزء من الماء ويوفر ألوفاً من الجنيهات لتطهير مياه الاحواض والخزانات من أضراس المياه algae

وفي هذا الصدد يرى كاتب هذه السطور أن الاواني النحاسية أتقع في البيوت من سائر الادوات سواء أكانت من الاليومنيوم أم من الصاج المغطى بالمينا أم غيرها ، وهذا نتيجة اختباره الشخصي منذ أربعين سنة . فلهما أيا القراء الى متاجر «اولاد محمد علي بك الحسيني بشارع النحامين» المشهورة بالقاهرة حيث يجدون آخر وأتقن المصنوعات النحاسية بأزهد الأثمان « أما أخبار الدوائر العلمية العصرية في هذا الصدد فهي كما يأتي : —

## حفظ عصارات الفواكه

كانت الوسيلتان العامتان لحفظ عصارات الفواكه في القناني سليمة من العفن على الدوام قبل اختراع طريقته ماتزكا Matzka التي سنصفها فيما يلي ، هما أولاً : المواد الكيميائية الواقية من الفساد وثانياً التعقيم بطريقة باستير وهي المسماة بالبسترة Pasteurization والمعروف أن تلك المواد الكيميائية يجعل الشراب الذي تمزج به ذا طعم غير مرغوب

فيه . وان بسترة الشراب المراد تعقيمه تعقياً تاماً تقضي بعلية غلياناً شديداً بجرارة عظيمة زمنياً غير يسير . وهذا مما يغير طعم الشراب ويفسد ما يحويه من الفيتامينات فساداً كلياً او جزئياً ولا سيما اذا حدثت البسترة مع وجود الهواء فلاحظ فون ناجيلي Von Nageli العالم النباتي السويسري في سنة ١٨٩٣ ان الماء الذي يلاص النحاس الاحمر المعدني برهة ، يكتسب منه خاصية مقاومة العفن فكانت تلك الملاحظة العلمية ، باعثاً على لفت نظره الى المعادن الاخرى عساه ان يكشف فيها ما عرفه في النحاس الاحمر — فتحقق حدسه في معدني الفضة والزنك اذ تبين له انهما يكسبان الماء تلك الخاصة عنها كسباً أشد كثيراً مما يولده فيه النحاس الاحمر مع ان تلك الفلزات الثلاثة عسيرة الذوبان جداً في الماء وكان المظنون اولاً أن دقائق قليلة منها تذوب في الماء ذوباناً فعلياً فتؤثر فيه ذلك التأثير المطهر

## تأثير الفضة في السائل

اما الآن فقد ثبت ثبوتاً حاسماً بأن مفعول الفضة في السائل الذي تلامسه ينشأ من تأكسد سطح ذلك الفلز ثم ذوبان طبقة التأكسد الرقيقة في السائل ، سيان كانت تلك الطبقة او كسيد الفضة الغروي Colloidal silver oxide او ذرات فضية مشحونة بالكهربائية وهي المعروفة علمياً بالموينة ionized فاذا لم تعرض الفضة للهواء ولا للأوكسجين



الرأس ، فتوافد الاقرباء على المنزل لعيادتها وزيارة والديها فصارت راشيل تكشف الضمادات عن رأسها لترى رفيقاتها الصغيرات ما وضعه الاطباء في رأسها من الفضة »

وفي عصر السفانة الحشيشية كانت صفائح النحاس الاحمر تمشّت في الهياكل الخارجية للمراكب وذلك تحت خطوط عومها منعاً لالتصاق النباتات المائية — الاضرع — algae والحيويينات الصدفية الدقيقة بها . (الضريع وجمعه أضرع نبات في الماء الآجن له عروق لاتصل إلى الأرض . عن الفيروزابادي)

#### طريقة ماتزكا

وأحدث ماتم في هذا الموضوع أن العلماء قد تذرّعوا بخصائص الفلزات المهلكة للجراثيم oligodynamic تذرّعاً واسع النطاق ، إلى تعقيم المياه وغيرها من السوائل إذ ثبت لهم أن الحرارة المرتفعة لإرتفاعاً معتدلاً تزيد تأثير الخصائص المعدنية في إبادة الجراثيم زيادة كبيرة فسموا هذه الطريقة باسم ماتزكا Matzka فاستفادوا من هذه النتيجة نقص الذرات الفضية التي يستعملونها للتتعقيم نقصاً كبيراً عما تقتضيه الطرق الأخرى إذ أخذوا جهازاً يستخون فيه السائل المراد تعقيقه بحيث يحمله يلامس الفضة مباشرة في مساحة كبيرة جداً في باطن الجهاز . وفي هذه الحالة يكون مقدار الفضة الذي يذوب في السائل أقل من جزء واحد في مائة مليون جزء من السائل المرغوب في تطهيره . وعلى حين ان المرء لا يكاد يصدق أن

أو الحامض الكربونيك ، تجردت من خاصية التعقيم اليسير الذي أشرنا إليه . نعم إن ذوبان أو أكسيد الفضة في الماء طفيف جداً ولكنه يكفي لإطلاق ذرات فضية حرة مشحونة شحنة كهربائية (أيونات) ، في ذلك السائل . وقد ذهب العلماء (في تحليل تمكن الفضة من قتل البكتيريا) بعض المذاهب ثم أجمعوا على أن طائفة من الأيونات الفضية تلتصق بكل واحدة من البكتيريا الموجودة في السائل فتحول دون نموها وتقضي عليها

#### الاسلاك الفضية في التجبير

وقد استعملت خصائص الفلزات لقتل الجراثيم حقبة من الزمن ، وكان ذلك قبلما أدرك العلماء العوامل الحقيقية التي تقوم بذلك التعقيم ، فقام الجراحون في انكلترا وأميركا وغيرهما بالتخاذ صفائح الفضة واسلاكها لتجبير العظام الكسيرة وعلاج المريضة منها ويؤيد ذلك الحادث الآتي وقد اثبتناه بقلنا في مجلة المحيط لصاحبها المرحوم الاستاذ عوض واصف في جزء يولييه سنة ١٩٠٦ وها هو : (فتاة ذات حجمه فضية) أصيبت فتاة اورية اسمها راشيل روزنبرج عمرها تسعة اعوام في لندن بكسر جمجمتها في أسفل المنخ فنقلت إلى المستشفى في حالة منذرة بالموت العاجل فعالجها الاطباء بأن استعاضوا عن العظم المحطم بثلاث قطع رقيقة من الفضة حجم كل منها يعادل الشان فبرئت من سقمها على أثر هذه العملية المدهشة في زمن يسير وعادت إلى بيتها صحيحة



الفضة المركزة بذلك القدر اليسير ، تؤثر في البكتيريا فتهلكها قد أثبت فوج من الباحثين أن المقادير التي تقل عن ذلك ذات تأثير عظيم محقق في مثل تلك الحالة الملائمة . وأيضاً عند إحداث هذا التخفيف يكون عدد الذرات الفضية الموجودة في كل سنتيمتر مكعب من السائل كبيراً جداً بحيث أن السائل المحتوي على هذا المقدار الضئيل من الفضة إذا اشتمل على مائة ألف بكتيريا في كل سنتيمتر مكعب ، استهدفت كل واحدة منها لتأثير الملايين من أيونات الفضة كبريتات النحاس ومقاومة البلهارسيا

وجاء في محاضرة ألقاها حضرة النطاسي الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق على طلبة طب المناطق الحارة : - وكبريتات النحاس من أفيد الطرق المستعملة في مصر الآن لمقاومة البلهارسيا وكان أول من اكتشف تأثيرها الفاجع في قتل البكتيريا المستر أندو الصيني Ando ويظهر هذا التأثير وإن كانت الكبريتات النحاسية مخففة بنسبة ..... فتقتل القواقع . وللنحاس الأحمر تأثير شديد في السكاكين الحية الدنيئة من النباتات والحيوانات ( كما تقدم القول ) وقد استعمل منذ سنين لقتل أضرار الماء الأخضر algae في صهاريج الشرب وحمامات السباحة إذ تمزج كبريتات النحاس بالمياه لتنظيفها وقتل ما عساه يشوبها من السكاكين النباتية . وفي صهاريج من مياه الشرب تجعل الكبريتات النحاسية بنسبة ..... فتختفي الكبريتات بعد انقضاء

٢٤ ساعة إذ تتحد بالمواد العضوية التي في المياه وترسب في قعر الصهريج . وقد ثبت بالتجارب العملية في ري حقول الذرة والقطن وغيرها بكبريتات النحاس الخفيفة بنسبة ..... بأنها لا تضر المحصولات . وكذلك البزور التي تنقع عدة أيام في هذا المحلول المخفف بالنسبة عنها تزرع وتروى بالمياه نفسها فتنبو نمواً طبيعياً . والقواقع تتأثر تأثراً تاماً بكبريتات النحاس فإذا وضعت محلول كبريتات النحاس بنسبة أقل من ..... في بخار محتور على القواقع قتلها في ٢٤ ساعة . وعند استعمال ذلك المحلول المخفف في ترع الري يجب أن يكون بنسبة ٥ على مليون فتختفي منها أربعة اجزاء باتحادها بالمواد الأخرى

ويبقى الجزء الخامس لقتل القواقع . وقد جربت هذه الطريقة في بلدة وردان ثلاثة أشهر فأسفرت عن النتيجة نفسها ، غير أنها قتلت سمك البياض إذ تبين أنه لم يحتمل مفعول الكبريتات النحاسية فنفق ووجد طافياً على سطح الماء عوصمه هنري

\*\*\*

\* ليس في عنق الزرافة من الفقرات أكثر مما في عنقك أو عنقي  
\* يقال إن البرداء ( الملاريا ) تسبب مليون وفاة في الإمبراطورية البريطانية كل سنة  
\* يخفف البرتقال عن معظم الفواكه في أنه لا ينضج بعد قطفه



# مكتبة المقتطف

## تاريخ مديرية خط الاستواء

من فتحها الى ضياعها من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٨٩ في ثلاثة اجزاء  
تأليف صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون — مطبعة العدل بالاسكندرية

ان سمو الامير عمر طوسون نخور دائماً بتاريخ الجيش المصري خلال القرن التاسع عشر .  
ذلك الجيش الذي سجل له بين جيوش العالم أنصع الصفحات في اعمال الفتح المجيد . ذلك الجيش  
الذي ألفه محمد علي فأحبل به النظام في مصر محل فوضى الممالك . هذا الجيش الظافر دائماً  
الذي فتح أعماله العسكرية في بلاد العرب المقدسة ثم في سوريا وآسيا الصغرى وكريت والمكسيك  
وبلاد البلقان والروسيا وفي أواسط أفريقية . وهو الذي فتح السودان وعمره وأخيراً أعاده  
في عام ١٨٩٨

يخرج اليوم سمو الامير كتابه الجديد تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية فيقدم لمواطنيه  
الذين يجلونه ويقدرون أعماله الخالدة ، رثاءً طيباً عن آثار الفتح المصري في قلب أفريقية —  
التي تسمى بحق قارتنا ، فقد أهمل مؤرخونا للأسف التحدث عن هذه النواحي القومية فجهلناها  
جهلاً تاماً . وإن كان المؤلفون الاجانب قد تحدثوا عنها كل واحد من ناحية مأربه الخاص  
ومأرب وطنه . فقد تحدث عنها الانجليز ، صمويل بايكر وكولفيل وجاكسون وستانلي ونجحت .  
وآلف عنها الفرنسيون والالمان والايطاليون والاميركيون أمثال شايله لونغ وأمين باشا وشوينفرت  
وجونكر وبونولا بك وكازاتي وجييس وغيرهم لكن لم يتقدم لبحث الجهود المصرية أحد  
من المواطنين

وكان هذا الأمر قد عزز على سمو الأمير العالم فعزم على أن يقوم بنفسه بالعبارة بما أهملناه  
خلال الأجيال السالفة . وحقق لنا أمنية طالما تمنينا تحقيقها وأخرج لنا تاريخ حلقة مفقودة من  
تاريخ مصر في القارة الافريقية ، كانت الى الامس مجهولة ومفقودة باللغة العربية

والجزء الاول من هذا السفر النفيس يشتمل على تاريخ مديرية خط الاستواء من سنة ١٨٦٩  
عندما تولى حكمها السير صمويل بايكر باشا بأمر المغفور له الحديو اسماعيل الى عام ١٨٧٣ بمرسوم  
منحه فيه سلطة مطلقة لاختضاع النواحي الواقعة في جنوب غندوكرو ولا بطل النخاسة ولا إنشاء

تجارة منظمة



وكانت الحملة التي ذهبت لتحقيق هذه الاغراض تتألف من ١٤٠٠ جندي مشاة وبطاريتين من المدافع وبعض قوات الفرسان (السواري) التي تركها في الخرطوم ويصف لنا الامير المؤرخ مراحل هذه الحملة منذ غادرت مصر ووصلوها الى الخرطوم وفاشودة والدبة وما لاقته من الصعاب . ثم انشاءها محطة التوقيفية لتكون مقراً للاسطول . ثم وصول السرصمويل بايكر الى غرضه الاول غنبدوكرو واخضاعه لقبائل تلك الجهات واتصاله بملك اوغنده . وباتهاء خدمته عاد الى القاهرة وحظي بمقابلة الخديو الذي أنعم عليه بالنيشان العثماني من الدرجة الثانية

وبعد سفر السير صمويل بايكر عين الامير الاري محمد رؤوف بك مديراً لمديرية خط الاستواء لكونه كان أرقى الضباط الذين كانوا معه . الا أنه لم يظل طويلاً في منصبه حتى عين عام ١٨٧٤ غردون باشا بعد مصادفة عجيبة . فقد كان غردون العضو البريطاني في لجنة اللدانوب تعمل في الاستانة فتعرف به الوزير المصري نوبار باشا وسأله هل يعرف ضابطاً من فرقة المهندسين العسكريين يقبل أن يخلف السير صمويل . فطلب التفكير في الامر الى أن كتب له بأنه يقبل هذا المنصب اذا رضيت الحكومة البريطانية !

وكان أن وافقت حكومته على هذا الطلب وجاء الى مصر فقابل الخديو وعين في عمله الجديد واختار القائمقام الاميركي شاييه لونيچ ليكون أركان حربه ورافقه مع الحملة الملازم الاول حسن واصف بصفته ياوراً لغردون وهو الذي شغل مناصب متعددة في الجيش وعين فيما بعد مديراً لاسيوط . وذكر لنا سمو الامير رحلة غردون الى مقر عمله عن طريق سواكن والخرطوم ومنها الى بور وغندوكرو . وبوصوله عاد رؤوف بك الى مصر

ووصف سمو الامير اعمال غردون في خط الاستواء باسهاب واف فذكر النجريدات المختلفة التي قامت بها الجنود السودانية والمصرية واحتلاله لبلاد نيام نيام ومكراكا ولادو وجميع الجهود التي بذلها في سبيل نشر النفوذ المصري وفي عام ١٨٧٦ عاد إلى مصر فرحب به الخديو وخلفه البكباشي بروت من أفراد البعثة العسكرية الأمريكية

وفي عام ١٨٧٧ استعفى نخلفه على حكمة ادارة المديرية الامير الاري ابراهيم فوزى بك . ثم الدكتور امين باشا ( ١٨٧٨ - ١٨٨٩ ) وكان ألمانياً اعتنق الاسلام وفي الفصول الخاصة به وصف لنا سمو الأمير جميع الادوار التي لعبها هذا الطبيب في مديرتنا المفقودة وكانت مدته اطول مدة قضاها أجنبي في خدمة الحكومة المصرية في تلك البلاد . وقد شملها سمو الامير الجليل بعناية دقيقة استغرقت كامل الجزء الثاني من مؤلفه النفيس وعدة صفحات من الجزء الثالث فذكر لنا



كيف انتهت خدمته بل وحياته سنة ١٨٩٢ . فهو يصف بتفصيل دقيق أشهر رحلات الجانب في تلك الفترة وأهمها رحلة الطبيب يونكر الألماني والكابتن كازاتي الإيطالي وقد تناولوا وصف تلك البقاع وعادات أهلها وحيواناتها وتعد كتابتهما عن تلك البلاد مرجعا فاخرا لكتاب العصر الحديث

والجزء الثالث من هذا السفر يشتمل على هم حوادث الأقليم المصري من عام ١٨٩٠ الى ١٨٩٩ لما قامت حملة المستكشف الإنجليزي ستانلي وبدأت الخطوات الأولى في سبيل انتزاع مديرية خط الاستواء من المصريين بعد جهود السنين الطوال وما بذل فيها من دماء مصرية والتهديد لحوادث السودان التي انتهت بنشوب الثورة المهدية وضياع السودان

وضياع السودان هو الفصل الختامي للكتاب

في هذا الفصل يظهر لنا الأمير الجليل كما عرفناه جميعا المدافع عن حقوق مصر في السودان بجميع الوسائل . فهو يستشهد بأقوال أقطاب رسميين من الإنجليز ووثائق حكومية ورسائل ومجالات برلمانية ... الخ وقد جمع فيه كل ما كتبه سمو الأمير للحكومة البريطانية من خطابات تتعلق بحقوق مصر في وادي النيل وما كتبه لامهات الجرائد الإنجليزية وهذا الفصل يعتبر وثيقة نادرة في التاريخ المصري بالسودان . وفي ختام الفصل بين سموه اطماع إنجلترا في امتلاك مديرية خط الاستواء المصرية والتي كان باحتلال مصر لها قد تم وضع يدها على وادي النيل برمته من منابعه في منطقة البحيرات الى مصبه في البحر المتوسط

وقد ذيل الكتاب بمراجعته التي عاوته على إخراج هذا السفر النادر من كتب عربية وإنجليزية وفرنسية وألمانية . وهي تربي على الخمسين في عددها

ولا يخلو الكتاب ايضا من فهرست مطول للاعلام التي ورد ذكرها ولا سيما القبائل والجماعات . فيسهل به الرجوع الى محتويات الكتاب

ان قراء كل صفحة من صفحات هذا الكتاب التي تربي على الالف لتذكر المصريين بما كانت عليه بلادهم في القرن الماضي . فعلينا ان نذكر دائما تلك الاقاليم الافريقية الشاسعة التي كانت تتألف منها الامبراطورية المصرية والتي كان يرفرف عليها في يوم من أيامنا المجيدة العلم المصري

وعلينا ان لانسى كلمة المفطور له الملك فؤاد طيب الله ثراه

« إن الشعب لا يدرك سر مستقبله حتى يرجع بذكره الى ماضيه فيقدس تاريخ أسلافه ويقدّر أعمال أبطاله »  
« كولونيل »



## المنسوجات القطنية في الشرق الأدنى خلال العصور الوسطى

Cotton in Mediaeval Textiles of the Near East; Carl Johan Lamm;  
Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, Paris; 1937

للاستاذ الدكتور كارل جوهان لام استاذ الفنون الاسلامية سابقاً بمعهد الآثار الاسلامية بالقاهرة

يذكر خريجو معهد الآثار الاسلامية وطلبة محاضرات استاذهم القديم الدكتور كارل لام عندما كان يحاضرهم في الفنون الاسلامية منذ عام ١٩٣٣. كما نذكر له بالاعجاب ابحاثه العميقة في الدراسات الفنية التي ينشرها حيناً بعد آخر في مجلة جمعية الآثار القبطية ومجلة الفنون الاسلامية التي تصدر باميركا Ars Islamica فان الاستاذ لام في طبعة المستشرقين المتضلعين من تاريخ الفن الاسلامي كما أنه يعد بين العلماء القلائل الذين أسدوا أجل الخدمات الى الفنون التي تنصل ببلادنا. ومن هؤلاء فييت وكريسويل وكونيل والمسز ديفونشير والدكتور زكي حسن ومحمود احمد ومايرهوف

وليس الكتاب الذي يخرجهُ اليوم الاستاذ لام نتيجة لدراسة دامت طاماً أو طامين بل هو نتيجة موقفة لاجتات استمرت اعواماً طوالاً قضاها يبحث وينقب عن كل ما ذكره المؤلفون القدماء والمحدثون في الكتب والمخطوطات أو ما شاهده من قطع المنسوجات التي وقع عليها نظره في المناحف المصرية ومجموعات الهواة في مصر أو متاحف البلدان الشرقية بأوروبا. فان النظرة الاولى التي يلقيها المطالع على صفحات الكتاب تجعله يدرك كيف استطاع الاستاذ لام ان يجمع شتات هذه المعلومات الفياضة الوفيرة ويقدم على عمل الرسوم الدقيقة التي استعان بها على شرح مؤلفه. ولكن الذين اطلعوا على مؤلفات الدكتور لام التي كتبها عن الزجاج الشرقي والخزف الاسلامي والمنسوجات الاسلامية وصناعة الخشب في مصر الاسلامية والتي كتبها في باريز وبرلين واستوكهلم والقاهرة وامستردام يعلمون ان مؤلفه الفخم في المنسوجات القطنية في الشرق الأدنى كتبه على منوال مؤلفاته السابقة التي تكونت جانباً معروفاً في مكتبة الفن الاسلامي. بينما مرجعه العظيم: — "Mittelalterliche Glaser und Steinschnitt arbeiten — ans dem Nahen Osten" ١٩٣٠ برلين سيظل دائماً عملاً مثالياً ينظر اليه الباحث في الفن نظرة تقدير وحب واحترام

\*\*\*

وأهم نقطة وفق اليها الدكتور لام في كتابه الجديد اثباته ان نبات القطن كان عنصراً



رئيسياً شاع استعماله في صناعة المنسوجات بدرجة كبيرة لم يكن أحد يتوقعها قبل اليوم وفي مقدمة مشتملات كتاب الاستاذ لام الذي أخرجته باتقان مطبعة بول باريه في القاهرة تلك الفصول الطويلة التي يبحث كل فصل منها عن بلد من البلدان التي استعملت القطن في منسوجاتها. وهذه البلدان التي تناولها الدكتور ، هي الهند وباكستان الغربية وآسيا الصغرى واليونان وبلاد العرب وسقطرة والصومال وزنجبار والحبشة والسودان ومصر والنوبة وبلاد المغرب واسبانيا وقد حلي الكتاب بخمس وعشرين لوحة فوتوغرافية جميلة تصور أهم قطع المنسوجات التي فحصها الدكتور لام ، سواء احتوت على نبات القطن أم لم تحتو عليه . ولا يدهش القارئ إذا علم أن هذه القطع النفيسة لا يشتمل عليها متحف واحد من متاحف الفنون بل منها ما وجدته في دار الآثار العربية ومنها ما عثر عليه في المتحف الوطني في استوكهلم أو متحف تاريخ الثقافة بمدينة لند ( Lund ) أو متحف روهس للفنون والحرف في جوتنبرج . أو مما وجدته في مجموعة والده المستر كارول روبرت لام ، وقد توفي منذ ثلاثة أشهر بقصره في روزلاج بناسي ، كان من هواة الفنون المعروفين في العالم

وفضلاً عن تلك اللوحات المذكورة في الكتاب عشرات الرسوم التفصيلية للزخارف المنقوشة على قطع المنسوجات. تلك الرسوم من إبداع والده المؤلف السيدة دورا لام. وهي ابنة أحد مشهوري كتاب الفنون والأمين السابق للمتحف الوطني في استوكهلم . وقد اشتركت السيدة الفاضلة مع ابها في كثير من أعماله الفنية التي ظهرت في مؤلفاته السابقة

\*\*\*

ولابد لنا ان نشير الى جهود أحد جنود الفن المجهولين في مصر وهو الاستاذ مصطفى كامل إبراهيم الذي اشترك مع الدكتور لام في نقل رسوم المنسوجات بطريقة لا يشارك فيها احد فقد عرفناه كثير التواضع يعطي لأعماله مسحة واضحة ، وأعماله عنوان طيب على روحه الفنية ومهارته الرائعة في سبيل اعلاء شأن زخارف الفن الاسلامي

لقد أضاف الدكتور لام الى سلسلة أعماله كتاباً وأثرأ نفيساً جداً سيزدهي به ثبث الكتب التي ألغت عن الفنون الاسلامية . وسيتحقق القارئ عند إطلاعه على ماورد بذيل كل صفحة من التعليقات والحواشي كيف أخرج الدكتور لام كتابه بطريقة علمية منظمة . والحق ان هذا الكتاب الفريد هو للدكتور لام بمنزلة امرأة مصقولة لعقله وتفكيره . ذلك العقل الذي يعرف كيف يحيط بموضوعه من كل نواحيه

عبد الرحمن



## السل وعلاجه

تأليف الدكتور فيليب الشدياق — ٣٥٠ صفحة قطع المقتطف بنط ٢٠ — كثير الصور والرسوم  
طبع مصر وبطلب من المؤلف وجميع المكتبات بالقاهرة والاسكندرية — ثمنه ٦٠ قرشاً صاغاً

إذا علمنا ان الاصابات بالسل الرئوي التي بُلِّغ عنها في القاهرة بلغت ٢٣٠٠ اصابة وان  
الوفيات منها بلغت الالف في كل من سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ، وان عدد الاصابات التي بُلِّغ  
عنها في الاسكندرية في كل من السنتين المذكورتين الف والوفيات خمسمائة ، وان مكاتب الصحة  
أبلغت سنة ١٩٣٧ انها تقدر المصابين بالسل الرئوي بـ ١٠١٤ في المليون اي ما يزيد على ١٦  
الف مصاب في البلاد كلها ، وانه اذا اضفنا الى اصابات السل الرئوي غيرها من اصابات سل  
الجلد الذي لا يبلغ عنه ابدأ وسل الامعاء والعظام والكلى والمثانة وباقي انواع اصابات السل فلا  
يستبعد ان يبلغ عدد المصابين بها ٣٠ الفاً في القطر المصري والوفيات ١٥ الفاً ، ومعظمهم من  
الفتيان امل الغد ورجاء المستقبل

إذا عرفنا هذه الحقائق الاحصائية هالنا ماتعانيه هذه البلاد من فتك الدرن ونهبنا الى  
وجوب العناية بيث التعاليم اللازمة للوقاية منه وإنشاء المعاهد الوافية للوقاية والعلاج  
فالخدمة التي اسداها مؤلف هذا الكتاب الدكتور فيليب الشدياق كبيرة لا تقوم بمال  
سواء من الناحيتين العلمية والاجتماعية

فن الوجهة العلمية ضمن فصول كتابه اوفى وأحدث ما يعرف عن مرض الدرن وانواعه  
المختلفة بعد درس مسهب وتخصص دقيق في اشهر معاهد السل في بلدان اوروبا . فالكتاب من  
هذه الناحية يصح ان يكون في مكتبة كل طبيب ممارس

وقد طالعه صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمي باشا استاذ الامراض الباطنية في كلية  
الطب المصرية ففضل وكتب الى مؤلفه الكلمة التالية: « تصفحت مؤلف الدكتور فيليب الشدياق  
على مرض السل — الذي يعلم كل فرد فتكهُ بالانسان والحيوان — ومما لا شك فيه ان مثل  
هذا الكتاب ضروري جداً لقراء اللغة العربية لعدم وجود مثله بها . وهذا المؤلف غني بمواضيعه  
واسناده وقد ناقش الكاتب كل نقطة في الموضوع ووضح آراء اساطين هذا الفن . واني اشكر  
الدكتور الشدياق على هذا العمل الشاق لانه لم يدخر جهداً في القيام به خدمة للطب العربي »  
أما من الوجهة الطبية العلمية فاننا نقف عند شهادة الطبيب الكبير عزمي باشا وهي شهادة  
لها مكانتها العالية من خير

أما من الناحية الاجتماعية فقد وصف المؤلف ما يبذل في بلدان أوروبا على أيدي الحكومات



والهيئات الأهلية لمكافحة الداء . خذ مثلاً مايقوله في صفحة ٢٥٥ مثلاً على النقد الانشائي :-  
هكذا يسير الداء في القطر المصري سيراً حثيثاً ويتفاهم ويعيثُ فساداً فما نحن فاعلون ؟ لدينا  
٤٠٠ سرير في مصح حلوان . وأهل حلوان يتذمرون من وجودها ويطلبون إعفاءهم منها .  
وهناك مصح العباسية وسيم إعداده قريباً (المقتطف : وقد تم فعلاً وافتتح بهيد صدور الكتاب)  
وحتى تاريخ نشر هذا الكتاب ليس في القطر المصري كله سوى ثمانية مستوصفات للأمراض  
الصدرية مع أنه لو كان فيه مائة مستوصف لما كانت كافية . فالذي عندنا من هذا القبيل ليس  
سوى نواة لعمل ينبغي أن تتسع دائرته بلا إبطاء . وإذا عدنا في بحثنا إلى أهم نقطة جوهرية  
في هذه الخدمة الاجتماعية وتساءلنا عما فعلنا لوقاية الاطفال ومساعدهم في أدوار المرض  
الأولى ، كان الجواب مع الأسف سلبياً . فأننا لم نفعل شيئاً البتة . وعلى الرغم من البرنامج  
الذي وضعته وزارة الصحة العمومية وطالبت فيه بعمل هذه الانشاءات فليس في هذه الديار  
مؤسسة واحدة لتدرّث الاطفال . وكان علينا أن نبدأ بمكافحة السل في الصغار لشدة استعدادهم  
على نحو ما ذكرنا قبلاً ، لالتقاط العدوى بأجهزهم النجيفة وتدرج المرض إلى حالة التعقد  
الابتدائي . فاذا كانت الاصابة قوية رزح الطفل تحتها ومات . وإذا قلت المقاومة بعد سنين عاد  
المرض إلى الظهور في سن الشباب . ثم .. هل أنشئت مؤسسة واحدة من المؤسسات المعروفة  
عند الفرنسيين باسم واقيات Preventoria دفعاً عن الضعفاء من الاطفال عادية المرض أو إيقافاً  
له عند حد ... »

فكتاب الدكتور فيليب الشدياق جامع بين الناحيتين العلمية والاجتماعية في دراسة السل  
ومكافحته اوفى جمع ويجب أن يذيع في مصر وسائر الاقطار الشرقية لان ذبوعه يسدي خدمة  
عظيمة الى صحة الشعوب العربية

### مجلة جمعية الآثار القبطية

المجلد الرابع سنة ١٩٣٨ مطبعة المعهد العالمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

في ٢٠٨ صفحة - حجم متوسط

الذين يتبعون تقدم الحركة الفكرية في مصر يستطيعون ان يقدروا الجهود الكبيرة التي يبذلها  
الاستاذ شارل بشتلي سكرتير جمعية الآثار القبطية حتى اضطرت في العام الماضي ان تتخذ لها  
اسماً جديداً بدلاً عن (جمعية محبي الفن القبطي) يتفق مع الاعمال العظيمة التي تقوم بها من تنظيم  
المحاضرات العلمية التي تدعو لاقائها اعلام المشغولين بالفنون والآثار الى جمع البيانات عن  
الآثار القبطية والقيم بالرحلات وتنظيم المعارض وتركيز الدراسات الاثرية واللغوية تركيزاً



يسهل الاقادة منها... كل ذلك فضلاً عن إصدار المجلة العالمية السنوية وهي « مجلة جمعية الآثار القبطية »

بين يدينا العدد الرابع وهو يشهد بأن المجلة نمت نمواً سريعاً حتى أصبحت اليوم من خير المجلات العالمية التي تصدر في العالم وخير ما يصدر في مصر على الإطلاق . وذلك بما فيها من آثار جهرة الكتاب الاختصاصيين

ويشتمل هذا العدد على اثني عشر مقالاً أولها للأستاذ فرانسيس جرافيت من أساتذة جامعة متشيغان يتحدث عن « بيرسك والدراسات القبطية في القرن السابع عشر الميلادي » . والمقال الثاني كتبه الأستاذ لام الذي كان مدرساً للفنون الإسلامية في معهد الآثار بكلية الآداب . وموضوع هذا البحث دراسة المنسوجات الصوفية المطرزة في العصر القبطي . وقد كتب الأستاذ ديلاسي أوليري بحثاً عن تخريب المعابد المصرية القديمة على يد المسيحيين ذكرنا بما كان بعض علماء الغرب يأخذونه على العرب من تخريب بعض الكنائس أو تجريدها من بعض الأعمدة والتيجان

وكتب الأستاذ هنري موينيه سكرتير الجمعية الجغرافية الملكية مقالاً في نشوء المسيحية في جزيرة فيلة . ومن أطرف ما في هذا العدد مقال الدكتور جورج صبحي بك عن بعض العادات والطقوس والكلمات الباقية من العصور المصرية القديمة في حياتنا اليومية الى الآن . وكتب الأستاذ الدكتور كونييل مدير المتحف الاسلامي برلين مقالة عن الأساليب الفنية القبطية في المنسوجات الاسلامية . ولسنا في حاجة الى ان نشيد بذكر الدكتور كونييل فهو حامل لواء الفنون الاسلامية في العصر الحاضر . وقد عرف عنه في أبحاثه الدقة والخبرة الواسعة وحسن الذوق والاطلاع الواسع

وكتب الأستاذ فييت مدير دار الآثار العربية بالقاهرة بحثاً نفيساً عن العلاقات السياسية بين المصريين والحباش في عصر الماليك . وكلنا نعلم ان الأستاذ فييت من الاختصاصيين القلائل في دراسة عصر الماليك والقبط . فلا غرو ان جاء مقاله بحثاً مستفيضاً عن العلاقات المصرية الحبشية يزج لنا النقباب عن أحداث سياسية هامة

ولا نستطيع ان نلم هنا في هذا العرض القصير بكل ما جاء في العدد الرابع من مباحث . ويكفي أن نذكر أسماء المساهمين في تحريره وهم الاساتذة جراف ونييل ودرييل وبورمستر ويونكر ويسسى عبد المسيح عدا من تقدم ذكرهم ويمتاز مقالاتهم بالجدة والطرافة والعمق

فجمعية الآثار القبطية جديرة بالتهنئة على الجهود العظيمة التي تبذلها وعلى النجاح الذي لقيته منذ ظهورها ونحن نهنئ القائمين بها من كل قلبنا ونرجو لها التوفيق والتقدم المضطرد (....)



## ديوان الجارم

في جزأين طبع مطبعة المعارف

لأستاذنا وصديقنا علي بك الجارم رأي في الشعر العربي وجماله . سجله في المقدمة البليغة التي كتبها في الجزء الاول من ديوانه . وهذه المقدمة على ايجازها تعتبر مقياساً جديداً لتذوق الشعر العربي . وان كان هذا المقياس غير محدود الموازين ولا مضبوطها دائماً . وانما هو مقياس ترجع اغلب الوحدات القياسية فيه الى الحس المرهف والشعور الدقيق

لقد حاول كثير من نقاد الشعر أن يشرّحوا القصيدة تشرّيح الأقسام الحية . فاذا استطاعت أن تقف بعد عملية التشرّح البشعة أمام مباحثهم الحادة ومشارطهم المرهفة فهي تستحق أن تسمى شعراً والّا فهي كلام موزون . ويخيل اليّ أن هذا النوع من النقد معتسف كل الاعتساف ، ظالم أشد الظلم . فإن الزهرة الجميلة الناضرة تفقد كل معاني الجمال فيها إذا تناولتها يد بالتشرّح والتنثير والتجزئ . وما من شك أن هذه الجزئيات الصغيرة هي اللبّات والملاط والجص التي يتكوّن منها جمال الزهرة وهيكلها الفتان . ولكن هذا الجمال الكلي يضيع إذا جزّئ . ويفقد الحلاوة ( وسرّ الاعجاب ) إذا حلل . فجماله في كليته . وحلاوته في هيكله

ولو تابعنا هؤلاء الناقدين في استعمال مقاييسهم الظالمة لخرج أكثر من نعد من كبار الشعراء من زمرة الشعر العالي .... فمن السهل أن تمسك فأساً في احدى يديك ومعولاً في الأخرى وتقول : أي ناقد ... والأخرى بالحق أن يقال عنك : أنك هادم ... ولقد مات « شوقي » فاصبح تراثه الشعري في ذمة الزمن . والزمن أعدل الحاكمين

قضيت شطراً من ليلة من ليالي رمضان مع صديق كريم من رجال الطب ، وله شعر ينشر في الصحف المصرية . ولعل علي بك الجارم يسره أن يعرف أنه كان موضع حديثنا في تلك الليلة . ولم يكن حديثنا عن علي الجارم الا حديثاً عن شعره . ناولني صديقي الطيب الاديب الجزء الاول من ديوان الجارم . وأراني المأخذ الكثيرة التي يأخذها عليه ... وهو يعلم جي لشعر الجارم . وبحكم الطبع لم يكن دفاعي عن شعر الجارم الا دفاعاً عن شعري . فأني أخشى أن يعتسف الناقدون في شعري الى حد قد يضيع معه أمل الشاعر في تقدير الناس له . .. ولا يضير علي الجارم كما يقول بعض نقاده - أن قوله في المديح ، زين الحمى وفخر الحماة من دارج الكلام لا من متخيرته ، ولا يضيره قولهم أن كلمة رنين في البيت الآتي غير مناسبة وكان الاولى أن يقال ضجيج أو أنين أو حداء .. والبيت هو

وانحاز للركب الذي من آدم مازال يزعجنا رنين حداته



ولا يضيره قول النحاة منهم أن الباء زاد في خبر ليس وما . وليسكنها لاتزاد في خبر لا  
كما يقول في مراثيه لسعد زغلول

وجري يُغَبِّر لا العسير بخاذل أملاً ولا نيل السهي بمحال  
ولا يضيره قولهم أن النعت السببي يجب أن يكون مفرداً دائماً . ويراعى في تذكيره وتأنيثه  
ما بعده : فتقول الرجال خاشعة ابصارهم . والنساء خاشعة ابصارهن لا كما يقول الجارم في قصيدة  
دمعة على صديق

يمشي الرعيل نواكساً ابصاره من بعد ما عبث الردى بحياته  
وكان الأولى والأصح أن يقول ناكسة ابصارهم  
ولا يضيره أن يقولوا أن الجارم مولع باستعمال الكنايات عن الموصوفات . وهو ولوع — كما  
يقولون — لا يدل على شاعرية وإنما يدل على صناعة عرف بها شعر الجارم . فهو يقول سليل  
الطين <sup>(١)</sup> بدلاً من الانسان ، ويقول ابن الليل بدلاً من القمر ، ويقول بنت <sup>(٢)</sup> عدنان بدلاً  
من اللغة العربية محاولاً بذلك أن يقلد كنايات القدماء الجميلة المنشورة في كتب الادب والشعر  
لا يضير الجارم الفحل شيء من هذا . فعدي بن زيد لم يضره قول الناقدين  
أن قوله ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق  
خطأ والصواب موثق . والحارث بن حلزة لم يضره قولهم أن قوله  
أجمعوا امرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء  
خطأ والصواب أصبح لان الضوضاء مذكورة . وأبو تمام لم يضره قولهم أن قوله  
ولو كانت الارزاق تجري على الحجا هليكن اذاً من جهلن البهايم  
خطأ والصواب هليكن لان الفعل لا يأخذ فاعلين . وبالامس أقاموا الدنيا وأقعدوها على  
شوقي بك لانه أنت الرفات والواجب تذكيره في قوله في رثاء سعد

يارفاناً مثل ريحان الضحى كللت عدن بها هام رباها  
الجارم شاعر وليكننا لانستطيع أن نقض خاتم السحر في شعره كما يقول هو عن البحري .  
وأنا شخصياً لا أستطيع أن أفهم لماذا أحب حباً جماً شعر شوقي وعلي محمود طه واحمد محرم  
وعلي الجارم

كنت أتحدث مع أديب كبير عالمي الثقافة كثير الانتاج ، عن النقد والأدب والشعر فقال أن  
النقد العربي فوضى غير مضبوط ولا محدود وليست له عند العرب مقاييس محدودة . وأنا



أرى في هذا المقام أن مقاييس الأدب غير مقاييس الشعر . فليس من الهين أن تضع للشعر — وخاصة الشعر العربي — مقاييس محدودة متميزة . فمثل هذه المقاييس يذهب بالجمال الشعري . وليس الجارم شاعراً باعتبار المقياس الذي وضعه هو في مقدمته للجزء الأول . وإنما هو شاعر باعتبار كل نفس نحس الجمال وتدركه — تحسُّ به في اللفظ المختار ، وفي السكمة في موضعها ، وفي المعنى في سموه ، وفي الأسلوب في قوته ، فتطرب لكل هذه الأمور مجتمعة وللجارم ميزة ظاهرة في شعره الرصين وهي الانسجام اللفظي أو ما يعبر عنه بالانجليزية « Rythm » — هذا الانسجام أو الموسيقى اللفظية هي بلا شك — كما يقول « Lascelles Abercrombie » في كتابه أصول النقد الأدبي — أهم وسائل الارتفاع بالأصوات في الفن الأدبي لأن هذه الموسيقى هي أكبر أثر فعال في خلق ذلك الجزء من العاطفة أو الشعور الذي لا يمكن أن تحيا الاختبارات النفسية بغيره . وهذه الموسيقى هي التي ميزت شعر شوقي ، وشعر علي محمود طه ، وشعر الجارم . وهذه الموسيقى بعينها هي التي ترفع كثيراً من النثر إلى مرتبة الشعر مع خلوه من الوزن والقافية

يتهمون علي الجارم بأنه شاعر مناسبات ... وأنا نفسي مكوي بنار هذه التهمة .. وما أروع النقد في صب الاتهام ! فالشاعر في عرفهم هو الذي يصور الطبيعة ويصف « الجدول الحالم » أو « الناعورة المذعورة » أو « البلبل المغرد » أو يقول في الحب والعاطفة .. حتى ولو كان قوله هراء وتصويره سخيفاً أو كاذباً .. وغرامه خيلاً

وقد ناقشت أحد هؤلاء النقاد — وهو شاعر أطرب لشعره — وكانت المناقشة أمام حضرة رئيس تحرير المقتطف وبينت له أن شعر المناسبات هو نوع من الشعر لا يحسن كل شاعر الكلام فيه . . . . أو أنه مثل غيره من ضروب الشعر أعراب عن شعور خاص تثيره المناسبات الخاصة

ولقد كشفت لي السنوات التي قضيتها في إنجلترا عن « الشاعر جون مايسفيلد » شاعر العرش فما مرت مناسبة قومية من غير أن يخلدها في شعره . وقصيده في الاحتفال بانزال الباخرة الجيابة « كوين ماري » إلى البحر لا تزال ترن في الآذان

\*

أن الكلام عن ديوان الجارم أتاح لي فرصة أعبر فيها عن بعض رأيي في الشعر ومقاييسه أما رأيي كله فسأفصله إن شاء الله في مجال آخر . وأهلاً وسهلاً بالديوان العربي المتين

محمد عبد الغني حسن



# فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثالث والتسعين

حصاد الصيف في حقول العلم { أتوار النبات الطائرات الطخورية	٥١٧
جامع السلطان حسن : لجاستون فيت نقله . الى العربية محمد وهي	٥٢٥
مصادر العلم الحديث : للدكتور ابراهيم ناجي	٥٤٢
فكرة ضائعة (قصيدة) للشاعر الفرنسي سوللي پرودوم . نقلها خليل هنداي	٥٤٥
ثورة العرب وأثرها في الشعر الحديث : لانيس المقدسي	٥٤٦
الفيلسوف المهمل أهم نواحي عبقريته : ترجمة جديدة لاسحق نيوتن	٥٥٨
تولستوي وأحاديثه : لعلي ادم	٥٦٢
مبدأ النسبية الكلاسيكية : لاسماعيل احمد ادم	٥٧٠
صفات الادب الفارسي الحديث : للدكتور عبد الوهاب عزام	٥٧٣
دراسات في آثار الاقدمين الروحية : لناشد سيفين	٥٧٨
زهرة (قصيدة) : لحسن كامل الصيرفي	٥٨٥
الانتخاب الطبيعي واصلاح النسل : للدكتور شريف عسيان	٥٨٦
المطور والغازات	٥٨٩
السرطان والمرأة : للدكتور فيليب الاشقر	٥٩٨
حديقة المقتطف * بعد الشباب : للدكتور ابراهيم ناجي . الغفران : للشاعر القروي	٦٠٣
رشيد سليم الخوري . مقتل الحصان : لفكتور هوجو : السيد ربيع : لبروسبير بلانشمين : نقلهما احمد ابو الخضر منسي	
سير الزمان * يقظة العرب : — طلائع اليقظة الفكرية . الجمعية السرية الاولى . مراسلات مكماهون : حسين . الوعود ونقضها . مصير فلسطين	٦٠٩
باب المراسلة والمناظرة * مجلة مجمع اللغة العربية الملكي في دورته الثالثة للفريق الدكتورامين المعلوف	٦١٩
باب الاخبار العلمية * تصوير ما يشم من زهر الورد وحب المسك . فوائده النحاس الاحمر والفضة . لعوض جندي	٦٢٣
مكتبة المقتطف * تاريخ مديرية خط الاستواء . المنوجات القطنية في الشرق الادنى خلال المصور الوسطى . السل وعلاجه . مجلة جمعية الآثار القبطية . ديوان الجارم	٦٢٩